

القسم الثاني

تحقيق الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

[١]الحمد لله نستعينه[٢] ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد[٣] أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد[٣] أن محمداً عبده ورسوله[٤] أرسله بالهدى، ودين

---

(١) في (ج)، (د): قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله: «الحمد لله نحمده ونستعينه».

(٢) في (أ)، (د)، والمطبوعة: «ونستهديه».

(٣) في (أ)، (ب)، (ج)، والمطبوعة: «ونشهد». ولعل ما أثبت هو الصحيح لموافقته روايات الحديث.

(٤) تعرف هذه بخطبة الحاجة، وقد رواها عن الرسول ﷺ جمع من الصحابة؛ من ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس، وما رواه أحمد، وابن ماجه عن ابن عباس وابن مسعود، وما رواه أبو داود والترمذي والنسائي والدارمي عن ابن مسعود.
انظر: «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٨٦٨) ص٥٩٣؛ والمسند ١/٣٠٢، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٣٢؛ وسنن أبي داود، ج٢، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، حديث رقم (٢١١٨، ٢١١٩) ص٥٩١، ٥٩٢؛ وسنن الترمذي، ج٢، أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، حديث رقم (١١١) ص٢٨٥؛ وسنن النسائي، ج٦، كتاب النكاح، ما يستحب من الكلام عند النكاح، ص٨٩؛ وسنن ابن ماجه، ج١، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، حديث رقم (١٨٩٢، ١٨٩٣)، ص٦٠٩)؛ وسنن الدارمي، ج٢، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، ص١٤٢. وقد خرجها الشيخ الألباني في كتاب سماه «خطبة الحاجة».

الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغيِّ، وفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً، وفرق(١) به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغيِّ، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء(٢) الله.

فمَنْ شهد له محمد ﷺ بأنه مِنْ أولياء الله فهو من أولياء الرحمٰن، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من (أعداء الله و)(٣)أولياء الشيطان.

أقسام الناس إلى أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وقد بيّن الله في كتابه وسنّة رسوله ﷺ أن لله أولياءَ من الناس، وللشيطان أولياء.

و(٤)فرّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦](٥).

---

(١) في (د): «ففرق».
(٢) في (ب): «وأعدائه».
(٣) ما بين القوسين سقط من (هـ).
(٤) في (أ)، و(هـ)، المطبوعة: «ففرق».
(٥) وهذه الآية لم ترد في (أ)، (ب)، (د).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤].

وذكر أولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال تعالى[1]: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧ ـ ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

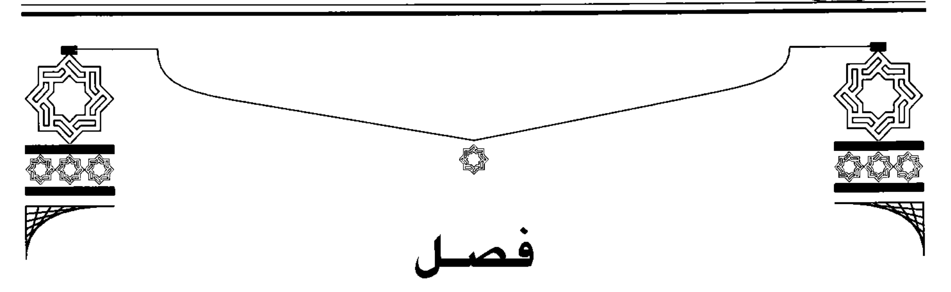
---

(١) زاد في (ب)، (د)، (هـ): «وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]».

وقال الخليل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٥].





فصــل

الفصـل الأول

وجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وإذا عرف[١] أن الناس فيهم[٢] أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان[٣] فيجب أن يفرّق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرّق الله ورسوله بينهما[٤]. فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[٥] وغيره عن أبي هريرة[٦] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي

---

(١) في (ب): «وإذا عرفت».

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): «منهم».

(٣) في (ج)، (د): «أولياء للرحمن وأولياء للشيطان».

(٤) قوله: «بينهما» سقط من (ب).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ـ أبو عبد الله ـ البخاري. ولد سنة ١٩٤هـ، وتنقل في طلب الحديث حتى صار الإمامَ في هذا العلم، صاحب «الجامع الصحيح» المعروف «بصحيح البخاري»، وكتاب «التاريخ» وغيرهما من التصانيف. توفي سنة ٢٥٦هـ، في (خرتنك)، قرية من قرى (سمرقند).

انظر: «تهذيب التهذيب» ٩/ ٤٧ ـ ٥٥؛ «طبقات الحنابلة» ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٩.

(٦) عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة. أسلم سنة (٧) من الهجرة، وهو أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، قدم المدينة =

وليّاً، فقد بارزني بالمحاربة (أو فقد آذنته بالحرب)[١]. وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُّ عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها»، (وفي رواية)[٢]: «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه»[٣]. فهذا أصح حديث يروى في الأولياء.

= مهاجراً وسكن الصُّفَّةَ، كان محبوباً لدى الناس، قال عنه ابن تيمية: صاحب النبي ﷺ أقل من أربع سنين، فأخباره كلها متأخرة. توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ.

انظر: «الاستيعاب» ٤/١٧٦٨ ـ ١٧٧٢؛ «الإصابة» ٧/٤٢٥ ـ ٤٤٥؛ «الرد على المنطقيين» ص٤٤٦.

(١) في (ج): «وفي رواية: فقد آذنته بالحرب»، وسقط ما بين القوسين من (د).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ب)، (د)، (هـ).

(٣) قوله: (فقد بارزني بالمحاربة) لم ترد في البخاري، وإنما هي من رواية الطبراني عن أبي أمامة، والبيهقي عن أبي هريرة.

وكذلك قوله: (وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) لم ترد في البخاري، وقد ذكرها الحكيم الترمذي في كتاب «ختم الأولياء».

وقوله: (ولا بد له منه) من رواية الطبراني، وابن أبي الدنيا عن أنس. وقد تكلم عن الحديث ابن رجب في «جامع العلوم والحاكم»، وقال إنه من «غرائب الصحيح»، وقد روي من عدة وجوه لا تخلو كلها عن مقال. وقال عنه الألباني ضعيف. وأما ابن حجر، فقال: إن للحديث طرقاً يدل مجموعها على أن له أصلاً.

انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث =

فبيَّن النبي ﷺ: أن[١] من عادى وليّاً لله[٢]، فقد بارز الله بالمحاربة[٣].

وفي حديث آخر: «وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِبُ»[٤]؛ أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحَرِبُ ثأره.

وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالَوْه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورَضُوا بما يرضى، وسَخِطُوا بما يسخَط، وأمروا بما يأمر، ونَهَوْا عما نهى[٥]، وأعطَوْا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من[٦] يحب أن يمنع، كما في الترمذي[٧]

= (٦١٣٧) ص٢٣٨٤؛ كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٩٠، ٤٩١؛ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٣٣٢؛ كتاب الأولياء لابن أبي الدنيا ضمن مجموع ص١٠٠؛ «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ص٣١٣؛ «فتح الباري» ٢٤/ ١٢٧؛ «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني ١/ ١٠٤.

(١) في (أ)، (ب)، (ج)، والمطبوعة: «أنه».

(٢) في (ج): «أولياء الله».

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «في المحاربة»، وفي (ب): «في المحاربة وقد آذنه الله بالحرب».

(٤) أخرجه البغوي «شرح السنة» عن أنس بن مالك، وإليه أشار ابن حجر في «الفتح»، وقال: في سنده ضعيف.
انظر: «شرح السنة» للبغوي ٥/ ٢١، ٢٢، ٢٣ رقم الحديث (١٢٤٩)؛ «الفتح» ٢٤/ ١٣٧.

(٥) في (أ)، والمطبوعة: «نهى».

(٦) في (ب): «لمن».

(٧) أي في سنن الترمذي، والترمذي هو: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى السُّلمي الترمذي، أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، صنف كتاب «الجامع» المعروف بصحيح الترمذي، والعلل، وكان يضرب به المثل في الحفظ، ثقة مجمع عليه، وهو تلميذ البخاري، وشاركه =

وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[١]. (وفي حديث آخر رواه أبو داود[٢])[٣] وقال: «من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[٤].

أصل معنى الولاية والعداوة

والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب[٥]، وأصل العداوة: البغض والبعد.

= في بعض شيوخه، توفي سنة ٢٧٩هـ.
انظر: «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٧٨؛ «ميزان الاعتدال» ٣/ ١١٧؛ «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٣٣ ـ ٦٣٦.

(١) من حديث أخرجه أحمد عن البراء بلفظ: «أوسط الإيمان أن تحبَّ في الله وتبغضَ في الله». وأخرجه أبو نعيم عن ابن مسعود من حديث طويل باختلاف يسير في بعض ألفاظه.
انظر: «المسند» ٤/ ٢٨٦؛ و«الحلية» ٤/ ١٧٧.

(٢) هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود السجستاني، أحد حفاظ الحديث، وعلمِه وعللِه. طوَّف البلاد، وسكن البصرة، وقدم بغداد، وروى كتاب «السنن» فيها، وهو أحد الكتب الستة توفي في البصرة سنة ٧٥هـ رحمه الله.
انظر: «وفيات الأعيان» ٢/ ١٣٨ ـ ١٤٠، ت٢٥٨؛ «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٦٩ ـ ١٧٣، ت٢٩٨.

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ج)، (د)، (هـ).

(٤) رواه أبو داود عن أبي أمامة، والترمذي عن أنس الجهني عن أبيه، ورواه أحمد عن معاذ. وقال الترمذي: حديث حسن.
انظر: سنن أبي داود ج٥، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٦٨١) ص٨٠؛ «سنن الترمذي» ج٤؛ «أبواب صفة القيامة» حديث رقم (٢٦٤٢) ص٧٨؛ «المسند» ٣/ ٤٣٨، ٤٤٠.

(٥) في (أ)، (ب)، (ج)، (د): «والتقرب».

وقد قيل: إن الولي سمِّي وليّاً من موالاته للطاعات، أي متابعته لها، والأول أصح، والولي: القريب؛ يقال[١]: هذا يلي هذا: أي يقرُب منه، ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي، فلأَوْلى رجلٍ ذَكَرٍ»[٢]: أي لأقرب رجل إلى الميت. وأكَّدَه[٣] بلفظ الذكر ليبين أنه حُكْمٌ يختص بالذكور، لا[٤] يشترك فيه الذكور والإناث، كما قال ﷺ في الزكاة: «فابن لبون ذكر»[٥]. فإذا كان وليُّ الله هو الموافقَ المتابعَ له فيما يحبُّه ويرضاه[٦]، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به[٧] وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له.

---

(١) في (ب)، (ج)، (د)، (هـ): «فيقال».

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.
انظر: «صحيح البخاري» ج٢، كتاب الفرائض، باب ميراث الجد مع الأب والأخوة، حديث رقم (٦٣٥٦) ص٢٤٧٨؛ «صحيح مسلم» ج٣، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، حديث رقم (١٦١٥) ص١٢٣٣.

(٣) في (ب): «وذكره».

(٤) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «ولا يشترك».

(٥) من حديث طويل رواه أبو داود، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه والدارقطني عن أبي بكر.
انظر: «سنن أبي داود» ج٢، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم (١٥٦٧) ص٢١٤، ٢١٥؛ «المسند» ١/ ١١؛ «سنن النسائي» ج٥، كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل ص١٨؛ «سنن ابن ماجه» ج١، كتاب الزكاة، باب إذا أخذ المصدق سنّاً دون سن. . حديث رقم (١٨٠٠) ص٥٧٥؛ «سنن الدارقطني» ج٢، كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل والغنم حديث رقم (٢) ص١١٣، ١١٤.

(٦) في (د): «ويرضى».

(٧) في (د): «وما يأمر به».

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]. فمن عادى أولياء الله (فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه)[١]، ولهذا[٢] قال: «مَنْ عادى لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة»[٣].

الأنبياء أفضل أولياء الله

وأفضلُ أولياء الله (الأنبياء، وأفضل الأنبياء المرسلون)[٤] منهم، وأفضل المرسلين أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين)[٥].

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾[٦] [الأحزاب: ٧].

فضل محمد ﷺ على جميع النبيين وفضل أمته على سائر الأمم

وأفضل أولي العزم: محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون

---

(١) في (أ)، (د): «فقد عاداه وحاربه.

(٢) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «فلهذا».

(٣) سبق تخريجه في ص٩.

(٤) في (أ)، (ب)، المطبوعة: «هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون».

(٥) في (ب): «عليهم السلام».

(٦) في النسخ (أ)، (ب)، (جـ)، المطبوعة: أكمل الآية إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، بعثه الله بأفضل الكتب، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خيرَ أمة أُخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرّقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقاً، وأول الأمم بعثاً، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أُوتُوا الكتاب مِنْ قبلنا، وأوتيناه مِنْ بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه ـ يعني يوم الجمعة ـ فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، غداً لليهود وبعد غد للنصارى»(١).

وقال ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»(٢). وقال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، حديث رقم (٨٣٦) ص٢٩٩؛ «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (٨٥٥) ص٥٨٥، ٥٨٦.

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة، وابن ماجه عن أبي سعيد، ورواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ: «أول من ينشق عنه القبر».
انظر: «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في التمييز بين الأنبياء، حديث رقم (٤٦٧٣) ص٥٤؛ «سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣٠٨) ص١٧٨٢؛ «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم (٢٢٧٨) ص١٧٨٢.

(٣) رواه مسلم عن أنس.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس. . .»، الحديث رقم (٣٣٣) ص١٨٨.

توقف ولاية الله على الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ظاهراً وباطناً

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حيث بعثه الله جعله الفارقَ بين أوليائه وبين أعدائه (فلا يكون وليّاً لله)[(١)] إلا مَنْ آمن به وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً. ومن ادَّعى (محبة الله)[(٢)] وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله، بل مَنْ خالفه كان مِنْ أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن[(٣)] البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ادعى قوم أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم[(٤)]، وقد بيّن الله فيها أنَّ مَنِ اتَّبع الرسول، فإن الله يحبه، ومن ادّعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم مِنْ أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدَّعون أنهم أولياء الله[(٥)] (وأنه لا يدخل)[(٦)] الجنة إلا مَنْ كان منهم، بل يدَّعون أنهم (أبناء الله)[(٧)] وأحباؤه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ

---

(١) في (ب): «فلا يكون من أمته ولي لله».

(٢) في (د): «محبته».

(٣) الحسن بن أبي الحسن ـ يسار ـ البصري أبو سعيد. من التابعين، قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل مشهور، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٦٩، ٧٢؛ «تقريب التهذيب» ١/ ١٦٥.

(٤) أورد ذلك أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦/ ٣٢٢، وابن الجوزي في كتاب الحسن البصري، ص٥١.

(٥) في (د)، (هـ): «لله».

(٦) في (د): «ولا يدخل».

(٧) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «أبناؤه».

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل الله لسكناهم مكةَ ومجاورتِهم البيتَ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠ ـ ٣٤].

فبيّن ـ سبحانه ـ أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء (بيته)[١] إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في «الصحيحين» عن عمرو بن العاص[٢] رضي الله عنه قال:

---

(١) في (أ)، (د): «نبيه».

(٢) عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي. يعد من دهاة العرب، روى عن الرسول ﷺ أحاديثَ، وهو الذي فتح مصر، وتولى إمرتها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات أميراً عليها من قبل معاوية سنة (٤٣هـ). =

سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سِرٍّ: «إن آل فلان ليسوا لي بأولياء[(١)]. إنَّما وليي اللهُ وصالح المؤمنين»[(٢)]. وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: ٤].

وصالح المؤمنين هو كل من كان صالحاً من المؤمنين، وهم المؤمنون المتقون أولياءُ الله، ودخل في ذلك أبو بكر[(٣)] وعمر[(٤)]

= انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١١٨٤ ـ ١١٩١، ت١٩٣١؛ «الإصابة» ٣/ ٥٦٠، ت٥٨٨٦.

(١) في (ب)، (ج)، المطبوعة: «ليسوا لي بأولياء»، يعني طائفة من أقاربه.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الأدب، باب تُبَلُّ الرحم ببلالها، حديث رقم (٥٦٤٤) ص٢٢٣٣؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين، حديث رقم (٣٦٦) ص١٩٧، ورواه أحمد في المسند ٤/ ٢٠٣.

(٣) أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي، خليفة رسول الله ﷺ ورفيقه بالغار، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، وكان أنسبَ قريش وأعلمَهم، ولما بُعِثَ الرسول ﷺ بادر إلى تصديقه، وأسلم على يديه خلق كثير، بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة. توفي بالمدينة سنة ١٣هـ.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٩٦٣ ـ ٩٧٨، رقم الترجمة (١٦٣٣)؛ «الإصابة» ٤/ ١٦٩ ـ ١٧٥، رقم الترجمة (٨٤٢٠).

(٤) أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بعد عام الفيل بـ١٣ سنة، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً مِنَ الضيق، سماه الرسول ﷺ الفاروق، شهد بدراً وكلَّ مشهد شهده الرسول ﷺ. ولي الخلافة بعد أبي بكر باستخلافه له سنة ١٣هـ، وأجرى الله على يديه أعمال خير كثيرة، توفي سنة ٢٣هـ.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١١٤٤ ـ ١١٥٩، رقم الترجمة (١٨٧٨)؛ «الإصابة» ٤/ ٥٨٨ ـ ٥٩١.

وعثمان[١] وعلي[٢] وسائر أهل بيعة الرضوان[٣] الذين بايعوا تحت الشجرة؛ وكانوا ألفاً وأربعمائة[٤] كلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع

---

(١) ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة بعد الفيل بست سنين، وهو ممن بادر إلى الإسلام، كثير الإنفاق في سبيل الله، بويع بالخلافة في غرة المحرم سنة ٢٤هـ باجتماع الناس عليه، وأقام خليفةً على المسلمين اثنتي عشرة سنة، بعدها حاصره الناقمون عليه في داره وقتلوه، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ ودفن بالبقيع.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١٠٣٧ ـ ١٠٥٣، رقم الترجمة ١٧٧٨؛ «الإصابة» ٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٩، رقم الترجمة (٥٤٥٢).

(٢) أبو الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، أسلم وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، دعا له الرسول ﷺ بقوله: «اللهم اهد قلبه وسدد لسانه»، فكان أعلم الناس بالسنة، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان، ومكث خليفةً على المسلمين أربع سنين وتسعة أشهر، توفي بالكوفة في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، قتله الخارجي عبد الرحمٰن بن ملجم وهو خارج إلى المسجد.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١٠٨٩ ـ ١١٣٤ رقم الترجمة ١٨٥٥؛ «الإصابة» ٤/ ٥٦٤ ـ ٥٧٠ رقم الترجمة (٥٦٩٢).

(٣) كانت البيعة بالحديبية سنة ٦هـ، وقد بايع المسلمون الرسول ﷺ على قتال أهل مكة لَمَّا قيل: إنهم قتلوا عثمان رضي الله عنه، «البداية والنهاية» ٤/ ١٨٩، وسميت بيعةَ الرضوان من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(٤) من راوية البخاري عن جابر في ج٤، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم (٣٩٢٢، ٣٩٢٣) ص١٥٢٦.

تحت الشجرة»[١]، ومثل هذا الحديث الآخر: «إن أوليائي المتقون مَنْ كانوا وحيث كانوا»[٢].

ادعاء الولاية من بعض الكفار والمنافقين

و[٣]كما أن مِنَ الكفار مَنْ يدّعى أنه وليُّ الله وليس وليّاً لله (بل عدو له، فكذلك)[٤] من المنافقين الذين يظهرون الإسلام يقرون[٥] في الظاهر بشهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الإنس، بل إلى الثَّقلين الإنس والجن، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك؛ مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله، وإنما كان ملِكاً مطاعاً ساس الناس برأيه مِنْ جنس غيره مِنَ الملوك، أو يقولون: إنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب، كما يقوله كثير مِنَ اليهود والنصارى (أو أنه)[٦]

---

(١) رواه مسلم عن أم مبشر باختلاف يسير في بعض ألفاظه، ورواه أبو داود والترمذي عن جابر. وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، حديث رقم (٢٤٩٦) ص١٩٤٢؛ و«سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم (٤٦٥٣) ص٤١؛ «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة، حديث رقم (٣٩٥١) ص٣٥٧.

(٢) رواه أحمد عن معاذ بن جبل بلفظ: «إن أولى الناس بي». ورواه أبو داود وأبو نعيم عن ابن عمر.
انظر: «المسند» ٥/٢٣٥؛ «سنن أبي داود» ج٤، كتاب الفتن والملاحم، باب الفتن ودلائلها حديث رقم (٤٢٤٢) ص٤٤٢، ٤٤٣؛ «الحلية» ٥/١٥٨.

(٣) سقطت الواو من (أ)، (ب)، (د)، والمطبوعة.

(٤) في (ب): «بل عدو الله وكذلك».

(٥) في (ب)، (ج): «ويقرون». بزيادة الواو.

(٦) في (أ)، (ج)، (د): «أو يقول أنه».

مرسَلٌ إلى عامة الخلق، وأن لله أولياءَ خاصة لم يرسل إليهم (ولا يحتاجون)[1] إليه، بل لهم طريق إلى الله مِنْ غير جهته. كما كان الخضر[2] مع موسى، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه، وينتفعون به من غير واسطة، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها. وأما الحقائق الباطنة فلم يُرسَلْ بها (أو لم)[3] يكن يعرفها أو هم أعرف بها منه أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته.

إبطال ما يزعمه أدعياء الولاية في أهل الصفة

وقد يقول بعض هؤلاء: إن أهل الصفّة كانوا مستغنين عنه، ولم يرسَلْ إليهم، ومنهم مَنْ يقول: إن الله أوحى إلى أهل الصفّة في الباطن (ما أوحى إليه)[4] ليلة المعراج، فصار أهل الصفّة بمنزلته، وهؤلاء ـ مِنْ فَرْطِ جهلهم ـ لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وأن الصفّة لم تكن إلا بالمدينة، وكانت صفّة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون

(١) في (د): «ولم يحتاجوا إليه».
(٢) وهو صاحب موسى، قيل: إنه نبي، وقيل: عبد صالح، والجمهور قالوا بنبوته، لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا مَنْ فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي مَنْ ليس بنبي. وقد اختلف في اسمه ونسبه وحياته على أقوال كثيرة، ذكرها ابن كثير في تاريخه.
انظر: «تفسير القرطبي» ١١/١٦؛ «البداية والنهاية» ١/٣٥٥.
(٣) في (د): «ولم».
(٤) في (ب): «ما أوحى الله إليه». وفي (ج)، (د): «بما أوحاه إليه».

عندهم، فإن المؤمنين كانوا يهاجرو إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فمَنْ أمكنَه أن ينزل في مكان نزل به ومَنْ تَعَذَّرَ (عليه ذلك)[١] نزل في المسجد إلى أن يتيسَّر له مكان ينتقل إليه.

ولم يكن أهل الصفّة ناساً بأعيانهم يلازمون الصفّة، بل كانوا يقلّون تارة ويكثرون أخرى، ويقيم الرجل بها (أياماً)[٢] ثم ينتقل منها، والذين ينزلون بها (هم من جنس سائر)[٣] المسلمين، ليس لهم مزيَّةٌ في علم ولا دين، (بل فيهم)[٤] مَنِ ارتدَّ عن الإسلام، وقَتَلَهُ النبي ﷺ كالعرنيين[٥] الذين اجتَوَوُا المدينة، (أي)[٦] استوخموها، (فأمر لهم)[٧] النبي ﷺ بلقاح؛ أي: إبل لها لبن، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحُّوا قتلوا الراعي، واستاقوا[٨] الذَّوْدَ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم، فَأُتِيَ بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل[٩] أعينهم، وتركهم في

(١) في (أ)، (ب)، المطبوعة: «ذلك عليه».
(٢) في (ب)، المطبوعة: «زماناً». (٣) في (د): «من سائر».
(٤) في (ج)، (د): «بل كان فيهم».
(٥) نسبة إلى (عُرَيْنَة) قبيلة من ولد قحطان، وقد سميت بذلك نسبة إلى الموضع الذي بين منى وعرفات. وكان قدومهم إلى المدينة سنة ٦هـ.
انظر: «فتح الباري» ٢/ ١٣١؛ «المصباح المنير» ص٤٠٦.
(٦) في (ب): «واستوخموها». ومعنى اجتووا المدينة: كرهوا المقام فيها، وأصابهم الضرر من ذلك، وفي رواية: استوخموها، وهو بمعناه، وقد أصابهم هذا بسبب الحمى التي كانت بالمدينة، والتي ورد أن النبي ﷺ دعا الله أن ينقلها إلى الجحفة. انظر: «فتح الباري» ٢/ ١٣١، ١٣٢.
(٧) في (ب)، المطبوعة: «فأمرهم». (٨) في (ب): «وساقوا».
(٩) في (ج)، (د)، والمطبوعة: «وسمرت».
والسمل والسمر متطابقان. يقال: سمر العين: كحَلَها بالمسمار المحمى. =

الحرة يستسقون فلا يُسْقَوْنَ. وحديثهم في «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس[(٢)] وفيه: أنهم نزلوا الصفّة، فكان ينزلها مثل هؤلاء. ونزلها من خيار المسلمين: سعد بن أبي وقاص[(٣)] وهو أفضل مَنْ

= وفسر السمر بأن يدني من العين حديدة مَحمَّاة حتى يذهبَ نظرها، فيطابق الأول بأن تكون الحديدة مسماراً.

وقد اختلف العلماء في عقوبتهم هذه، فذهب جماعة ـ منهم ابن الجوزي ـ إلى أن ذلك وقع عليهم على سبيل القصاص؛ لأنهم سملوا أعين الرعاة، وروى قتادة عن ابن سيرين أن قصتهم كانت قبل أن تنزل الحدود، ولابن عقبة في المغازي «أن النبي ﷺ نهى بعد ذلك عن المُثْلة، بالآية التي في سورة المائدة»؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾. وإلى هذا مال البخاري، وحكاه إمام الحرمين في النهاية عن الشافعي. والله أعلم.

(١) انظر: «صحيح البخاري» ج٦، كتاب المحاربين من أهل الكفر والرد باب لم يسق المرتدون.. حديث رقم (٦٤١٩) ص٢٤٩٥؛ «صحيح مسلم» ج٣، كتاب القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين، حديث رقم (١٦٧١) ص١٢٩٦، ونزولهم الصفة هي من رواية البخاري.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأحد المكثرين من الرواية عنه، شهد بدراً وهو غلام يخدم الرسول ﷺ ولم يكن في سن المقاتلين، توفي سنة ٩٣هـ (بالطَّفِّ) على فسخين من البصرة.

انظر: «الاستيعاب» ١/ ١٠٩ ـ ١١١، ت٨٤؛ «الإصابة» ١/ ١٢٦ ـ ١٢٨، ت٢٧٧؛ «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧ ـ ٢٦.

(٣) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن أهيب، ويقال: وهيب بن عبد مناف الزهري، أبو إسحاق. أسلم قديماً، وهاجر قبل رسول الله ﷺ. شهد بدراً والمشاهد كلها، وهو أحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وكان مجابَ الدعوة مشهوراً بذلك، ومناقبه كثيرة، توفي في قصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة، ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٩٠؛ و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٨٣.

نزل بالصفّة، ثم انتقل عنها. ونزلها أبو هريرة وغيره، وقد جمع أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي[١] (تاريخ من نزل الصفّة)[٢].

وأما الأنصار، فلم يكونوا مِنْ أهل الصفّة، وكذلك أكابر المهاجرين: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة[٣] والزبير[٤]

---

(١) محمد بن الحسين بن موسى أبو عبد الرحمٰن السلمي النيسابوري الأزدي الأب، السُّلمي الأم. نسب إلى جده أبي عمرو إسماعيل بن نجيد السلمي، له عناية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم، وسنناً وتاريخاً، وجمع شيوخاً وتراجمَ وأبواباً، كثير التصنيف والجمع، إلا أنه ضعيف. مولده سنة ٣٣٠هـ، ووفاته سنة ٤١٢هـ في نيسابور.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٤٦، ت٩٦٣؛ «البداية والنهاية» ١٢/ ١٤.

(٢) ذكره حاجي خليفة باسم (تاريخ أهل الصفوة). وقال عنه الهجويري: (ألف ـ يعني أبا عبد الرحمٰن السلمي ـ تاريخاً كسره على أهل الصفة، ذكر فيه فضائلهم وأسماءهم). ولكني لم أعثر على الكتاب مطبوعاً، ولم أجد من أشار إليه مخطوطاً ممن ذكروا مؤلفات أبي عبد الرحمٰن السلمي، وقد غلط من ظنه نفس كتاب (طبقات الصوفية). وقد ذكر ابن تيمية الكتابين كلّاً منهما مستقلّاً عن الآخر في «مجموع الفتاوى» ١١/ ٤٣.
انظر: «كشف الظنون» ١/ ٢٨٦؛ «كشف المحجوب» للهجويري ص٢٨٩

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي، أبو محمد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر، روى عن النبي ﷺ. ضرب له الرسول ﷺ بسهم وأجر في بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وكان يقال له الفياض لجوده، توفي يوم الجمل سنة ٣٦هـ وله ٦٤هـ ودفن بالبصرة.
انظر: «الإصابة» ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣، ت٤٢٧٠؛ و«طبقات ابن سعد» ٣/ ٢١٤ ـ ٢٢٥.

(٤) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أبو عبد الله. حواري رسول الله ﷺ. أسلم وله من العمر اثنتا عشرة سنة، هاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولم يتخلف عن غزوة غزاها الرسول ﷺ، وهو أحد المبشرين =

وعبد الرحمٰن بن عوف[١] وأبي عبيدة بن الجراح[٢] وغيرهم لم يكونوا من أهل الصفّة.

حكم ما يروى من الأحاديث في عدة الأولياء والأبدال وأمثلة ذلك

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة[٣] وأن النبي ﷺ قال: «هذا واحد من السبعة». وهذا الحديث كذب باتفاق

= بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر. توفي في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ رضي الله عنه.

انظر: الإصابة ٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٨ ت٢٧٩١، البداية والنهاية ٧/ ٢٧١.

(١) أبو محمد عبد الرحمٰن بن عبد عوف بن الحارث القرشي، الزهري. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمٰن، أسلم مبكراً، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عيّنهم عمر، وكان كثيرَ المال، كثيرَ الإنفاق في سبيل الله. توفي سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع رضي الله عنه.

انظر: «الإصابة» ٤/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠، ت٥١٨٣؛ «البداية والنهاية» ٧/ ١٧٨.

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري، أبو عبيدة. أسلم مبكراً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً وما بعدها، وثبت مع الرسول ﷺ يوم أحد، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثناياه، وهو أمين هذه الأمة، وولاه عمر قيادة جيوش الشام، ففتح الله على يديه، توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ، ودفن بفحل من أرض الأردن.

انظر: «الإصابة» ٣/ ٥٨٦ ـ ٥٩٠، ت٤٤٠٣؛ «طبقات ابن سعد» ٣/ ٤٠٩ ـ ٤١٥.

(٣) أبو عبد الله المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، يقال له مغيرة الرأي، أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام والعراق، وولاه عمر فتوحاً كثيرة، توفي وهو أمير على الكوفة من قبل معاوية سنة ٥٠هـ، وهو ابن ٧٠ سنة.

انظر: «الإصابة» ٦/ ١٩٧ ـ ٢٠٠، ت٨١٨٥؛ «البداية والنهاية» ٨/ ٥٢ ـ ٥٣.

أهل العلم، وإن كان قد رواه[١] أبو نعيم[٢] في «الحلية»[٣]، وكذلك كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة[٤] الأولياء[٥]

---

(١) لم أجده في الحلية، وإنما رأيت فيها ذكر (هلالاً) مولى المغيرة، قال روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليدخلنَّ مِنْ هذا الباب رجلٌ ينظر الله إليه». قال: فدخل ـ يعني هلالاً ـ فقال له ﷺ: «صلِّ عليَّ يلا هلال». فقال: (فما أحبك على الله وأكرمك عليه).
انظر: «الحلية» ٢/ ٢٤.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني: من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات، قال عنه الذهبي: صدوق تُكُلِّمَ فيه بلا حجة، لا أعلم له ذنباً أكثر من رواية الموضوعات ساكتاً عنها، له مؤلفات، منها «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» و«تاريخ أصفهان» وغيرهما، مولده في سنة ٣٣٦هـ، ووفاته في سنة ٤٣٠هـ بأصبهان.
انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٧٥ ـ ٧٦، «ميزان الاعتدال» ١/ ١١١، ت٤٣٨.

(٣) اسمه الكامل «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» تأليف أبي نعيم، قال عنه ابن تيمية: «إنه من أجود الكتب المصنفة في أخبار الزهاد، ذكر فيه المتقدمين والمتأخرين منهم. وهو كغيره لا يخلو من أحاديث وحكايات باطلة، إلا أن الغالب عليه الصحة»، وهو مطبوع في عشرة أجزاء مجموعة في خمس مجلدات، وقد اختصره ابن الجوزي في مؤلف سماه «صفوة الصفوة».
انظر: «مجموع الفتاوى» ١٠/٣٦٨، ١٨/ ٧١، ٧٢؛ «كشف الظنون» ٢/ ٦٨٩.

(٤) في (ب)، (ج): «في عدد».

(٥) الولي في اللغة: «القريب»، وفي الشرع: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، وفي اصطلاح الصوفية: من تولَّى الحق أمره، وحفظه من العصيان، ولم يخله نفسه بالخذلان، حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجاء. وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ١١/ ٦٢: «الولي مشتق من الولاء وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد، فولي الله؛ من والاه بالموافقة له في محبوباته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته». =

والأبدال(١) والنقباء(٢) والنجباء(٣) والأوتاد(٤) والأقطاب(٥) مثل:

= انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٤٧؛ «فتح الباري» ٢٤/ ١٣٧؛ اصطلاحات الصوفية للسمرقندي ص٢٠.

(١) الأبدال: مأخوذ من التبديل، وهو التغيير، وعند الصوفية الأبدال هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له كما بينه المؤلف.
انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٣٢؛ «اصطلاحات الصوفية» للسمرقندي ص٨.

(٢) النقيب في اللغة: كالأمين والكفيل، وفي اصطلاح الصوفية: النقباء: هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر، لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثمائة. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له، وهو باطل؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله.
انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ١٩٧، كتاب التعريفات للجرجاني ص٢٦٦.

(٣) في اللغة: النجيب من الرجال: هو الرجل الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم. انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ١٢٥. وفي اصطلاح الصوفية: النجباء هم: الأربعون المشغولون بحمل أثقال الخلق، وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية، فلا يتصرفون إلا بحق الغير.
انظر: كتاب التعريفات للجرجاني ص٢٥٩. وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له، ولا يقوم على دليل، وهو مناقض للشرع؛ إذ الشرع يأمر بالسعي لمصلحة النفس والغير. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

(٤) الوتد في اللغة: ما رزّ في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد، يقال: وتدتُه: أي أثبته.
انظر: «لسان العرب» ٣/ ٤٤٤، وفي اصطلاح الصوفية: الأوتاد هم: الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات؛ لكونهم محالَّ نظره تعالى. وهذا لا أصل له كما بينه المؤلف.
انظر: «اصطلاحات الصوفية» للسمرقندي ص٧.

(٥) القطب في اللغة: القائم الذي تدور عليه الرحى. وقطب القوم: سيدهم. =

أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء مِنْ هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال. ورُوِيَ فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً، وأنهم بالشام، وهو في «المسند» من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو حديث منقطع ليس بثابت[1]. ومعلوم أن عليّاً ومَنْ معه مِنَ الصحابة أفضل مِنْ معاوية[2] ومَنْ معه بالشام، فلا يكون أفضل

= انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٤.
وفي «اصطلاح الصوفية»: القطب: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل. وقد بين المؤلف أن هذا لا أصل له.
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص١٨٥.

(١) لفظه في «المسند»: عن علي بن أبي طالب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشامُ، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيثُ، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف على أهل الشام بهم العذاب».
انظر: «المسند» ١/ ١١٢، وإنما كان منقطعاً؛ لأنه من رواية شريح بن عبيد الحضرمي، ولم يدرك عليّاً. تحقيق أحمد شاكر للمسند ٢/ ١٧١.

(٢) معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وشهد حنيناً واليمامة، وروى عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة، وكان يكتب الوحي للرسول ﷺ. وهو يعد من دهاة العرب، ولّاه عمر الشام وأقره عثمان، وبعد مقتل عثمان طالب بدمه ولم يبايع عليّاً، ثم حصلت الفتنة، ولما جاء الحسن بن علي صَالَحَ معاويةَ فاجتمع عليه الناس، فصار أميراً للمؤمنين، وسمي ذلك العامُ بعامِ الجماعة، توفي في رجب سنة ٦٠هـ، ودفن بدمشق.
انظر: «الإصابة» ٦/ ١٥١، ت٨٠٧٤؛ «البداية والنهاية» ٨/ ١٢٧.

الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي، وقد (أخرجا)[١] في «الصحيحين» عن أبي سعيد[٢] عن النبي ﷺ أنه قال: «تمرُقُ مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين، يقتلهم أوْلَى الطائفتين بالحق»[٣]، وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية[٤] الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابُه، فدلّ هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب (وأصحابه)[٥] أولى بالحق مِنْ معاوية وأصحابه، فكيف[٦] يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون

---

(١) في (أ) (د): «جاء».

(٢) هو الصحابي الفاضل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، لم يشهد أُحداً لصغر سنه، وشهد الخندق وما بعدها، وكان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، كثير الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه خلق من التابعين، وجماعة من الصحابة. توفي سنة ٧٣هـ.
انظر: «الإصابة» ٣/ ٧٨ ـ ٨٠، ت٣١٩٨، «البداية والنهاية» ٩/ ٤.

(٣) ليست عند البخاري قوله: (يقتلهم أولى الطائفتين بالحق). بل هو من رواية مسلم وأحمد وأبي داود.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٤١٤) ص١٣٢١؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤) ص٧٤١ ـ ٤٧٦؛ «المسند» ٣/ ٢٣، ٤٨؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، حديث رقم (٤٦٦٧) ص٥٠.

(٤) هم الذين خرجوا على علي في صفين، وسُمُّوا بالخوارج الحرورية لانحيازهم إلى حروراء بعد رجوعهم من صفين، وعددهم يومئذٍ اثنا عشر ألفاً، وقد ناظرهم علي رضي الله عنه فرجع بعضهم وقاتل الباقين حتى هزمهم.
انظر: الفرق بين الفرق ص٧٥ ـ ٨١؛ «الفتاوى» ٣/ ٢٧٩.

(٥) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب)، المطبوعة.

(٦) في (أ)، (ب)، المطبوعة: «وكيف».

أعلاهما. وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد[١] منشد:

قد لسعت حيَّةُ الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شُغِفْتُ به فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد[٢] حتى سقطت البردة عن منكِبيه[٣]، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذَبُ منه ما يرويه بعضهم أنه فرق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلّقها بالعرش[٤].

فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة[٥] برسول الله ﷺ أنه مِنْ أظهر الأحاديث كذباً عليه.

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كان النبي ﷺ

---

(١) في (أ)، (د): «أنشده».

(٢) الوجد عند الصوفية: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلُّف وتصنُّع، فإذا وصل إلى وجود الحق فَقَدَ العبد أوصاف البشرية؛ لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. فالتوحيد بداية والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما.
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص٢٥.

(٣) في (ج)، والمطبوعة: «منكبه».

(٤) ساق هذه القصة بسنده السهروردي في كتابه «عوارف المعارف»، ثم أنكر صحتها. وقال الذهبي: عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها «قد لسعت حية الهوى كبدي»، وفنَّدها الفُتَّني في (تذكرة الموضوعات).
انظر: «عوارف المعارف»، للسهروردي ص١٤٧؛ «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/ ١٦٤؛ «تذكرة الموضوعات» للفتني ص١٩٧، ١٩٨.

(٥) في (ب): «أهل العلم والمعرفة بسنة رسول الله».

وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي»[١] وهو[٢] كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

والمقصود هنا[٣] أن فيمن يقرّ برسالته العامَّة في الظاهر مَنْ يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، فيكون منافقاً وهو يدّعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياءُ الله، مع كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول ﷺ إمَّا عناداً وإمَّا جهلاً، كما أن كثيراً مِنَ النصارى واليهود يعتقدون[٤] أنهم أولياءُ الله، وأن محمداً رسول الله، لكن[٥] يقولون: إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب، وأنه لا يجب علينا اتباعه؛ لأنه أرسل إلينا رسولاً قبله، فهؤلاء كلُّهم كفار، مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله، وإنما أولياء الله (هم)[٦] الذين وصفهم الله تعالى (بولايته)[٧] بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

بد في الإيمان ـن الإيمـان جميع الكتب لرسل

ولا بدّ في الإيمان من أن يؤمن العبد[٨] بالله وملائكته وكتبه

(١) قال عنه ابن القيم رحمه الله: إنه مما وضعه جهلة المنتسبين إلى السنة في فضائل الصديق رضي الله عنه.
«المنار المنيف» ص١١٥.
(٢) في (ج)، (د): «فهو».
(٣) في (أ)، (ج)، (د): «ها هنا».
(٤) في (أ)، (ج)، (د): «يعتقدون في الباطن أنهم».
(٥) في (ب): «ولكن».
(٦) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ج)، (د)، والمطبوعة.
(٧) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٨) في (ب)، المطبوعة: «من أن يؤمن بالله».

ورسوله واليوم الآخر، ويؤمن[1] بكل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

وقال تعالى في أول السورة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

لا بد في الإيم
من الإيمان ب
محمداً خات
النبيين

ولا بدّ[2] في الإيمان من أن يؤمن[3] أن محمداً ﷺ خاتم

---

(١) في (ب): «فيؤمنو».
(٢) في (أ)، والمطبوعة: «فلا بد».
(٣) في (ب)، المطبوعة: «تؤمن».

النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن[١]. فكل[٢] من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين، ومَنْ آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر ليس بمؤمن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

لا طريق إلى الله إلا ما جاء به محمد ﷺ

ومن الإيمان به: الإيمان بأنه هو[٣] الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه؛ فالحلال: ما أحلّه الله ورسوله، والحرام: ما حرَّمه الله ورسوله، والدين: ما شرعه الله ورسوله ﷺ.

فمَنَ اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من[٤] غير متابعة محمد ﷺ فهو: كافر[٥] من أولياء الشيطان.

وأمَّا خَلْقُ اللهِ تعالى للخلق، ورزقُه إيَّاهم، وإجابتُه لدعائهم، وهدايتُه لقلوبهم، ونصرُهم على أعدائهم، وغيرُ ذلك مِنْ جلب المنافع ودفع المضارِّ، فهذا لله وحدَه، يفعله بما يشاء مِنَ الأسباب، لا يدخل في مثل هذا واسطة الرسل[٦].

---

(١) في (ج)، المطبوعة: «الجن والإنس».
(٢) في (ب): «وكل».
(٣) سقط الضمير من (أ)، (هـ).
(٤) سقط حرف الجر من (د).
(٥) سقطت كلمة «كافر» من (هـ).
(٦) في (ب): «لا يدخل مثل هذا في واسطة الرسل». وفي (ج): «وساطة الرسل».

كفر من لم يؤمن بجميع ما جاء محمد ﷺ وإن بلغ ما بلغ في الزهد والعبادة

ولو[١] بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم[٢] ما بلغ ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ولا ولي لله تعالى؛ كالأحبار[٣] والرهبان[٤] من علماء اليهود والنصارى وعبادهم، وكذلك المنتسبون إلى العلم والعبادة من المشركين: مشركي العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان مِنْ حكماء الهند والترك (ومَنْ له)[٥] علم أو زهد وعبادة في دينه، وليس مؤمناً[٦] بجميع ما جاء به محمد[٧] فهو: كافر، عدوٌّ لله، وإن ظنَّ طائفة[٨] أنه وليٌّ لله، كما كان حكماء الفرس و[٩]المجوس[١٠] كفاراً مجوساً.

وكذلك حكماء اليونان ـ مثل: أرسطو[١١] وأمثاله ـ كانوا

---

(١) في المطبوعة: «ثم لو بلغ». (٢) في (هـ): «والعلم النافع».

(٣) الأحبار: علماء اليهود. انظر: «لسان العرب»، (حبر) ٤/١٥٧.

(٤) «الرهبان»: عُبَّاد النصارى. انظر: «القاموس المحيط»، فصل الراء، باب الباء ١/٧٩.

(٥) في (أ)، (ج)، والمطبوعة: «وله». وفي (هـ): «أوله».

(٦) في (ب)، (د): «بمؤمن».

(٧) في (هـ): «لم يرد اسم الرسول ﷺ».

(٨) في (د): «طائفته».

(٩) سقط حرف الواو من (أ)، (ج). وفي (ب). المطبوعة: أبدل بـ «من».

(١٠) المجوس: قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار، وأطلق هذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد، وهي كلمة فارسية.

انظر: «المعجم الوجيز» ص٥٧٣؛ «القاموس الفقهي» ص٣٣٧.

(١١) أرسطو، ويقال: أرسطاطاليس، وأرسطو طاليس، وهو الأقرب إلى الأصل اليوناني، وهو ابن نيقوماخس، من الحكماء المعروفين بالمشَّائين، وهو أول من وضع التعاليم المنطقية. وقد أخذ الحكمة عن أفلاطون اليونان، جعله فيلبس المقدوني أستاذاً لابنه الإسكندر، ولما ولي الإسكندر المملكة =

ـن الإسكندر ـمقدوني وزيره أرسطو و الشرك وليس الإسكندر ذي قرنين

مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل زمن[(١)] المسيح بثلاثمائة سنة، وكان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدون[(٢)]، (وهو الذي تؤرخ له تواريخ الروم واليونان ويؤرخ به اليهود والنصارى)[(٣)] وليس هذا هو ذا القرنين[(٤)] الذي ذكره الله في كتابه[(٥)]

= كان لا يبرم أمراً أو ينقضه إلا بإشارته. كان مولده قبل ميلاد المسيح بـ٣٨٤ سنة، وعُمِّرَ ٦٢ سنة.
انظر: دائرة المعارف ٣/ ٧٥.

(١) سقطت كلمة «زمن» من (أ)، (ج)، المطبوعة.

(٢) الإسكندر بن فيلبس المكدوني، ولد في (بلّا) سنة ٣٥٦ق.م، ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره تتلمذ على أرسطو. جلس على الملك بعد مقتل أبيه، وكان له من العمر ٢٠ سنة، حارب الفرس وانتصر عليهم، وهو الذي بنى مدينة الإسكندرية بمصر، وهو متأخر عن ذي القرنين المذكور في القرآن بدهر طويل يزيد على ألفي سنة، عاش ٣٣هـ سنة.
انظر: «دائرة المعارف» ٣/ ٥٤٥؛ «البداية والنهاية» ٢/ ١٥٥.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ب). وجاء في (د): «وهو الذي يؤرخ به الروم ويؤرخ له اليهود والنصارى». وفي (هـ): «وهو الذي يؤرخ له تاريخ الروم واليونان ويؤرخ به اليهود والنصارى».

(٤) اختلف في اسم ذي القرنين، وفي سبب تسميته بذي القرنين، وهل هو نبي أم رجل صالح، ومن ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سُئِل عن ذي القرنين: أنبيّاً كان؟ قال: كان عبداً صالحاً أحبَّ الله فأحبه، وناصَحَ الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسُمِّي ذا القرنين، ومَنْ خبره أن الله تعالى مكَّنه وملكه ودانت له الملوك ومُدَّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان وزيره الخضر، وقد يسمى بالإسكندر، ومعنى الإسكندر في اليونانية: آدمي جيد.
انظر: «تفسير القرطبي» ١١/ ٤٥؛ «روح المعاني» للألوسي ١٦/ ٢٤.

(٥) قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣].

كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين، لِمَا رأوْا أن ذلك اسمه الإسكندر وهذا قد يسمى[(١)] بالإسكندر. فظنوا أن هذا ذاك (كما يظنه ابن سيناء[(٢)] وطائفة معه)[(٣)]، وليس الأمر كذلك. بل هذا الإسكندر المشرك ـ الذي كان أرسطو وزيره ـ متأخر عن ذلك، ولم يبن هذا السد[(٤)] ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج.

وهذا الإسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف[(٥)].

---

(١) في (ج)، (د): «تسمى».

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء، أصله من بلخ، ومولده في بخاري سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلم بها، وطاف البلاد، وناظَرَ العلماء، وتقلد الوزارة في همذان، فثار عليه الجند ونهبوا بيته، ثم توجه إلى أصبهان، وعاد في آخر أيامه إلى همذان، وتوفي بها سنة ٤٢٨هـ، وقال عنه ابن تيمية: (تكلم ابن سيناء في أشياءَ مِنَ الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، وبلغتها علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين، كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد).
انظر: «وفيات الأعيان» ٢/١٥٧؛ «الرد على المنطقيين» ص١٤١، ١٤٢.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٤) السد المذكور في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

(٥) ويسمى أيضاً بالسرياني، والعجمي، وقد اختلف في أوله؛ فقيل: يوم الاثنين من أول سنة من سني ولايته، وقيل: أول السنة السابعة، وهي سنة خروجه لتملك البلاد، وقيل: أوله السنة التي مات فيها.
انظر: «روح المعاني» للألوسي ١٦/٢٦.

في أصناف المشركين من مشركي العرب، ومشركي الهند، والترك واليونان، وغيرهم مَنْ له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة، ولكن ليس بمتَّبعٍ للرسل، ولا مؤمنٍ بما جاؤوا به، ولا يصدقهم بما أخبروا به، ولا يطيعهم فيما أمروا. فهؤلاء ليسوا بمؤمنين، ولا أولياءَ لله، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم، فيكاشفون ببعض الأمور، ولهم تصرفات خارقة[(١)] من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسَّحَرَة الذين تنزل عليهم الشياطين. قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ

(١) خارق العادة: هو كل أمر جاء مخالفاً لما جرت عليه العادة التي عهدها البشر، فإذا كان ما جرى مِنْ ذلك على يد (نبي) سُمِّي (معجزةً) ويصحبها التحدي، ولا يستطيع أحد الإتيانُ بمثلها، وهو أنواع. وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب بعض معجزات الرسول ﷺ. وإذا جرى الأمر الخارق للعادة على يد ولي مِنْ أولياء الله سُمِّيَ (كرامةً) ولا يصحبها التحدي، وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب أمثلة كثيرة من كرامات الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم. وإذا جر الأمر الخارق على يد وليٍّ مِنْ أولياء الشيطان، فقد لا يكون خرقاً للعادة حقيقة، فهو إما أن يكون خداعاً أو حيلاً أو تخييلاً وأعمالاً يقوم بها الشيطان، كالذي يظهر على أيدي السحرة والدجالين. وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب أنواعاً من ذلك.
و(المخاطبة) و(المكاشفة) و(المشاهدة) داخلة ضمن ما ذكر: فإذا كان ما جرى للعبد: سماع ما لا يسمعه غيره، سُمِّيَ (مخاطبةً)، وإذا رأى ما لا يراه غيره ـ يقظةً أم مناماً ـ سُمِّيَ (مشاهدةً)، وإذا علم ما لا يعلمه غيره ـ وحياً أو إلهاماً أو فراسةً صادقةً ـ سُمِّيَ (مكاشفةً). وقد يسمى ذلك كلُّه (كشفاً) ومكاشفةً، أي: كُشِفَ له عنه.
وهذا التقسيم للأمر الخارق للعادة هو تقسيم كثير مِنَ المتأخرين، أما الأئمة المتقدمون؛ كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، فيطلقون اسم (المعجزة) على كل خارق للعادة، ويسمونها (الآيات).
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص١٨٤، و«مجموع الفتاوى» ١١/ ٣١١.

عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

وهؤلاء جميعهم (الذين)[١] ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات، إذا لم يكونوا متَّبعين للرسل، فلا بدّ أن يكذبوا وتكذِّبهم شياطينهم، (ولا بدّ أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور)[٢]، مثل نوع مِنَ الشرك أو الظلم أو الفواحش (أو الغلو أو البدع في العبادة)[٣] ولهذا تنزَّلت[٤] عليهم الشياطين، واقترنت بهم، فصاروا مِنْ أولياء الشيطان لا مِنْ أولياء الرحمٰن.

[٥]قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]. وذكر الرحمٰن هو الذكر الذي بعث به رسوله ﷺ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن، ولم[٦] يصدق خبره ولم يعتقد وجوب أمره، فقد أعرض عنه، فيقيض له الشيطان فيقترن به. قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦]. فدلّ ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها، ولهذا لو ذكر الرجلُ اللهَ ـ سبحانه ـ دائماً ليلاً ونهاراً

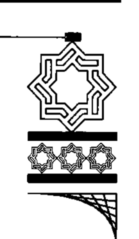
---

(١) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ج)، والمطبوعة. وفي (ب): «والذين».
(٢) في (د): «أن يكونوا في إثم وفجور».
(٣) ما بين القوسين سقط من (ب)، (هـ).
(٤) في (د): «نزلت».
(٥) في (ب): «فصل».
(٦) سقطت «لم» من: (أ)، (ج)، (د)، المطبوعة.

مع غاية في الزهد، وعَبَدَه مجتهداً (في عبادته)[١]، ولم يكن متبعاً لِذِكْرِه الذي أنزله وهو القرآن: كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء (وعلى الماء)[٢]، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع[٣].



(١) في (أ)، (د): «في ذلك».
(٢) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب)، والمطبوعة.
(٣) انظر: مناظرة المؤلف لدجاجلة البطائحية، «مجموع الفتاوى» ١١/ ٤٤٥ - ٤٧٦.



فصل

اجتماع الإيمان والنفاق في الشخص الواحد

ومن الناس من يكون فيه إيمان وفيه شُعبةٌ مِنْ نفاق، كما في[1] «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو[2] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانت فيه خَصلةٌ منهن كانت فيه خَصلةٌ مِنَ النفاق حتى يَدَعَها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر»[3]. وفي «الصحيحين» أيضاً[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) في (أ)، (ج): «كما جاء في الصحيحين».

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، من خيار الصحابة وعلمائهم وعُبَّادهم، أسلم قبل أبيه، وكتب عن النبي ﷺ كثيراً، يقول أبو هريرة: «ما كان أحدٌ أكثرَ حديثاً عن رسول الله ﷺ منِّي إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب». وكان واسع العلم، مجتهداً في العبادة، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية، توفي بالشام سنة ٦٥هـ، وقيل: إنه توفي بمكة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر.
انظر: «الإصابة» ٤/ ١٩٢ ـ ١٩٤، ت٤٧٥٠؛ و«البداية والنهاية» ٨/ ٢٨٤.

(٣) في (ج): «وإذا خاصم فجر»، وكل من الخصلتين جاءتا في رواية البخاري ومسلم.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم (٣٤) ص٢١؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (٥٨) ص٧٨، وليس عند مسلم: وإذا ائتمن خان.

(٤) كلمة «أيضاً» سقطت من (ب)، (ج)، (د).

«الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة مِنَ الإيمان»[1].

فبيّن النبي ﷺ أن مَنْ (كان)[2] فيه خَصلةٌ مِنْ هذه الخصال ففيه خصلة مِنَ النفاق حتى يَدَعَها.

وقد ثبت في «الصحيحين»[3] أنه قال لأبي ذر[4] وهو من خيار المؤمنين[5]: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[6]، فقال: يا رسول الله

(١) لفظه عند البخاري: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان». أما عند مسلم، فكما أورده المؤلف باختلاف يسير. وأخرجه أيضاً أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، حديث رقم (٩) ص١٢؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٥٨) ص٦٣؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء، حديث رقم (٤٦٧٦) ص٥٥؛ «سنن الترمذي» ج٤، كتاب الإيمان، باب في استكمال الإيمان، حديث رقم (٢٧٤٦) ص١٢٣؛ «سنن ابن ماجه» ج١، المقدمة باب في الإيمان، حديث رقم (٥٧) ص٢٢.

(٢) ما بين القوسين سقط من (ج)، (د).

(٣) في (ب)، (هـ): «في الصحيح». وفي (د): «في الصحيح عنه».

(٤) هو أبو ذر الصحابي الجليل الزاهد المشهور، اختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بنُ جُنادة بن سكن. كان مِنَ السابقين إلى الإسلام، وكان يوازي ابنَ مسعود في العلم، روى عن النبي ﷺ. وله مناقب وفضائل كثيرة، توفي بالرَّبَذَة سنة ٣٢هـ.
انظر: «الإصابة» ٧/ ١٢٥؛ «تهذيب التهذيب» ١٢/ ٩٠.

(٥) في (د): «المسلمين».

(٦) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم (٣٠) ص٢٠، وكذلك ج٥، كتاب الأدب، باب ما ينهى مِنَ السباب واللعن، رقم الحديث (١٦٦١) ص١٢٨٢.

أعلى كبر سني؟ قال: «نعم». وثبت(١) في «الصحيح» عنه أنه قال: «أربع في أمتي مِنْ أمر الجاهلية: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم»(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». (وفي «صحيح مسلم»)(٣): «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»(٤).

وذكر البخاري عن ابن أبي(٥) مُلَيْكَة أنه قال: «أدركت

---

(١) في (أ)، (د): «وقد ثبت»، وفي (د): «تكرار»: عنه أنه قال. وهو خطأ.

(٢) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري، بنحو ما ذكره المؤلف.
انظر: «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (٩٧٤) ص٦٤٤.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ب). ومسلم هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسين النيسابوري، الحافظ، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، ثقة جليل القدر، وهو صاحب الصحيح الذي هو تِلْوُ صحيح البخاري عند أكثر العلماء، وله غيره مِنَ المؤلفات، كانت ولادته سنة ٢٠٤هـ، وتوفي سنة ٢٦١ بنيسابور.
انظر: «تهذيب التهذيب» ١٠/١٢٦ ـ ١٢٨، ت٢٢٦؛ «البداية والنهاية» ١١/٣٨ ـ ٤٠.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث (٣٣) ص٢١، «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث (٥٩) ص٧٨.

(٥) هكذا في (جـ)، وفي بقية النسخ: أبي مليكة، بإسقاط (بن) وهو خطأ. =

ثلاثين مِنْ أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧].

فقد جعل هؤلاء إلى الكفر أقربَ منهم للإيمان، فعلم أنهم مخلِّطون، وكفرُهم أقوى، وغيرهم (يكون مخلطاً وإيمانه يكون)[٢] أقوى.

فاضل أولياء الله ومـردود هـذا لتفاضل

وإذا كان أولياءُ الله هم المؤمنين المتقين[٣] فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمَنْ كان أكملَ إيماناً وتقوى كان أكملَ ولايةً لله، فالناس متفاضلون[٤] في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله (بحسب)[٥] تفاضلهم في الكفر والنفاق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

= وهو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي، تابعي ثقة كثير الحديث، كان قاضياً، لابن الزبير ومؤذناً له، ولادته سنة ١١٧هـ، ووفاته سنة ٢١٧هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٥/٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(١) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن مِنْ أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ص٢٦.

(٢) في (ب): «مختلط وإيمانهم».

(٣) في (ب): «المؤمنون المتقون».

(٤) في (د): «يتفاضلون».

(٥) ما بين القوسين سقط من (د).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد: ١٧].

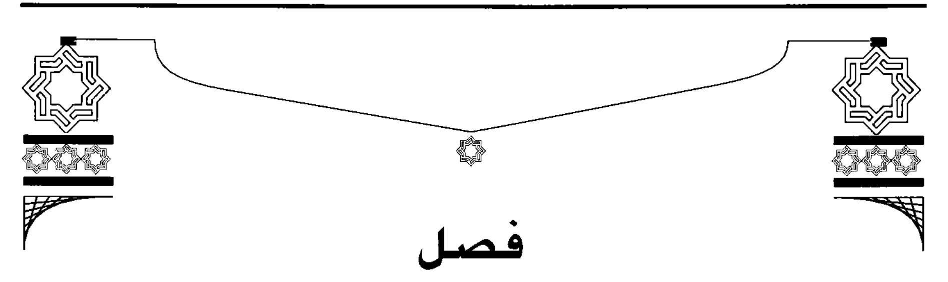
وقال تعالى[1]: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

فبيّن ﷻ أن الشخص الواحد قد يكون فيه قِسْطٌ مِنْ ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسط مِنْ عداوة الله بحسب كفره ونفاقه. وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].



---

(١) في (جـ): اختلف ترتيب نهاية الفصل، فجاء هكذا: وقال تعالى في المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾. وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾. فبين ﷻ أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، ويكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه.



الفصل الثالث

فصل

أولياء الله على طبقتين

وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقرّبون، و[١]أصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم[٢] الله في عدة[٣] مواضع مِنْ كتابه العزيز[٤]، في أول سورة[٥] الواقعة وفي[٦] آخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر، فإنه ﷻ ذكر في الواقعة القيامةَ الكبرى في أولها، وذكر[٧] القيامة الصغرى في آخرها، فقال في أولها:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١ ـ ١٤].

---

(١) وفي (ب): «وأبرار أصحاب يمين مقتصدون».
(٢) في (أ)، (ج)، المطبوعة: «وذكرهم».
(٣) كلمة «عدة» سقطت من (أ).
(٤) كلمة «العزيز» سقطت من: (ب)، (ج).
(٥) كلمة «سورة» سقطت من: (ج)، (د).
(٦) في (أ)، (ب)، المطبوعة: «وآخرها».
(٧) كلمة «ذكر» سقطت من «د».

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين، كما وصف الله ـ سبحانه ـ ذلك في كتابه في غير موضع، ثم قال تعالى في آخر السورة:

﴿فَلَوْلَآ﴾ ـ أي فهلا ـ[1] ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٤ ـ ٩٦].

وقال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾[2] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٣ ـ ١٢].

وكذلك ذكر[3] في سورة المطففين قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ

---

(١) ما بين الشرطتين ليس في «د».
(٢) في (ب)، (د): «أورد من الآيات إلى قوله: ﴿وَلَا شُكُورًا﴾».
(٣) ليس في (ب) قوله: «ذكر».

=

ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾
[المطففين: ٧ ـ ٢٨].

وعن[١] ابن عباس[٢] رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا: يمزج[٣]

= أما في سورة فاطر التي أشار إليها المؤلف في أول الفصل، فهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. وسيأتي المؤلف عليها في الفصل التالي.

(١) في (ب)، (ج): «فعن».

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ. حبر هذه الأمة ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له: الحبر والبحر، روى عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً، وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق كثير من الصحابة، وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه، وقد دعا له الرسول ﷺ بقوله: «اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». كانت ولادته سنة ٣ قبل الهجرة، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ.

انظر: «الإصابة» ٤/ ١٤١ ـ ١٥٢، ت٤٧٨٤؛ «البداية والنهاية» ٨/ ٣١٧ ـ ٣٣٠.

(٣) في (أ): «قالوا: هو يمزج».

لأصحاب اليمين مزجاً، ويشرب[١] بها المقربون صرفاً[٢]، وهو كما قالوا[٣]؛ فإنه تعالى قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل يشرب منها؛ لأنه ضمن قوله: يشرب؛ يعني: يروى، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى. فإذا قيل: يشربون[٤] منها لم يدل على الرّي، فإذا[٥] قيل: يشربون[٤] بها، كان المعنى: يروون[٦] بها، (فالمقربون يروون بها)[٧] فلا يحتاجون معها إلى ما دونها[٨]، فلهذا يشربون منها صرفاً بخلاف أصحاب اليمين، فإنها مُزِجت لهم مزجاً، وهو كما قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

فعباد الله هم: المقربون المذكورون في تلك السورة.

وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ نفَّس عن مؤمن كُربةً مِنْ كُرَبِ الدنيا نفَّس الله عنه كُربَةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة، ومَنْ يسَّر عن مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم

---

(١) في (د): «ويشربها».
(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ٣/٦٩.
(٣) في (ب): «وهو كما قال».
(٤) في (ج)، (د)، (هـ): «يشرب».
(٥) في (د): «وإذا».
(٦) في (د): «يروى».
(٧) ما بين القوسين سقط من (أ)، (د).
(٨) في (ب)، (ج)، (د)، (هـ): «إلى ما هو دونها».
وزاد في (د) بعد قوله: إلى ما دونها: «فلا يشربون معها غيرها».

في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهمُ السكينةُ، وغشيتهمُ الرحمةُ وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومَنْ بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبُه»[1]. رواه مسلم (في صحيحه)[2].

وقال ﷺ: «الرَّاحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء»[3]. قال الترمذي: حديث صحيح. وفي الحديث (الآخر الصحيح)[4] الذي في السنن يقول الله تعالى: «أنا الرحمٰن، خلقت الرَّحِمَ، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلتُه، ومَنْ قطعها بتتّه»[5]. وقال:

---

(١) الحديث عن أبي هريرة، انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث (٢٦٩٩) ص٢٠٧٤.
ورواه أيضاً ابن ماجه وأبو داود بعضه.
انظر: «سنن ابن ماجه» ج١، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث (٢٢٥) ص٨٢؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب الأدب، باب في المعونة للمسلم، رقم الحديث (٤٩٤٦) ص٢٣٤.

(٢) ما بين القوسين سقط من (ب)، (د).

(٣) رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
انظر: «سنن أبي داود» ج٥، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم الحديث ٤٩٤١ ص٢٣١، «سنن الترمذي» ج٣، أبواب البر والصلة، ما جاء في رحمة الناس، رقم الحديث (١٩٨٩) ص٢١٧.

(٤) ما بين القوسين سقط من (أ)، (د)، (هـ).

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الرحمٰن بن عوف، وقال الترمذي حديث صحيح.
انظر: «المسند» (١/ ١٩١، ١٩٢) وكذلك ٢/ ٤٩٨؛ «سنن أبي داود» ج٢، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم الحديث (١٦٩٤) ص٣٢٢؛ =

«ومن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[١]، ومثل هذا كثير.

عمل المقربين وأصحاب اليمين

وأولياء الله تعالى (على نوعين)[٢] مقربون وأصحاب يمين[٣] كما تقدم[٤]، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء، فقال: «يقول الله تعالى: مَنْ عادى لي وليّاً، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه[٥]. فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[٦]، فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف[٧] عن فضول المباحات.

= «سنن الترمذي» ج٣، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، رقم الحديث (١٩٧٢) ص٢١٠.

(١) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو، وقال: حسن صحيح. ورواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ: «إن الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرحمٰن، فقال الله: مَنْ وصلكِ وصلتُه، ومَنْ قطعكِ قطعتُه». رواه مسلم عن عائشةَ بلفظ: «الرَّحِمُ معلّقة بالعرش، تقول: مَنْ وصلني وصله الله، ومَنْ قطعني قطعه الله».
انظر: «سنن الترمذي» ج٣، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الله، رقم الحديث (١٩٨٩) ص٢١٧؛ «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الأدب، باب مَنْ وصل وصله الله، رقم الحديث (٥٦٤٢) ص٢٢٣٢؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث (٢٥٥٥) ص١٩٨١.

(٢) في (ب)، (ج)، (د): «نوعان».

(٣) في (ب): «وأصحاب اليمين».

(٤) ص٤٤.

(٥) في (ب)، (ج)، (د): «وقف عند هذا الحد من الحديث».

(٦) تقدم هذا الحديث في ص٨.

(٧) في (ب): «والكف».

انقسام الأنبياء نحو انقسام الأولياء

وأما السابقون المقربون، فتقربوا إليه[(١)] بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه[(١)] بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته[(٢)] أحبهم الرب[(٣)] حبّاً تامّاً[(٤)] كما قال تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه»[(٥)]؛ يعني الحب المطلق، كقوله تعالى[(٦)]: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ[(٧)] غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

أي: أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

فهؤلاء المقرَّبون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ فكانت أعمالهم كلُّها عباداتٍ لله، فشربوا صرفاً، كما عملوا صرفاً.

والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم، فلا يعاقَبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفاً، بل مزج لهم مِنْ شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا.

---

(١) في (ب)، (د): «إلى الله تعالى».
(٢) في (أ)، المطبوعة: «من محبوباتهم»، وفي (ب): «من المحبوبات».
(٣) في (د): «الله».
(٤) كلمة «تامّاً» سقطت من (ب).
(٥) جزء من الحديث القدسي المتقدم.
(٦) في (أ): «المطلق كما في قوله تعالى». وفي (ج): «المطلق التام المذكور في قوله تعالى».
(٧) في (ج) وقف عند هذا الحد من الآية.

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول، ونبي ملِك، وقد خيَّر الله ـ سبحانه ـ محمد ﷺ بين أن يكون عبدَاً رسولاً وبين أن يكون نبيَّاً مَلِكَاً، فاختار أن يكون عبدَاً رسولاً[١].

فالنبي الملِك مثل: داود وسليمان ونحوهما ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [صٓ: ٣٥ ـ ٣٩].

أي: أعْطِ مَنْ شئتَ واحرم مَنْ شئتَ لا حساب عليك.

فالنبي الملِك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرَّم الله عليه، (ويتصرف في الولاية والمال بما يحب ويختار مِنْ غير إثم عليه)[٢].

وأما العبد الرسول فلا يعطي أحدَاً إلا بأمر ربه، لا يعطي مَنْ يشاء، بل يعطي مَنْ أمره[٣] ربُّه بإعطائه، ويولِّي مَنْ أمره[٣] ربُّه بتوليته[٤]، فأعماله كلُّها عبادات لله تعالى. كما في (صحيح

---

(١) روى أحمد عن أبي هريرة، قال: جلس جبريل إلى ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل: «إن هذا المَلَك ما نزل مند يوم خُلِقَ قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، قال: أفملِكاً نبيّاً يجعلك أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد قال: بل عبداً رسولاً».

انظر: «المسند» ٢/ ٢٣١.

(٢) ما بين القوسين سقط من (ب). (٣) في (ب): «أمر».

(٤) في (أ)، (د): «ويوالي من أمر بولايته».

البخاري)[١] (عن أبي هريرة رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «إني والله لا أعطي أحداً، ولا أمنع أحداً، إنما أنا قاسم أضع حيث أُمِرْتُ»[٢]. ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية[٣] إلى الله والرسول[٤]؛ كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله[٥]: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ولهذا كان أظهر أقوال[٦] العلماء أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر[٧]، كما هو

---

(١) في (ج): «الصحيح».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، أبواب الخمس، باب قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، رقم الحديث (٢٩٤٩) ص١١٣٤؛ و«مسند أحمد» ٢/ ٤٨٢. ورواه مسلم من حديث معاوية بلفظ: «إنما أنا قاسم ويعطي الله».
انظر: «صحيح مسلم» ج٣، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٩) ص٧١٩.

(٣) الأموال الشرعية: ثلاثة أصناف، ما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، وقد سماه الله تعالى: أنفالاً وغنائم، وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب، وقد سماه فيئاً، وما خرج من أموال المسلمين كالزكاة والنذر والقُرَب، وقد سماه صدقة.
انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٥٨.

(٤) في (ب): «وإلى الرسول».

(٥) في (أ)، المطبوعة: «وقوله تعالى».

(٦) في (أ)، (ب)، (ج)، (د)، (هـ): «قول العلماء».

(٧) في (ب): «بحسب اجتهاده في الأمر».

مذهب مالك[١] وغيره مِنَ السلف[٢]، ويذكر هذا[٣] رواية[٤] عن أحمد[٥].

وقد[٦] قيل في الخُمُس: إنه يقسم على خمسة، كقول[٧] الشافعي[٨] وأحمد..

---

(١) مالك بن أنس ـ مالك الحميري ـ أبو عبد الله المدني الفقيه، أحد أعلام الإسلام، إمام دار الهجرة في زمانه، روى عن غير واحد من التابعين، وحدث عنه خلق من الأئمة، ومناقبه كثيرةٍ جدّاً، وثناء الأئمة عليه أكثر، كان ثقة مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجةً، وهو أحد الأئمة الأربعة، وهو صاحب «الموطَّأ». مات سنة ١٧٩هـ، ودفن بالبقيع.
انظر: «البداية والنهاية» ١٠/١٩٨؛ «تهذيب التهذيب» ١٠/٥ ـ ٩؛ «حلية الأولياء» ٦/٣١٦ ـ ٣٥٦.

(٢) انظر ذلك في: «المدونة الكبرى» للإمام مالك ١/٣٨٦ في قسم الفيء وأرض الخراج والخمس، وكذلك في ص٣٩٠ في باب «السلب».

(٣) سقط اسم الإشارة من (أ)، (د).

(٤) انظر هذه الرواية في «المغني» ٦/٤١٦.

(٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو عبد الله. ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، وطاف البلاد والآفاق في طلب العلم حتى صار إماماً في الحديث والفقه والتقوى والزهد، فكان علماء عصره يبجلونه ويحترمونه، وزاد قدره بعد وقفته أمام المبتدعة الذين قالوا بخلق القرآن، وإليه ينسب المذهب الحنبلي، وله مؤلفات كثيرها أشهرها (المسند). توفي سنة ٢٤١هـ، وحضر جنازته خلق كثير.
انظر: «حلية الأولياء» ٩/١٦١ ـ ٢٣٤؛ «البداية والنهاية» ١٠/٣٦٨ ـ ٣٨٩.

(٦) في (د): «.. وقيل».

(٧) انظر هذا في: «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ٢/٢٤٧.

(٨) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي، أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير، وحملته أمه إلى مكة، فنشأ بها، وقرأ =

(في المعروف عنه)[١]، وقيل: على ثلاثة، كقول[٢] أبي حنيفة[٣] (رحمه الله)[٤].

والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل مِنَ النبي الملِك، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام أفضل مِنْ يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، كما أن المقربين السابقين أفضلُ مِنَ الأبرار أصحاب اليمين، الذين ليسوا مقربين سابقين، فمَنْ أدّى ما أوجب عليه وفعل مِنَ المباحات ما يحبه[٥] فهو من هؤلاء[٦]، ومَنْ كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله فهو مِنْ أولئك[٧].



= القرآن، وحفظ الموطأ، وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ والأئمة، وروى عنه خلق كثير، انتقل في البلاد حتى استقر في مصر، وصنف بها كتابه «الأم». وبها توفي سنة ٢٠٤هـ.
انظر: «حلية الأولياء» ٩/ ٦٣ ـ ١٦١؛ «البداية والنهاية» ١٠/ ٢٨٤.

(١) ما بين القوسين سقط من (ب)، (د).
انظر قول أحمد هذا في: «المغني» ٦/ ٤٠٤.

(٢) انظر قول أبي حنيفة هذا في: «المبسوط» لشمس الدين السرخسي ١٠/٨، ٩.

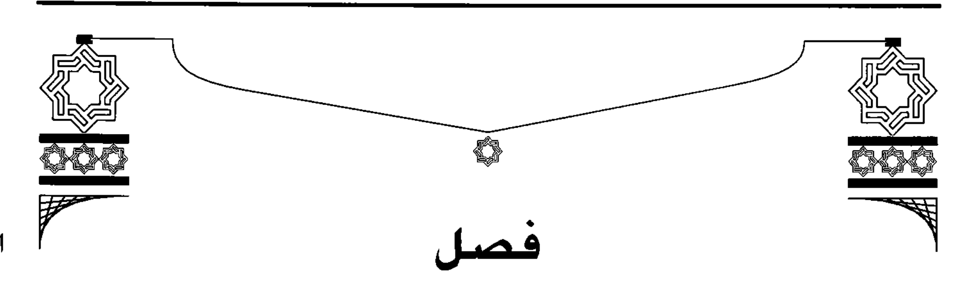
(٣) هو الإمام النعمان بن ثابت التَّيْميُّ الكوفي، أبو حنيفة. أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب الحنفي، وهو أقدم الأئمة، وكان ثقة من أهل الصدق. وقد ضربه ابن هبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضياً، وكان مولده في الكوفة سنة ٨٠هـ، وتوفي في بغداد سنة ١٥٠هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٣/ ٤١٥ طبع دار هجر بتحقيق التركي؛ «الأعلام» ٨/ ٣٦.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ج)، (د).

(٥) في (ج): «ما يحبه الله». وهو خطأ.

(٦) أي من الأبرار أصحاب اليمين.

(٧) أي من السابقين المقربين.



الفصل الرابع

فصل

تفسير آية فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ...﴾ الآية بأصناف المصطفين من هذه الآية وأنهم يدخلون الجنة

و[١]قد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٥].

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه (الآية هم: أمة محمد ﷺ خاصة)[٢]، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وأمة محمد ﷺ هم الذين أُورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصّاً بحفاظ القرآن، بل كل مَنْ آمن بالقرآن فهو مِنْ هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم نفسه ومقتصد وسابق

---

(١) في (ج): سقط لفظ الفصل، وجاء في أول الكلام، وأما سورة فاطر فقد ذكر الله ﷻ فيها صفة أوليائه المقتصدين.

(٢) في (ب): «الأمة خاصة».

بالخيرات[(١)] بخلاف الآيات التي في الواقعة[(٢)] والمطففين[(٣)] والإنسان[(٤)] والانفطار[(٥)] فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة، كافرهم ومؤمنهم، وهذا[(٦)] التقسيم لأمة محمد ﷺ:

فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرون عليها.

والمقتصد: المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق بالخيرات[(٧)]: هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات.

[(٨)]ومن تاب من ـ ذنبه أي ذنب كان ـ توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

---

(١) قوله: «بالخيرات» سقطت من المطبوعة.

(٢) من الآية ١ ـ ١٤، ومن الآية ٨٣ ـ ٩٦، وقد سبق ذكرها في ص٤٤.

(٣) من الآية ٧ ـ ٢٨ وقد سبق ذكرها في ص٤٥، ٤٦.

(٤) من الآية ٣ ـ ١٢ وقد سبق ذكرها في ص٤٥.

(٥) في (أ)، (ب)، (هـ)، المطبوعة: «لم تذكر سورة الإنسان».

(٦) في (ب)، (ج): «وهنا».

(٧) في (أ)، والمطبوعة: «للخيرات».

(٨) من هنا وحتى نهاية الآية سقط من (ب).

وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾[١] مما يَستدِلُّ به أهل السنّة على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد.

تواتر السنن بدخول كثير من أهل الكبائر النار وخروجهم منها

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النارَ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبينا محمد ﷺ لأهل[٢] الكبائر، وإخراج[٣] مَنْ يخرج مِنَ النَّار بشفاعته ﷺ وشفاعة غيره[٤].

تأويل المعتزلة والمرجئة لآية فاطر والرد على الطائفتين

فمن قال: إن أهل الكبائر مُخَلَّدون[٥] في النار، وتأوَّل الآية على أن السابقين هم الذين يدخلونها فقط[٦]، وأن المقتصد[٧] و[٨]الظالم لنفسه لا يدخلها، كما تأوَّله[٩] مَنْ تأوَّله مِنَ المعتزلة[١٠]،

---

(١) باعتبار الضمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ راجع إلى الأصناف الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ...﴾ الآية.

(٢) في (ب)، (ج): «في أهل». (٣) في (ب): «وخروج».

(٤) في (ب): «انتهى الفصل هنا، وسقط بقيته».

(٥) في (د): «يخلدون».

(٦) كلمة «فقط» في (د)، وبقية النسخة ليست فيها.

(٧) ليس في (ج) قوله: «المقتصد».

(٨) في (هـ)، المطبوعة: «أو» بدل الواو. ويؤيد ما أثبت في النص ما أورده القرطبي في تفسيره، قال: «وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر، فيكون ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ للذين سبقوا بالخيرات لا غير، وهذا قول جماعة من أهل النظر».

انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٤٦.

(٩) في (د): «كما تأول ذلك المعتزلة».

(١٠) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، وسُمُّوا المعتزلة؛ لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري. ومِنْ مذهبهم أن مرتكب الكبيرة إذا مات مِنْ غير توبة يستحق الخلود في النار.

=

فهذا مقابل بتأويل[1] المرجئة[2] الذين لا يقطعون بدخول أحد مِنْ أهل الكبائر النار، ويزعُمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنةَ مِنْ غير[3] عذاب، وكلاهما مخالف للسنّة المتواترة عن النبي ﷺ ولإجماع سلف الأمة وأئمتها.

وقد دلّ على فساد قول الطائفتين قوله تعالى (في آيتين من كتابه، وهو قوله تعالى)[4]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

(فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء)[5]، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب، كما يقوله من يقوله مِنَ المعتزلة؛ لأن الشرك يغفره الله لمن تاب، وما دون الشرك يغفره الله أيضاً للتائب، فلا يعلّق[6] بالمشيئة، ولهذا لمَّا ذكر المغفرة للتائبين قال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

= انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ١/٥٦، ٦٠؛ و«الفرق بين الفرق» ص١١٤.

(١) في (ج): «لتأويل».

(٢) المرجئة: سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان. والإرجاء بمعنى التأخير. ومن معتقدهم: أنه لا يضر مع الإيمان معصية.
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ١/١٨٦؛ «الفرق بين الفرق» ص٢٠٢.

(٣) في (أ)، (ج)، (د): «بلا عذاب».

(٤) ما بين القوسين سقط من (ج).

(٥) ما بين القوسين سقط من (ج).

(٦) في (أ)، (هـ): «فلا تعلق».

فهنا عمّم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أيَّ ذنب تاب منه، فمن تاب مِنَ الشرك غفر الله له، ومَنْ تاب مِنَ الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفره[١] الله له. ففي آية التوبة[٢] عمّم وأطلق، وفي تلك الآية[٣] خصّص وعلّق.

فخصّ الشرك بأنه لا يغفره، وعلّق ما سواه على مشيئته[٤] (ونبّه بالشرك على ما هو أعظم منه)[٥] كالتعطيل للخالق، وهذا يدل على فساد قول مَنْ يجزم بالمغفرة لكل مذنب، أو يجوّز أن لا يعذب بذنب[٦] فإنه لو كان كذلك لَمَا ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له بلا توبة ولا حسناتٍ ماحيةٍ لم يعلّق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض، فبطل النفي[٧] والعفو العام[٨].

---

(١) هكذا في (ج) وفي بقية النسخ بحذف الضمير.

(٢) المراد بآية التوبة هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، وتسمى بآية التوبة؛ لأن الله أخبر بها بأنه يتوب على مَنْ تاب، ولو كان قد قتل وزنا أو افتتن، كما جاء في سبب نزولها.
انظر: «زاد المسير» ٧/ ١٩٠.

(٣) الآية: ٤٨ من سورة النساء التي سبق ذكرها.

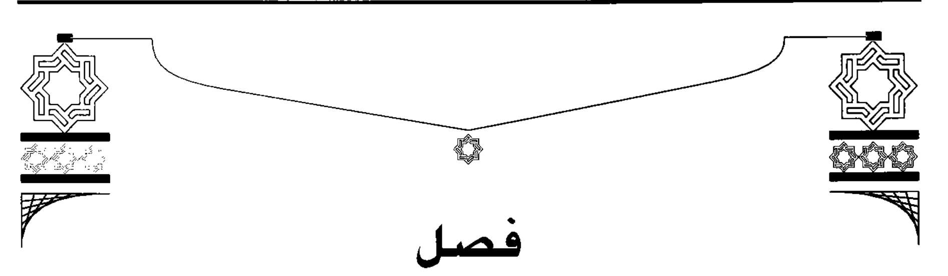
(٤) في (ج)، المطبوعة: «المشيئة»، وزاد بعدها في المطبوعة: «ومن الشرك التعطيل للخالق».

(٥) ما بين القوسين سقط من (هـ)، (و).

(٦) في (ج)، المطبوعة: «مذنب».

(٧) يعني نفي المغفرة، وهو قول المعتزلة.

(٨) والعفو العام، وهو قول المرجئة.



فصل

الفصل الخامس

تفاضل الناس في الولاية والعداوة

وإذا كان أولياء الله ﷻ هم المؤمنين المتقين[(١)] والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أنهم لَمّا كانوا[(٢)] متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.

وأصل الإيمان والتقوى هو[(٣)]: الإيمان برسل الله، وجِمَاعُ[(٤)] ذلك الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله.

شرط العذاب قيام الحجة

وأصل الكفر والنفاق هو: الكفر بالرسل وبما جاؤوا به[(٥)]، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبُه العذابَ في الآخرة، فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا

(١) في (ب): «المؤمنون المتقون». (٢) في (ج): «إذا كانوا».
(٣) سقط اسم الإشارة من (أ)، (ج)، (د)، والمطبوعة.
(٤) في (ب): «وجميع»، وفي (د): «وإجماع».
(٥) في (د): «وما جاؤا به».

قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥].

وقال تعالى عن أهل النار[١]: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩].

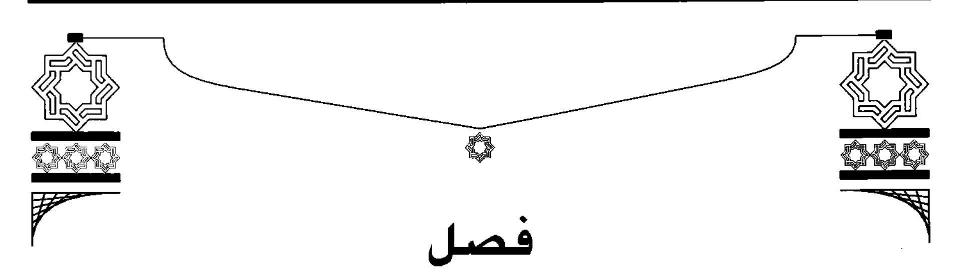
فأخبر أنه كلَّما أُلقِيَ في النار[٢] فوج أقرّوا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدلّ ذلك على أنه لا يُلقى فيها إلا[٣] مَنْ كذَّب النذير.

وقال تعالى في خطابه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [صٓ: ٨٥].

فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومَنِ اتَّبعه. فإذا[٤] ملئت بهم لم يدخلْها غيرهم، فعلم أنه لا يدخل النارَ إلا مَنِ اتَّبع الشيطان[٥]، وهذا يدل على أنه لا يدخلها مَنْ لا ذنبَ له، فإنه ممن لم يتَّبعِ الشيطان، ولم يكن مذنباً[٦] وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها[٧] إلا مَنْ قامت عليه الحجة بالرسل.

---

(١) في (ب): «وقال تعالى حكاية عن أهل النار».
(٢) في (ب): «ألقي فيها فوج».
(٣) في (أ): «... لا يلقى فيها فوج إلا...».
(٤) في (ب)، (د): «وإذا».
(٥) في (أ)، (ب)، (د): «إبليس».
(٦) في (جـ)، (د): «فإن من لم يتبع الشيطان لم يكن مذنباً».
(٧) في (أ)، (ب)، (د): «لا يدخل النار».



فصل

الفصل السادس

الإيمان يكون مجملاً ويكون مفصَّلاً

ومِنَ الناس مَنْ يؤمن بالرسل إيماناً عامّاً مجملاً[١]، وأمَّا الإيمان المفصل: فيكون[٢] قد[٣] بلغه كثير مما جاءت به الرسل، (فآمن به إيماناً مفصلاً)[٤]، ولم يبلغْه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لآمن به (ولكن آمن)[٥] بما جاءت به الرسل إيماناً مجملاً، فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مَعَ إيمانه وتقواه[٦] فهو مِنْ أولياء الله (تعالى، له مِنْ ولاية الله بحسب)[٧] إيمانه وتقواه، وما لم تقم عليه الحجة به[٨] فإن الله تعالى لم يكلِّفْه معرفتَه والإيمانَ المفصلَّ به، فلا يعذبه على تركه، لكن يفوتُه مِنْ كمال ولاية الله بحسب ما فاته مِنْ ذلك.

فمن علم (بما جاء به الرسول)[٩] وآمن به إيماناً مفصلاً،

---

(١) سقط من (ب) قوله: «مجملاً».

(٢) أي: فيكون صاحب الإيمان المفصل

(٣) سقط من (د): «قد».

(٤) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب)، (هـ)، (و).

(٥) في (ب): «فآمن»، وفي (ج): «ولكن آمن».

(٦) سقط من (ب) قوله: «وتقواه».

(٧) في (ب): «ولاية بحسب».

(٨) سقطت من (ب): «به».

(٩) في (أ)، (د): «بما جاءت به الرسل)، وفي (ب): «ما جاء به الرسل»، =

وعمل به، فهو أكملُ إيماناً وولايةً لله مِمَّن لم يعلم ذلك مفصلاً ولم يعمل به، وكلاهما وليٌّ لله تعالى.

والجنة[١] درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم، قال الله (تعالى)[٢]: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١].

فبيّن الله ﷻ: أنه يمد مَنْ يريد الدنيا ومَنْ يريد الآخرة مِنْ عطائه، وأن عطاءه ما كان محظوراً مِنْ[٣] برٍّ ولا فاجر.

ثم قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

فبيّن الله ـ سبحانه ـ أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكبر مما يتفاضل الناس في[٤] الدنيا، وأن درجاتِها أكبرُ[٥] من درجات الدنيا.

= وفي (ج): «ما جاء به الرسول».

(١) في (ب): «وللجنة».

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «تبارك وتعالى».

(٣) في (ج): «عن».

(٤) في (ج): «. . . فيه في الدنيا. .».

(٥) في (ب): «أكثر».

بعض الأدلة على تفاضل النبيين والمؤمنين

وقد بيّن تفاضل أنبيائه (عليهم السلام)[١] كتفاضل سائر عباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٢].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة (وعمرو بن العاص رضي الله عنهما)[٣] عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[٤].

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ب)، (ج).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث (٢٦٦٤) ص٢٠٥٢.
ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة، «سنن ابن ماجه» ج١ مقدمة، باب في القدر، رقم الحديث (٧٩) ص٣١.

(٣) ما بين القوسين سقط من (د).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» ج٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد. . . رقم الحديث (٦٩١٩) ص٢٦٧٦؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد. . رقم الحديث (١٧١٦) ص١٣٤٢.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الحديد: ١٠].

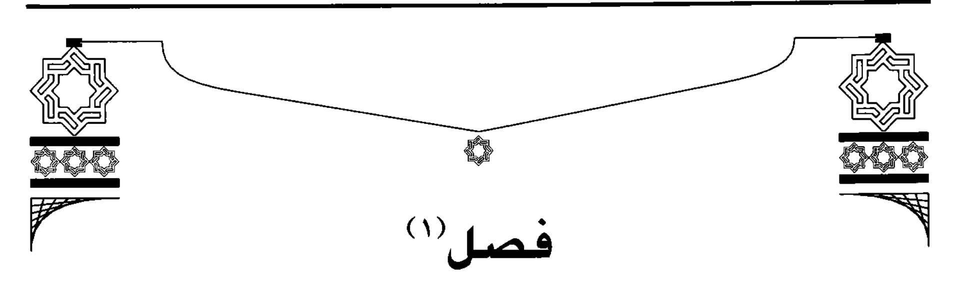
وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

❖ ❖ ❖



فصل[١]

فصل السابع

الإيمان والتقوى شرط في ولاية الله

وإذا كان العبد لا يكون وليّاً لله إلا إذا كان مؤمناً تقيّاً، لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وفي «صحيح البخاري» الحديث المشهور وقد تقدم، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه: «لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه»[٢].

ولا يكون مؤمناً تقيّاً حتى يتقرّب إلى الله بالفرائض، فيكون مِنَ الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرّب إليه[٣] بالنوافل حتى يكون مِنَ السابقين المقرّبين.

فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون وليّاً لله، وكذلك من لا يصحُّ إيمانه وعبادته وإنْ قُدِّرَ أنه[٤] لا إثم عليه؛ مثل: أطفال الكفار ومَنْ لم تبلغه الدعوة ونحوهم، وإن قيل: إنهم لا يعذَّبون حتى يرسل إليهم، فلا يكونون مِنْ أولياء الله (إذ

---

(١) سقط من (ب): «هذا الفصل بكامله».
(٢) تقدم في ص٩.
(٣) قوله: «وإليه» هي من (ج)، (د)، وسقطت من بقية النسخ. وفي (و): «إلى الله تعالى».
(٤) في (د): «... على أنه..».

لم يكونوا)[١] مِنَ المؤمنين المتقين.

فَمَنْ لم يتقرّب إلى الله، لا[٢] بفعل الحسنات ولا بترك السيئات، لم يكن مِنْ أولياء[٣] الله.

وكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي ﷺ قال: «يُرفَعُ القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيقَ، وعن الصبي حتى يحتلمَ، وعن النائم حتى يستيقظَ»[٤].

وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة[٥] رضي الله عنهما واتفق أهل المعرفة على تلقِّيه بالقَبول.

---

(١) في (أ)، والمطبوعة: «إلا إذا كانوا».

(٢) سقطت «لا» من: (أ)، (ج)، (د).

(٣) في (ج): «من أوليائه».

(٤) رواه أحمد عن عائشة. ورواه أبو داود وابن ماجه عن علي وعائشة. ورواه الترمذي عن علي. ورواه البخاري عن عليٍّ تعليقاً بصيغة الجزم. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
انظر: «مسند أحمد» ٦/ ١٠٠، ١٠١، ١٤٤؛ و«سنن أبي داود» ج٤، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق، رقم الحديث (٤٤٠٣) ص٥٦٠، وكذلك الحديث رقم (٤٣٩٨)؛ و«سنن ابن ماجه» ج١، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه، رقم الحديث (٢٠٤١) ص٦٥٨، وكذلك الحديث رقم (٢٠٤٢)؛ و«سنن الترمذي» ج٢، أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، رقم الحديث (١٤٤٦) ص٤٣٨؛ و«صحيح البخاري» ج٥، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره ص٢٠١٩.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه. تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بسنتين وهي بكر، ولم يتزوج بكراً غيرها. وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة. وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين. وكانت تقية عالمة بالطب والشعر. توفيت سنة (٥٨هـ)، ودفنت بالبقيع.
انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٥٠١؛ والإصابة: ٨/ ١٦، ت١١٤٥٧.

لكن الصبي[1] المميِّز تصح عبادته ويثاب عليها عند جمهور العلماء.

واع الجنون
حكم المجنون
ن حيث الإيمان
الكفر والولاية
العداوة

وأما المجنون الذي رفع عنه القلم، فلا يصح شيء مِنْ عبادته باتفاق العلماء، ولا يصح منه إيمان ولا كفر، ولا صلاة، ولا غير ذلك مِنَ العبادات، بل لا يصلح هو[2] عند عامة العقلاء لأمور الدنيا؛ كالتجارة والصناعة، (فلا يصح أن يكون)[3] بزازاً، ولا عطاراً، ولا حداداً، ولا نجاراً، ولا تصح[4] عقوده باتفاق العلماء، فلا يصح بيعُه، ولا شراؤه، ولا نكاحه، ولا طلاقه، ولا إقراره، ولا شهادته، ولا غيرُ[5] ذلك مِنْ أقواله، بل أقواله كلُّها لغو[6] لا يتعلق بها حكم شرعي، ولا ثواب ولا عقاب، بخلاف الصبي المميز؛ فإن له أقوالاً معتبَرَةً في مواضعَ بالنص والإجماع، وفي مواضعَ فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى، ولا التقرُّب إلى الله بالفرائض والنوافل[7] و[8]امتنع أن يكون ولياً لله، فلا يجوز (لأحد)[9] أن يعتقد أنه وليُّ الله، لا سيما أن تكون

---

(١) كلمة «الصبي» سقطت من (د).
(٢) سقط اسم الإشارة من (ج)، (د).
(٣) في (ج): «فلا يكون».
(٤) في (ج): «يصح».
(٥) في (ج): «وغير ذلك».
(٦) اللغو: السقط وما لا يُعتَدُّ به مِنْ كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.
انظر: «لسان العرب» ١٥/ ٢٥٠.
(٧) في (د): «ولا بالنوافل».
(٨) سقطت «الواو» من (ج).
(٩) ما بين القوسين سقط من (ج).

حجته على ذلك إما مكاشفةً[١] سمعها منه، أو نوع[٢] تصرف؛ مثل: أن يراه قد أشار إلى أحد[٣] فمات أو صُرِعَ، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين مِنَ المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرُّفات شيطانية، كالكُهَّان والسَّحَرَة وعُبَّاد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد[٤] ذلك على كون الشخص وليّاً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض (ولاية الله)[٥]، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؛ مثل: أن يعلم أنه لا يعتقد وجوبَ اتِّباعِ النبي ﷺ باطناً وظاهراً، بل يعتقد[٦] أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أنَّ لأولياء الله طريقاً إلى الله غير[٧] طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أو يقول: إن[٨] الأنبياء ضيَّقوا الطريق.

أو هم قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض مَنْ يدّعي الولاية.

فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان، فضلاً عن ولاية الله ﷻ. فمن احتجَّ بما يصدر عن أحدهم مِنْ خرق عادة على ولايتهم، كان أضلَّ مِنَ اليهود والنصارى.

وكذلك المجنون، فإن كونه مجنوناً يناقض أن يصحَّ منه

---

(١) مرّ تعريفها في ص٣٦.
(٢) في (ب)، المطبوعة: «أو نوع من تصرف».
(٣) في (ب)، المطبوعة: «واحد».
(٤) في (أ): «بمعجزة».
(٥) في (ج): «ولايته لله».
(٦) في (د): «بل لا يعتقد».
(٧) في (د): «من غير».
(٨) سقطت «إن» من (أ)، (د).

الإيمان والعبادات التي هي شرط في[١] ولاية الله.

ومَنْ كان يُجَنُّ أحياناً ويفيق أحياناً، إذا[٢] كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله، و[٣]يؤدي الفرائض ويجتنب المحارم، فهذا إذا جُنَّ لم يكن جنونُه مانعاً مِنْ[٤] أن يثيبَه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته[٥]، ويكون له مِنْ ولاية الله بحسب ذلك.

وكذلك مَنْ طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه، فإن الله يثيبه ويأجُره على ما تقدم مِنْ إيمانه وتقواه، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتُلِيَ به مِنْ غير ذنب فعله، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه.

فعلى[٦] هذا، فمَنْ أظهر الولاية[٧] وهو لا يؤدي الفرائض، ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك، لم يكن لأحد أن يقول: هذا[٨] ولي الله، فإن هذا إنْ[٩] لم يكن مجنوناً، بل كان متولهاً[١٠] مِنْ غير جنون، أو كان[١١] يغيب عقله بالجنون

---

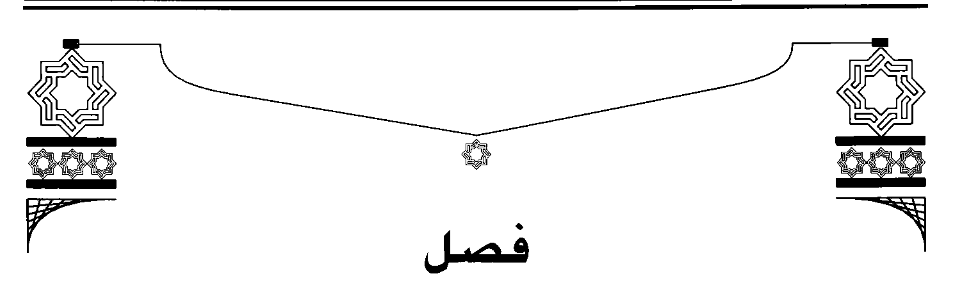
(١) سقطت «في» من (ج).
(٢) في (ج): «فإذا كان».
(٣) سقطت «الواو» من (ج)، (و).
(٤) سقطت «من» من (ج).
(٥) في (د): «فاقته».
(٦) في (ج)، (د)، (و): «وعلى».
(٧) في (و): «الوله».
(٨) في (أ)، (ج)، (و): «إن هذا».
(٩) سقطت «إن» من: (د).
(١٠) في (د): «متوالياً»، والوَلَهُ: هو التحيُّر وذَهاب العقل مِنْ شدة الوجد، وهو ما يصادف القلب مِنْ شهود وسلطان الحقيقة، أي شهود الربوبية بالقلب. على حد تعبير الصوفية.
انظر: «المعجم الوجيز» ص٦٨١؛ «الرسالة القشيرية» ص٣٤، ٤٣.
(١١) سقطت «كان» من (و).

تارة ويفيق أخرى، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتِّباعُ الرسول ﷺ فهو[١]: كافر، (ومَنِ اعتقد أنَّ هذا وليٌّ لله فهو، كافر أيضاً)[٢]، وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع[٣] عنه القلم، فهذا ـ وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ـ فليس هو مستحقّاً لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى مِنْ كرامة الله ﷻ[٤].

فلا يجوز على التقديرين[٥] أن يعتقد فيه أحد[٦] أنه وليٌّ لله، ولكن[٧] إن كان له حالةٌ في إفاقته كان فيها مؤمناً بالله متَّقياً: كان له مِنْ ولاية الله بحسب ذلك، [وإن كان له حال في إفاقته»[٨] فيه كفر أو نفاق، أو كان كافراً أو منافقاً ثم طرأ عليه الجنون، فهذا فيه مِنَ الكفر والنفاق ما يعاقَبُ عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته مِنْ كفر أو نفاق][٩].



(١) في (أ)، (د)، (و): «فهذا». (٢) ما بين القوسين سقط من (د).
(٣) في (أ)، (د): «رفع». (٤) في (د): «تعالى».
(٥) التقدير الأول: إذا كان يتظاهر بالجنون، والتقدير الثاني: إذا كان مجنوناً ظاهراً وباطناً.
(٦) سقطت «أحد» من (ح)، (د).
(٧) في (أ)، (ج)، (د): «لكن» بدون واو.
(٨) في (ج)، (د): «في حال إفاقته».
(٩) ما بين معقوفتين سقط من (و).



الفصل الثامن

فصل

ليس لأولياء الله ميزة في الظاهر عن غيرهم في أمور المباحات

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر مِنَ الأمور[1] المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس، إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلقِ شعر أو تقصيرِه أو ظَفْرِه إذا كان مباحاً، (كما قيل: كم مِنْ صِدِّيق[2] في قباء، وكم مِنْ زنديق[3] في عباء)[4]، بل يوجَدُون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا مِنْ أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجَدُون في أهل القرآن، وأهل العلم، ويوجَدُون[5] في أهل الجهاد والسيف، ويوجَدُون في التجار، والصنّاع، والزرّاع.

---

(١) في (ب): «من أمور».

(٢) الصِّدِّيق: مِنَ الصدق ضد الكذب، وهو مِنْ صَدَقَ بأمر الله وأمر رسوله ﷺ صِدْقٌ لا يتخالجه شك، وما أظهره لسانه وعمله يوافق ما في قلبه.
انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٣٥٥؛ و«التعريفات» للجرجاني ص١٧٢.

(٣) الزنديق: مَنْ يؤمن بالزندقة، فارسي معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق: مَنْ لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر. وعند الفقهاء الحنابلة والمالكية والشافعية: هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، وكان يُسمَّى في عصر النبوة منافقاً، فصار في العُرف الشرعي زنديقاً، وعند الحنفية: هو الذي لا ينتحل ديناً.
انظر: «القاموس الفقهي» ص١٦٠.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٥) في (أ)، (ج)، المطبوعة: «ويوجد».

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

ما يسمى به أهل الدين والعلم عند السلف والخلف

وكان السلف يسمون أهلَ الدين والعلم: القرَّاءَ، فيدخل فيهم: العلماء والنُّسّاك، ثم حدث بعد ذلك اسم: الصوفية والفقراء.

أصل مسمى الصوفية

واسم الصوفية: هو نسبة إلى لباس الصوف، هذا هو الصحيح، وقد قيل: إنه نسبة إلى صوفة القفا[1]، وقيل: إلى صوفة بن مُرّ بن إدٍّ بن طابخةَ[2]، قبيلة من العرب كانوا يعرفون

---

(١) في (أ)، (د)، (هـ). المطبوعة: «صفوة الفقهاء»، وفي (ب): «صفوة الصفا». وما أثبت في النص هو من (ج)، ويدل عليه قول ابن الجوزي: «قال آخرون: هو منسوب إلى صوفة القفا، وهي الشعيرات النابتة في مؤخره، كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق».
انظر: «تلبيس إبليس» ص١٦٣.

(٢) هو: الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. عاش في الجاهلية، ويقال له: صوفة؛ وذلك لأن أمه لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيطاً للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفة ولولده من بعده، وكان في الحج يلي الإجازة بالناس مِنْ عرفة لمكانه الذي كان به مِنَ الكعبة، وولي ذلك ولده مِنْ بعده حتى انقرضوا، ومَنْ قال: إن نسبة الصوفية إليه، فهو بسبب مشابهتهم إياه في التخلي عن الدنيا والانقطاع إلى العبادة والزهد. =

بالنسك[(١)]، وقيل: إلى أهل الصفّة، وقيل: إلى أهل[(٢)] الصفاء، وقيل: إلى الصفوة، وقيل: إلى الصف المقدَّم بين يدي الله تعالى.

وهذه أقوال ضعيفة، فإنه لو كان كذلك، لقيل: صُفِّيّ، أو صفائي، أو صفوي، أو صَفّي، ولم يُقَلْ[(٣)]: صوفي.

وصار[(٤)] اسم: الفقراء، يعني به أهل السلوك، وهذا عُرْفٌ حادث.

وقد تنازع الناس أيهما أفضل مُسَمَّى: الصوفي، أو مُسَمَّى: الفقير، ويتنازعون أيضاً[(٥)] أيهما أفضل الغني الشاكر، أو الفقير الصابر.

وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد[(٦)]، وبين أبي العباس[(٧)] بن عطاء، وقد رُويَ عن أحمد بن حنبل فيها روايتان.

= انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ١٢٥ ـ ١٢٧؛ «الروض الأنف» للسهيلي ٢/ ٣٦؛ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص١٦١، ١٦٢.

(١) في (أ)، (د): «بالنساك».

(٢) «أهل» سقط من (ب)، (ج)، (د). (٣) في (ب): «ولما قيل».

(٤) في (ب)، (ج)، (د): «وصار أيضاً».

(٥) «أيضاً»: سقطت من (د).

(٦) الجنيد بن محمد الزجاج، أبو القاسم. كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك يقال له: القواريري، أصله من نهاوند، مولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهاً يفتي الناس على مذهب أبي ثور، يعد من الزهاد، مات سنة ٢٩٧هـ ببغداد. انظر: «طبقات الصوفية» ص١٥٥؛ «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٤.

(٧) هو: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من مشايخ الصوفية وعلمائهم، صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز، وكان يعظم شأنه، توفي سنة ٣٠٩هـ أو ٣١١هـ. =

والصواب في هذا كلِّه ما قال الله (تعالى)[(١)]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل: أيُّ الناس أكرم؟[(٢)]، قال: «أتقاهم». قيل له: ليس عن هذا نسألك، فقال: «يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله». فقيل له: ليس عن هذا نسألك، قال: «عن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقِهوا»[(٣)].

فدلّ الكتاب والسنّة على[(٤)] أن أكرم الناس عند الله أتقاهم.

وفي «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسودَ على أبيضَ، ولا لأبيضَ على أسودَ، إلّا بالتقوى، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ مِنْ تراب»[(٥)].

= انظر: «طبقات الصوفية»، لأبي عبد الرحمٰن السلمي ص٢٦٥؛ «الحلية» ١٠/٣٠٢.

(١) في (أ)، المطبوعة: «تبارك وتعالى حيث قال».

(٢) هكذا في (ب)، وفي بقية النسخ «أفضل». والذي في (ب) هو لفظ الحديث.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ رقم الحديث (٣١٧٥) ص١٢٢٤؛ «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفضائل، باب فضل يوسف عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٧٨) ص١٨٤٦؛ «مسند الإمام أحمد» ٢/٤٣١؛ «مسند الدارمي» ج١، باب الاقتداء بالعلماء، ص٧٣.

(٤) «على» في (أ)، (د): «فقط».

(٥) رواه أحمد عن أبي نضرة، «المسند» ٥/٤١١، في حديث رجل من =

وعنه أيضاً ﷺ قال: «إن الله تعالى أذهب عنكم عُبِّيَّة[1] الجاهلية وفخرَها بالآباء، الناسُ رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ»[2].

فمن كان مِنْ هذه الأصناف (أتقى للهِ) فهو: أكرم عند الله، وإذا (استوى رجلان)[3] في التقوى استويا في الدرجة.

معنى الفقر في الشرع

ولفظ الفقر في الشرع يُرادُ به: الفقر مِنَ المال، ويُرادُ به[4]: فقر المخلوق إلى خالقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين مِنَ الفقراء: (أهل الصدقات وأهل الفيء)[5]. فقال في الصنف الأول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ

= أصحاب النبي ﷺ وأشار المؤلف في «اقتضاء الصراط المستقيم» ١/ ٣٦٣ إلى أن إسناده صحيح. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر: «مجمع الزوائد» ٨/ ٨٣ ـ ٨٥.

(١) العبية: الكبر.
انظر: «مجمع بحار الأنوار» ٣/ ٥٠٤.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي حديث حسن.
انظر: المسند ٢/ ٣٦١؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، رقم الحديث (٥١١٦)، ص٣٣٩؛ «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، رقم الحديث (٤٠٤٩، ٤٠٥٠، ص٣٩٠، ٣٩١).
وأشار المؤلف في «اقتضاء الصراط المستقيم» ١/ ٢١٦: بأنه صحيح.

(٣) في (ب)، (هـ)، المطبوعة: «استويا».

(٤) في (ب): «وقد يراد به».

(٥) في (ب): «أهل الصدق وأهل التقى».

﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

صفة المهاجرين

وقال في الصنف الثاني وهم أفضل الصنفين: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨].

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً، كما قال النبي ﷺ: «المؤمن مَنْ أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم، والمسلم مَنْ سلم المسلمون مِنْ لسانه ويده، والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه، والمجاهد مَنْ جاهد بنفسه في طاعة الله»(١). وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال ـ في غزوة تبوك(٢) ـ: «رجعنا مِنَ الجهاد الأصغر إلى

---

(١) قوله: «في طاعة الله» في من: (ب)، وبقية النسخ «في ذات الله»، وما في (ب) هو الموافق للفظ الحديث. وقد روى هذا الحديث بطوله أحمد عن فَضالة بن عُبيد، وروى بعضَه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، بألفاظ متقاربة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: «المسند» ٦/ ٢٢؛ «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث (١٠) ص١٣؛ و«سنن أبي داود» ج٣، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم الحديث (٢٤٨١) ص٩؛ «سنن الترمذي» ج٤، أبواب الإيمان، باب ما جاء المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث (٢٧٦٢) ص١٢٧؛ و«سنن النسائي» ج٨، كتاب الإيمان، باب صفة المسلم ص١٠٥.

(٢) غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة. وذلك لَمَّا أمر رسول الله ﷺ بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، سار معه ثلاثون ألفاً من المسلمين في زمن عسرة من الناس وشدة حر وجدب، ولذلك سمي بجيش العسرة، =

الجهاد الأكبر»[(١)] فلا أصل له، ولم يروه أحد مِنْ أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله.

جهاد الكفار من أعظم الأعمال

وجهاد الكفار مِنْ أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير[(٢)] رضي الله عنه

= وتمت المصالحة على دفع الجزية.
انظر: «البداية والنهاية» ج٥ ٣ وما بعدها.

(١) قال العجلوني: قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عُلَيَّة. والحديث في الإحياء. قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر.
انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني ١/ ٥١١.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله. صحابي جليل، =

قال: كنت عند النبي ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألَّا أعملَ بعد الإسلام إلا أن أسقيَ الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام إلّا أن أعمُرَ المسجد الحرام، وقال علي بن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتم، فقال عمر: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]: (﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ الآية)[2].

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود[3] رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قال: حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدتُه لزادني[4].

= ولد سنة ٢هـ. روى عن النبي ﷺ وكان شاعراً وخطيباً، تولى القضاء والإمارة في عهد معاوية، وتوفي وهو خارج من حمص سنة ٦٥هـ.
انظر: «الإصابة» ٦/ ٤٤٠، ت٨٧٣٤؛ «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٤٤٧، ٤٤٨، ت٨١٦.

(١) انظر: «صحيح مسلم» ج٣ كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم الحديث (١٨٧٩) ص١٤٩. ورواه أحمد في «المسند» ٤/ ٢٦٩.

(٢) ما بين القوسين من (د): «فقط».

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من علماء الصحابة ومن السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبيَّ ﷺ وكان صاحبَ نعليه، حدث عن النبي ﷺ كثيراً، له مناقب جمة. توفي سنة ٣٢هـ.
انظر: «الإصابة» ٤/ ٢٣٣؛ «تهذيب التهذيب» ٦/ ٢٧، ٢٨.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد =

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[1].

وفي «الصحيحين»[2]: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعه أو لا تطيقه». قال: فأخبرني به؟ قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد[3] أن تصوم ولا تفطر، وتقوم ولا تفتر»[4].

وفي «السنن» عن معاذ[5] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه وصاه لما

= والسير، رقم الحديث (٢٦٣٠)؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث (٨٥) ص٨٩.

(١) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الإيمان، باب من قال: إن الإيمان هو العمل، رقم الحديث (٢٦) ص١٨؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث (١٣٥) ص٨٨. والحديث عن أبي هريرة.

(٢) في (ب): «وفيه».

(٣) في (أ)، (هـ)، المطبوعة: «إذا خرج مجاهداً»، وفي بقية النسخ: «إذا خرج المجاهد»، وهذا موافق لما في الحديث.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير، رقم الحديث (٢٦٣٣) ص١٠٢٦؛ «صحيح مسلم» ج٣، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم الحديث (١٨٧٨) ص١٤٩٨. ورواه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٤.

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، له مناقب كثيرة، وقد أمّره النبي ﷺ على اليمن، وقدم منها في خلافة أبي بكر، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٧ =

بعثه إلى اليمن، فقال: «يا معاذ، اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(١).

وقال: «يا معاذ، إني لأحبك، فلا تَدَعْ أن تقول في دبر كل صلاة: اللّهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(٢).

وقال له وهو رديفه: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟»(٣) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه ألّا يعذبهم»(٤).

وقال أيضاً(٥) لمعاذ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده

= أو ١٨هـ، عاش أربعاً وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك.
انظر: «الإصابة» ٦/١٣٦، ت٨٠٤٣؛ و«تهذيب التهذيب» ١٠/١٨٦ ـ ١٨٨، ٣٤٧.

(١) رواه الترمذي وأحمد، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. رقم الحديث (٢٠٥٤) ص٢٣٩، ٢٤٩؛ «المسند» ٥/٢٢٨.

(٢) رواه أبو داود وأحمد.
انظر: «سنن أبي داود» ج٢، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، رقم الحديث (١٥٢٢) ص١٨٠، ١٨١؛ و«المسند» ٥/٢٤٥.

(٣) في (د): «ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً». وهي رواية البخاري في ج٣، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، رقم الحديث (٢٧٠١) ص١٠٤٩.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد.
انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم الحديث (٥٦٢٢) ص٢٢٢٤؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث (٣٠) ص٥٨، ٥٩؛ «المسند» ٥/٢٣٦.

(٥) كلمة «أيضاً» سقطت من (ب)، (ج)، وفي (ب): «يا معاذ».

الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». وقال: «يا معاذ ألا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

ثم قال: «يا معاذ، ألا أخبرك بما هو أملَكُ لك مِنْ ذلك؟» فقال: «أمسِكْ عليك لسانك هذا»، فأخذ بلسانه، قال: يا رسول الله، وإنَّا لَمُؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكِلتك أمُّك يا معاذ، وهل يكبّ الناسَ في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم؟»[١].

الصمت المشروع

وتفسير هذا[٢] ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمُت»[٣].

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ولفظ ابن ماجه: «رأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد».
انظر: «سنن الترمذي» ج٤، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث (٢٧٤٩) ص١٢٤، ١٢٥؛ «المسند» ٥/٢٣٧، ٢٤٨؛ «سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتن، رقم الحديث (٣٩٧٣) ص١٣١٤. وقد تكلم عليه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٢٣٦.

(٢) أي تفسير قول الرسول ﷺ: «أمسك عليك لسانك».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث (٦١١٠) ص٢٣٧٦.
«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار.. رقم الحديث ٧٤، ص٦٨.

فالتكلُّم[(١)] بالخير خيرٌ مِنَ السكوت عنه[(٢)]، والصمت عن الشر خيرٌ مِنَ التكلُّم به[(٣)]، فأما الصمت الدائم، فبدعة نُهِيَ عنها، وكذلك الامتناع عن[(٤)] أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك مِنَ البدع المذمومة أيضاً[(٥)]، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً بالشمس، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: أبو إسرائيل[(٦)] نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظلَّ، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليجلس وليستظلَّ وليتكلمْ وليُتِمَّ صومَه»[(٧)].

وثبت في «الصحيحين» عن أنس أن رجالاً سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ[(٨)] فكأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأيُّنا مثل رسول الله ﷺ؟

---

(١) في (أ): «فإن التكلم».

(٢) قوله: «عنه» سقط من (ب).

(٣) قوله: «به» سقط من (ب).

(٤) في (ب)، (ج)، (د): «من».

(٥) قوله: «أيضاً» سقط من (ب)، (ج). (د).

(٦) أبو إسرائيل: لا يشاركه أحد في كنيته من الصحابة. واختلف في اسمه، فقيل: قشير، وقيل: يسير، وقيل: قيصر، وقيل: قيسر، وهو قرشي ثم عامري. وترجم له ابن الأثير في الصحابة تبعاً لغيره، فقال: أبو إسرائيل الأنصاري، واغتر بذلك الكرماني، فجزم بأنه من الأنصار، والأول أولى. انظر: «أسد الغابة» ٥/ ١٣٦، «فتح الباري» ٢٥/ ٩١.

(٧) انظر: «صحيح البخاري» ج٦، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم الحديث (٦٣٢٦) ص٢٤٦٥، ورواه أبو داود عن ابن عباس، ورواه أحمد عن أبي إسرائيل مختصراً.
انظر: «سنن أبي داود» ج٣، كتاب الأيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، رقم الحديث (٣٣٠٠) ص٥٩٩، ٦٠٠؛ «المسند» ٤/ ١٦٨.

(٨) في (ب)، (ج)، (د) زيادة: «في السر».

قال أحدهم: أمَّا أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أمَّا أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أمَّا أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أمَّا أنا فلا أتزوج النساء، فقال ﷺ: «ما بالُ رجال يقول أحدهم كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني»(١).

(فقوله: «من رغب عن سنتي فليس مني»)(٢)، أي مَنْ سلك غيرها ظانّاً أن غيرَها خيرٌ منها، فمَنْ كان كذلك، فهو بريءٌ مِنَ الله ورسوله(٣)، بل يجب على كل (مسلم أن يعتقد)(٤) أنَّ خيرَ الكلام: كلامُ الله، وخيرَ الهدي: هديُ محمد ﷺ كما ثبت عنه في «الصحيح» أنه كان يخطب بذلك كلَّ يوم(٥) جمعة(٦).



(١) انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٤٧٧٦) ص١٩٤٩؛ «صحيح مسلم» ج٢، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم الحديث (١٤٠١) ص١٠٢٠.

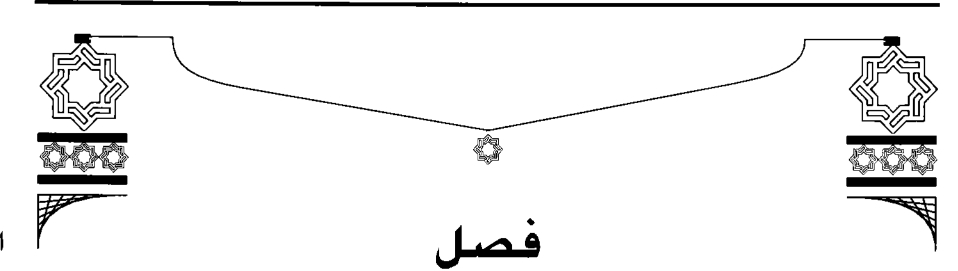
(٢) ما بين القوسين سقط من (ب) المطبوعة.

(٣) في (هـ)، المطبوعة: «زاد بعد قوله: ورسوله قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]».

(٤) في (ب): «مسلم مؤمن أن يعلم»، وكذلك في (ج)، (د). إلا أن كلمة «مسلم» لم ترد فيهما.

(٥) كلمة «يوم» سقطت من (ج).

(٦) روى مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله، قال: كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه، وساق الحديث، وفيه: ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد..» الحديث.
انظر: «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٨٦٧) ص٥٩٢.



الفصل التاسع

فصل

العصمة ليست شرطاً في الولاية

وليس مِنَ شرط وليِّ الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض[1] الأمور مِمَّا أمر الله به، وتكون[2] ممَّا نهى الله عنه، ويجوز أن يظنَّ في بعض الخوارق[3] أنها مِنْ كرامات أولياء الله تعالى، وتكون مِنَ الشيطان لبَّسها عليه لنقص درجته، ولا يعرف أنها مِنَ الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عَنِ ولاية الله تعالى، فإن الله ﷻ تجاوز لهذه الأمة عَنِ الخطأ والنسيان[4]، فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

(١) في (د): «أن بعض».
(٢) كلمة «تكون» سقطت من المطبوعة.
(٣) في (د): «الأمور» بدل الخوارق.
(٤) في (د)، المطبوعة: زيادة «وما استكرهوا عليه».

و[١]ثبت في «الصحيح» أن الله ـ سبحانه ـ استجاب هذا الدعاء، وقال: قد فعلت.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال: دخل قلوبَهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيءٌ أشدُّ منه، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا». قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال الله: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٢] ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال: قد فعلت[٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وثبت في «الصحيحين»[٤] عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم

---

(١) في (ب): «وقد ثبت».
(٢) في (ب)، (ج): «قال قد فعلت».
(٣) انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق، رقم الحديث (٢٠٠) ص١١٦. رواه أحمد عن ابن عباس.
انظر: «المسند» ١/ ٢٣٣.
(٤) في (ب): «الصحيح».

فأصاب، فله أجران، وإن أخطأ، فله أجر»[١]. فلم يؤثِّم المجتهد المخطئ، بل جعل له أجراً على اجتهاده، وجعل خطأه مغفوراً له، ولكن المجتهد المصيب له أجران، فهو أفضل منه.

ولهذا لَمَّا كان وليُّ الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمانُ بجميع ما يقوله[٢] مَنْ هو وليُّ الله، إلَّا أن يكون نبيًّا، بل[٣] ولا يجوز لوليِّ الله أن يعتمد على ما يلقى إليه[٤] في قلبه[٥] وعلى ما يقع له مِمَّا يراه إلهاماً[٦] ومحادثةً[٧] وخطاباً[٨] من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقَّف عنه.

---

(١) سبق تخريجه في ص٦٤. (٢) في (ب): «ما يقول».

(٣) قوله: «بل» سقط من (ب)، (د).

(٤) في (أ)، (د): «الله» بدل إليه.

(٥) في المطبوعة زاد بعد قوله: في قلبه: «إلا أن يكون موافقاً».

(٦) الإلهام: ما يلقى في الرُّوع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بالآية ولا نظر في حجة. وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفية.
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص٣٤.

(٧) المحادثة في اصطلاح الصوفية هي: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة، كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام.
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص٢٠٥.
قلت: والصواب أن المحادثة بمعنى الإلهام، والمحدَّث هو: الملهَم، فالإلهام يحصل لغير الأنبياء كما في حديث عمر رضي الله عنه. وما ذكره الجرجاني فهو التكليم الذي لم يثبت إلا لبعض الأنبياء، فلا يصح تفسير المحادثة به.
انظر الأقوال في: «تأويل المحدث» ص١٤٨.

(٨) تقدم تعريف المخاطبة في ص٣٦.

أصناف الناس فيمن يظنون ولايته

والناس في هذا الباب[١] ثلاثة أصناف: طرفان ووسط.

منهم: مَنْ إذا اعتقد في شخص أنه وليُّ الله وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه، وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم: مَنْ إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلِّيَّة، وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخير[٢] الأمور أوسطها[٣]، وهو: أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا[٤] يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مَعَ اجتهاده.

كل أحد يجب عرض أعماله وأقواله على الكتاب والسنة

والواجب على الناس اتِّباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قولَ بعض الفقهاء، ووافق قولَ الآخرين لم يكن لأحد أن يلزمه[٥] بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون[٦]، فإن يكن في أمتي أحد[٧] فعمر

(١) أي: ما يصدر عن الولي من أقوال وأفعال.
(٢) هكذا في (ب)، وفي بقية النسخ: «وخيار».
(٣) في (هـ)، المطبوعة: «أوساطها».
(٤) في (ب): «ولا». (٥) في (ب): «أن يلزم».
(٦) اختلف في تأويل المحدَّث، فقيل: هو الملهَم، قاله الأكثر، وقيل: المحدَّث هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في رُوعه شيء مِنْ قِبَلِ الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: المحدَّث هو المكلَّم، أي تكلِّمه الملائكة بغير نبوة.
انظر: «فتح الباري» ١٤/ ١٩٠.
(٧) في (ب): «في أمتي منهم أحد فعمر».

منهم»[١]. وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم أبعث فيكم لبُعِثَ فيكم عمر»[٢]، وفي حديث آخر: «إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه»[٣]. وفيه: «لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر»[٤]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما كنا نبعد أن

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم الحديث (٣٤٨٦) ص١٣٤٩؛ «صحيح مسلم» ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم الحديث (٢٣٩٨) ص١٨٦٤.

(٢) تعقب السيوطي هذا الحديث في اللآلئ، قال: أخرجه ابن عدي عن عقبة بن عامر مرفوعاً، وقال: لا يصح؛ لأن في سنده: زكريا، وهو كذاب يضع الحديث، وابن واقد متروك، ومشرح: لا يحتج به، وأورده ابن الجوزي في (الموضوعات)، وقال: لا يصح عن رسول الله ﷺ ففي سنده وضاع، ومتروك. قال السيوطي: زكريا: ذكره ابن حبان في الثقات، وابن واقد: وثقه ابن معين وأحمد وغيرهما، ومشرح: ثقة صدوق روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.
انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي ١/ ٣٢٠؛ «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي ١/ ٣٠٢.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
انظر: «المسند» ٥/ ١٤٥؛ «سنن أبي داود» ج٣، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب تدوين العطاء، رقم الحديث (٢٩٦٢) ص٣٦٥؛ «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، رقم الحديث (٣٧٦٥) ص٢٨٠؛ «سنن ابن ماجه» ج١، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث (١٠٨) ص٤٠.

(٤) رواه أحمد، والترمذي عن عقبة بن عامر، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
انظر: «المسند» ٤/ ١٥٤؛ «سنن الترمذي» ج٤، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم الحديث (٣٧٦٩) ص٢٨١، ٢٨٢.

السكينة تنطق على لسان عمر[(١)]. ثبت هذا عنه من رواية الشعبي[(٢)]، وقال ابن عمر[(٣)]: ما كان عمر يقول في شيء: إني لأراه كذا إلا كان كما يقول[(٤)]. وعن قيس بن طارق، قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه مَلَكٌ[(٥)]. وكان يقول: اقتربوا من

---

(١) أخرجه عن الشعبي أبو نعيم.
انظر: «الحلية» ١/ ٤٢، وكذلك ٤/ ٣٢٨. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.
انظر: «مجمع الزوائد» ٩/ ٦٦.

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو، راوية من التابعين، حافظ فقيه شاعر، ولد ونشأ بالكوفة، واتصل بعبد الملك بن مروان، استقضاه عمر بن عبد العزيز. والشعبي: نسبة إلى شعب، وهو بطن من همدان، توفي بالكوفة سنة ١٠٣هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٥/ ٦٥، ت١١٠، و«الأعلام» ٣/ ٢٥١.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمٰن. صحابي جليل نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان عالماً تقيّاً، جريئاً جهيراً، أفتى الناس سنين كثيرة، وروى عن رسول الله ﷺ كثيراً، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وفي آخر حياته كف بصره، وتوفي بمكة سنة ٧٣هـ، وكان مولده بها قبل الهجرة بعشر سنوات.
انظر: «الإصابة» ٤/ ١٨١ ـ ١١٨، ت٤٨٣٧؛ «الأعلام» للزركلي ٤/ ١٠٨.

(٤) رواه الترمذي بمعناه.
انظر: «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ رقم الحديث (٣٧٦٥) ص٢٨٠.

(٥) أخرجه أبو نعيم عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال: قال علي ـ كرَّم الله وجهه ـ: «كنا نتحدث أن ملَكاً ينطق على لسان عمر». ولم أجد من اسمه قيس بن طارق. فلعله خطأ في السند، وقيس بن مسلم وثقه ابن معين وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٨/ ٤٠٣؛ و«الحلية» ١/ ٤٢.

أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة[١].

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها[٢] عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي[٣] الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات[٤] ومكاشفات[٥]، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة (بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فإن خير هذه الأمة)[٦] بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[٧].

وقد ثبت في «الصحيح»[٨] تعيين (عمر بأنه محدَّث في هذه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في معنى هذا عن عبد الله بن عتبة، قال: قال عمر: «جالسوا التوابين؛ فإنهم أرقُّ شيء أفئدةً». وعن وديعة الأنصاري من قول عمر: «استشر في أمرك الذين يخشون الله». ولم أجد نص ما ذكره المؤلف.
انظر: الكتاب «المصنف» ١٣/ ٢٧٢، ٢٧٥؛ «الزهد» لابن المبارك ص٤٢، ٤٩.

(٢) قوله: «بها» سقط من (ب)، (ج).

(٣) في (ج): «هي في الأمور».

(٤) تقدم تعريفها في ص٣٦.

(٥) تقدم تعريفها في ص٣٦.

(٦) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٧) وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرى ذلك كما روى البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي رضي الله عنه: يا أبت، أي الناس خير بعد الرسول ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن أقول ثم من؟ فيقول: عثمان، فقلت: ثم أنت، قال؛ ما أنا إلا رجل من المسلمين.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث (٣٤٦٨) ص١٣٤٣؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في التفضيل، رقم الحديث (٤٦٢٩) ص٢٦.

(٨) في (ج)، (د): «في الحديث الصحيح».

الأمة)[١]، فأي محدَّث ومخاطَب فرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة[٢]، وتارة يخالفه، فيرجع عمر عن ذلك، كما رجع يوم الحديبية[٣]، لمَّا كان قد رأى محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره، فإن النبي ﷺ قد[٤] اعتمر سنة ست مِنَ الهجرة، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة،

---

(١) في (ب): «المحدث من هذه الأمة بعمر». وقد تقدم الحديث في ص٨٨.

(٢) في ذلك: في غزوة بدر استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر في الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله استحْيِ قومك وخذ منهم الفداء فاستعن به، وقال عمر: اقتلهم، فقال رسول الله ﷺ: لو اجتمعتما ما عصيناكما، فأخذ بقول أبي بكر، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]. وكذلك أمرُه نساءَ النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ولما نزل قوله تعالى: ﴾. الآية. فقال عمر: تبارك الله أحسن الخالقين، فأنزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾. الآية. فقال عمر: تبارك الله أحسن الخالقين، فأنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. [المؤمنون: ١٤].

انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي ٩/ ٦٧.

(٣) أي: يوم صلح الحديبية، والحديبية: قرية ليست بالكبيرة، سيمت ببئر هناك، وهي على نحو مرحلتين من مكة.

انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ٨١.

(٤) في (ب): «قد كان اعتمر»، وفي (ج)، (د): «كان قد اعتمر».

وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت[١] بينه وبينهم على أن يرجع في[٢] ذلك العام، ويعتمر من العام المقبل، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين[٣] في الظاهر[٤]، فشق ذلك على كثير مِنَ المسلمين، وكان الله ورسوله أعلمَ وأحكمَ بما في ذلك مِنَ المصلحة، وكان عمر فيمن[٥] كره ذلك، حتى قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: أفليس[٦] قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلَامَ نعطي الدَّنيَّةَ في ديننا؟ فقال له النبي ﷺ: «إني رسول الله وهو ناصري[٧] ولست أعصيه»، ثم[٨] قال: أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى»، قال: «أقلتُ لك: إنك تأتيه العام؟» قال: لا، قال: «إنك آتيه ومطوف به»، فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ورد عليه أبو بكر مثل[٩] جواب النبي ﷺ (ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ)[١٠] فكان أبو بكر رضي الله عنه أكملَ موافقةً لله

(١) قوله: «جرت» سقطت من (ب).
(٢) سقط حرف الجر «في» من (ج)، (د).
(٣) في (أ)، (ج)، (د): «غضاضة بالمسلمين».
(٤) قوله: «في الظاهر» سقطت من (أ)، (ب)، (ج)، (د).
(٥) في (ج)، (د): «ممن».
(٦) في (ج): «أليس».
(٧) في (ج): «يأمرني ولست أعصيه».
(٨) سقط حرف العطف «ثم» من (ب)، (ج).
(٩) في (ب): «بمثل».
(١٠) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب).

وللنبي ﷺ مِنْ عمرَ، وعمرُ رضي الله عنه رجع عن ذلك، و[١]قال: فعملت لذلك أعمالاً[٢].

وكذلك لَمَّا مات النبي ﷺ أنكر[٣] موته أولاً، فلما[٤] قال أبو بكر: إنه مات رجع[٥] عمر عن ذلك[٦]، وكذلك قال في

(١) سقطت الواو من (ب).

(٢) في البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

انظر: «صحيح البخاري» ج٢، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٥٨١، ٢٥٨٢) ص٩٧٤، ٩٨٠. ورواه مسلم عن سهل بن حنيف مختصراً.

انظر: «صحيح مسلم» ج٣، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية رقم الحديث (١٧٨٥) ص١٤١١، ١٤١٢.

(٣) في المطبوعة: «أنكر عمر».

(٤) في (ب)، (ج): «حتى» بدل «فلما».

(٥) في (ب)، (ج): «فرجع».

(٦) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسّنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر، فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلِك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمِد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا مَنْ كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾. وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾. وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات. =

مانعي الزكاة، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا (فعلوا ذلك)[1] عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألم يقل: إلّا بحقها»، فإن الزكاة مِنْ حقِّها، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلَّا أن رأيت اللهَ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق[2].

مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدَّث

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر، مع أن عمر رضي الله عنه محدث[3] فإن مرتبة الصِّدِّيق[4] فوق مرتبة المحدث؛ لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كلَّ ما يقوله ويفعله، والمحدَّث يأخذ عن[5] قلبه أشياء، وقلبُه ليس بمعصوم، فيحتاج أن يعرضه على ما

= انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، رقم الحديث (٣٤٦٧) ص١٣٤١. وكذلك ج٣ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث (٤١٨٧) ص١٦١٨.

(١) في (ب)، (د): «قالوا»، وفي (ج): «قالوها».

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. وفي لفظ مسلم: لو منعوني عقالاً، بدل: عَناقاً.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث (١٣٣٥) ص٥٠٧؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث (٢٠، ٢١) ص٥١، ٥٢.

(٣) تقدم تعريف المحدث في ص٨٨.

(٤) تقدم تعريف الصديق في ص٧٢.

(٥) في (د): «من».

جاء به النبي المعصوم، ولهذا كان عمر ﷺ يشاور الصحابة ﷺ ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء، فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنّة، ويقرّهم على منازعته، ولا يقول لهم: أنا محدَّث ملهَم[١] مخاطَب، فينبغي لكم أن تقبلوا مني و[٢]لا تعارضوني.

فأي أحد[٣] ادّعى أو ادّعى له أصحابه أنه ولي الله وأنه مخاطب، يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كلَّ ما يقوله، ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله مِنْ غير اعتبار بالكتاب والسنّة، فهو وهم مخطئون (ولو قدر هذا مِنْ أفضل الناس)[٤] فعمر بن الخطاب ﷺ أفضل منه، وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقول هو[٥] على الكتاب والسنّة.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلَّ واحد[٦] يؤخذ مِنْ قوله ويترك إلّا رسول الله ﷺ وهذا مِنَ الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ وتجب طاعتهم فيما

---

(١) تقدمت هذه الألفاظ في ص٨٧.

(٢) في (ب)، (د): «لا تعارضوني»، بدون الواو.

(٣) في (ب)، (ج)، (د): «من» بدل «أحد». و«الواو» بدل «أو» في قوله: «أو أدعى».

(٤) في (أ)، (ج)، (د): «ومثل هؤلاء من أضل الناس»، وفي (هـ): «مثل هذا من أضل الناس»، وفي المطبوعة: «ومثل هذا أضل الناس».

(٥) في (أ)، (ب)، (د)، المطبوعة: «ما يقوله وهو وهم».

(٦) في (أ)، (ب)، (ج)، (د): «واحد».

يأمرون به، بخلاف الأولياء، فإنه[١] لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنّة، فما وافق الكتاب والسنّة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبُه مِنْ أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، و[٢]له أجر على اجتهاده، و[٣]لكنه إذا خالف الكتاب والسنّة كان مخطئاً[٤] وكان مِنَ الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتَّقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال ابن مسعود[٥] وغيره: (حق تقاته)[٦] أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا ينسى، وأن يُشكرَ فلا يكفر[٧]. أي بحسب استطاعتكم، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

---

(١) في المطبوعة: «فإنهم».
(٢) سقطت الواو من (ب)، والمطبوعة.
(٣) سقطت الواو من (أ)، (ب).
(٤) في (ب): «خطاء».
(٥) مرت ترجمته ص٧٩.
(٦) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٧) روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ٧/ ٦٥.

وقد ذكر الله ﷻ الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا الذي ذكرته مِنْ أنَّ أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنّة، (وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتِّباع ما يقع في قلبه مِنْ غير اعتبار بالكتاب والسنّة)[1]: هو ممَّا اتفق عليه أولياء الله ﷿ ومَنْ خالف في[2] هذا، فليس مِنْ أولياء الله سبحانه، الذين أمر[3] الله باتباعهم، بل إمَّا أن يكون كافراً وإمَّا

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ب). (٢) قوله: «في» سقط من (ب).

(٣) في (ب): «أمرهم».

أن يكون مفرطاً في الجهل، وهذا كثير في كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني[١]: إنه ليقع في قلبي النكتة[٢] من نُكَتِ القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنّة[٣].

وقال أبو القاسم الجنيد[٤] ـ رحمة الله عليه ـ: «عِلْمُنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنّة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا، أو قال: لا يُقتدى به»[٥].

وقال أبو عثمان النيسابوري[٦]: «مَنْ أمَّرَ السنّة على نفسه

---

(١) عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني، أبو سليمان، والداراني نسبة إلى (داريا) قرية من قرى دمشق، وهو زاهد مشهور، له كلام في الزهد، توفي سنة ٢١٥هـ.
انظر: «طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمٰن السلمي» ١/ ٧٥؛ و«الحلية» ٩/ ٢٥٤.

(٢) النكتة: تطلق على النقطة في الشيء، وعلى الطُّرفة والكلمة اللطيفة، وعلى الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، وعلى المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإمعان فكر، والمعنيان الأخيران هما الأقرب إلى مراد المؤلف هنا.
انظر: «المعجم الوجيز» ص٦٣٣.

(٣) ذكر ذلك أبو عبد الرحمٰن السلمي في «طبقات الصوفية» ١/ ٧٥، وذكر ذلك أيضاً ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٢٢٩.

(٤) تقدمت ترجمته في ص٩٩.

(٥) بل قال: لا يقتدى به. ذكر ذلك أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٥٥؛ والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٤٣؛ وأبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية» ١/ ١٣٤.

(٦) سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري النيسابوري، أبو عثمان. أصله من الري، ووصل إلى نيسابور قاصداً أبا حفص الحداد، فزوجه ابنته وأخذ عنه طريقته، كان حَمِيدَ الأخلاق، ومنه انتشرت طريقة التصوف في نيسابور، مات سنة ٢٩٨هـ.
انظر: «الحلية» ١٠/ ٢٤٤؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني ١/ ٧٦.

قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَنْ أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول[١]: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤][٢].

وقال أبو عمرو بن نجيد[٣]: «كل وَجْدٍ[٤] لا يشهد له الكتاب والسنة، فهو باطل»[٥].

...لط بعض ...ناس في اعتقاد ...ولاية في معيَّن ...يما يجب ...ولي

وكثير[٦] من الناس يغلط في هذا الموضع[٧] فيظن في شخص أنه وليٌّ لله، ويظن أن وليَّ الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل[٨] ما يفعله، وإن خالف الكتابَ والسنةَ، فيوافق ذلك الشخص[٩] ويخالف ما بعث الله به رسوله، الذي فرض الله

---

(١) في (هـ)، والمطبوعة: لأن الله تعالى يقول: «في كلامه القديم». ولم ترد هذه الزيادة في المراجع ولذا لم أثبتها في النص.

(٢) ذكر ذلك أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٤٤، وأبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية» ١/ ١٣٩.

(٣) هكذا في (جـ). وفي بقية النسخ أبو عمر، وما في (جـ) هو الصواب، واسمه: إسماعيل بن نجيد بن أحمد السُّلَمي، أبو عمر، من مشايخ الصوفية، وهو جد الشيخ أبي عبد الرحمٰن السلمي، لقي الجنيد، وكان مِنْ أكبر مشايخ وقته، سمع الحديث ورواه، توفي في مكة سنة ٣٦٦هـ.
انظر: «الرسالة القشيرية» ص٢٨؛ «الطبقات الكبرى» للشعراني ١/ ١٢٠.

(٤) تقدم تعريف الوجد في ص٢٩.

(٥) ذكر ذلك أبو عبد الرحمٰن السلمي في «طبقات الصوفية» ص٤٥٥، وكذلك ذكره القشيري في «الرسالة القشيرية» ص٢٨.

(٦) في (جـ): «فكثير».

(٧) هكذا في (ب)، (هـ)، وفي بقية النسخ: «الموضوع».

(٨) في النسخ غير (ب): كرر قوله: «كل ما يقوله ويسلم إليه».

(٩) في (هـ)، والمطبوعة: «... ذلك الشخص له..».

على جميع الخلق تصديقَه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان مِنْ أولياء الله المتقين وجندِه المفلحين وعبادِه الصالحين، ومَنْ لم يتبعه[1] كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجرُّه مخالفة الرسول وموافقته ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب مِنْ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

---

(١) في (أ)، (ب)، (د): «يتابعه».

وهؤلاء مشابهون[(١)] للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

وفي مسند[(٢)] الترمذي عن عدي بن حاتم[(٣)] (في تفسير[(٤)] هذه الآية لَمَّا سأل النبي ﷺ عنها، فقال: ما عبدوهم، فقال النبي ﷺ: «أحلُّوا لهم[(٥)] الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتهم إياهم»)[(٦)].

(١) في (ج)، (د): «يشابهون النصارى».

(٢) هكذا في (ب)، (د)، وفي بقية النسخ: «وفي المسند وصححه الترمذي» والصواب ما أثبت؛ لأن الإمام أحمد لم يرو هذا اللفظ، وإنما روى قصة إسلام عدي دون تفسير هذه الآية. والترمذي لم يصححه، وإنما قال: حديث غريب.

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس الطائي، أبو طريف، ويقال: أبو وهب، وهو ابن الجواد المشهور. قدم على النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة وكان نصرانياً قبل ذلك، حضر فتح المدائن، وشهد مع علي الجمل وصفين والنهروان، روى له الجماعة، مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر.
انظر: «الإصابة» ٤/ ٤٦٩، ت(٥٤٧٩)؛ و«تهذيب التهذيب» ٧/ ١٦٦، ت(٣٣٠).

(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «تفسيره».

(٥) في (ب)، (هـ)، والمطبوعة: «عليهم».

(٦) انظر: «سنن الترمذي» ج٤، أبواب تفسير القرآن، رقم الحديث (٥٠٩٣) ص٣٤١، ٣٤٢، وقال الترمذي: حديث غريب.
وقال السيوطي: أخرجه ابن سعد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عدي بن حاتم.

ولهذا قيل - في مثل هؤلاء -: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان (بما جاء به الرسول ﷺ)[١]، فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم، ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ لأحد مِنَ الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب (عليهم اتباعه)[٢] كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

قال ابن عباس ﵄: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بُعِثَ محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[٣].

وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا

= انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٣٠.

(١) في (أ)، (ب): «بالله ورسوله». (٢) في (ب): «اتباعهم».

(٣) أورد هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ٦/ ٥٥٦؛ وكذلك ابن كثير ١/ ٣٢٥؛ و«السيوطي في الدر المنثور» ٢/ ٤٧، ٤٨.

قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[النساء: ٦٠ ـ ٦٥].

وكل مَنْ خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه وليٌّ لله، فإنه بنى أمره على أنه وليُّ الله، وأن وليَّ الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل مِنْ أكبر أولياء الله ـ كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ لم يقبل منه ما خالف الكتابَ والسنةَ، فكيف إذا لم يكن كذلك؟!

ـنصـرفـات خارقة ليست ـيـلاًعـلـى ولاية

وتجد كثيراً مِنْ هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليّاً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة[١] في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة[١] للعادة؛ مثل: أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً مِنَ الهواء، أو ينفق[٢] بعض الأوقات مِنَ الغيب، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب

(١) تقدم تعريفها في ص٣٦.

(٢) في (ب): «ينطق».

أو ميت، فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سُرق لهم، أو بحال غائبٍ لهم أو مريضٍ، أو نحو ذلك من الأمور. وليس في شيء مِنْ هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها وليٌّ لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يغترَّ به حتى ينظر[١] متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه[٢].

من الخوارق م
يكون لأعداء الله

وكرامات[٣] أولياء الله تعالى أعظم مِنْ هذه الأمور، وهذه (الأمور الخارقة للعادة)[٤] وإن كان قد يكون صاحبها وليّاً لله فقد يكون عدوّاً لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير مِنَ الكفار والمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون مِنَ الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل مَنْ كان له شيء مِنْ هذه الأمور أنه وليٌّ لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم[٥] التي دلّ عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان (والقرآن وبحقائق الإيمان)[٦] الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال ذلك: أن الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في

---

(١) في (ب): «تنظر».
(٢) من هذه التصرفات ما ذكر عن الحلاج، كما أورده ابن تيمية في رسالته في الجواب عن سؤال عن الحلاج، في «جامع الرسائل» ص١٩٢ ـ ١٩٦.
(٣) في (ب): «فصل وكرامات أولياء الله. وقد تقدم تعريف الكرامة في ص٣٦.
(٤) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب)، (ج).
(٥) في (ب): «وأقوالهم» بدل أحوالهم.
(٦) ما بين القوسين سقط من (ب).

أشخاص، ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات[١] المكتوبة، بل قد يكون ملابساً للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقمّامين والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشريعة ولا يتنظف، وقد قال النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب»[٢].

وقال عن هذه الأخلية: «إن هذه الحشوش[٣] محتضرة»[٤]

---

(١) في (ب)، (د): «الصلاة».

(٢) رواه أبو داود والنسائي عن علي بن أبي طالب، ولفظه: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب». والحديث في الصحيحين والترمذي دون قوله: «ولا جنب». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
انظر: «سنن أبي داود» ج١، كتاب الطهارة، باب في الجنب يؤخر الغسل، رقم الحديث (٢٢٧)، ص١٥٣، ١٥٤؛ «سنن النسائي» ج١، كتاب الطهارة، باب في الجنب إذا لم يتوضأ ص١٤١؛ «صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. رقم الحديث (٣٠٥٣) ص١١٧٩؛ «صحيح مسلم» ج٣، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، رقم الحديث (٢١٠٤)، ص١٦٦٤؛ «سنن الترمذي» ج٤، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، رقم الحديث (٢٩٥٦) ص٢٠٠.

(٣) الحشوش: جمع: الحُشّ، وهو في الأصل البستان من النخل، ويسمى موضعُ الخلاء حشاً؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، أي: يتغوطون فيها.
انظر: «تهذيب اللغة» لأبي منصور ٣/ ٣٩٤.

(٤) رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، عن زيد بن أرقم، بلفظ: «إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله مِنَ الخبث والخبائث».
انظر: «سنن أبي داود» ج١، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم الحديث (٦) ص١٦؛ «سنن ابن ماجه» ج١، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم الحديث ٢٩٦ =

أي: يحضرها الشيطان، وقال: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربنَّ مسجدَنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[١]، وقال: «إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلّا طيباً»[٢]، وقال: «إن الله نظيف يحب النظافة»[٣]. وقال: «خمس من الفواسق يُقتلن

= ص١٠٨، «المسند» ٤/ ٣٩، ٣٧٣.

(١) ورد هذا الحديث عن جابر وغيره بألفاظ متقاربة، بصيغة الإفراد، وأما لفظ «الشجرتين الخبيثتين»، فهو من قول عمر، كما هو عند مسلم وغيره.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً. رقم الحديث (٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٧) ص٣٩٤؛ «صحيح البخاري» ج١، كتاب صف الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، رقم الحديث (٨١٥) ص٢٩٢؛ «سنن أبي داود» ج٤، كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم، رقم الحديث (٣٨٢٤)، ص١٧١؛ «سنن الترمذي» ج٣؛ أبواب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل، رقم الحديث (١٨٦٦)، ص٦١٨؛ «المسند» ٣/ ٣٧٤، ٤/ ١٩٤؛ «سنن النسائي» ج٣، كتاب المساجد، باب من يمنع من المسجد، ص٤٣؛ «سنن ابن ماجه»، ج٢، كتاب الأطعمة، باب من أكل الثوم والبصل والكراث، رقم الحديث (٣٣٦٥) ص١١١٦.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة. قال الترمذي: حديث حسن غريب.
انظر: «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث (١٠١٥) ص٧٠٣؛ «المسند» ٢/ ٣٢٨؛ «سنن الترمذي» ج١، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة البقرة، رقم الحديث (٤٠٧٤) ص٢٨٨؛ «سنن الدارمي» ج٢، كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب، ص٣٠٠.

(٣) رواه الترمذي، عن عامر بن سعد عن أبيه، وقال الترمذي: حديث غريب.
انظر: «سنن الترمذي» ج٤، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في النظافة، رقم الحديث (٢٩٥١)، ص١٩٨.

في الحِلِّ والحرم: الحية والفأرة والغراب[١] والحدأة والكلب العقور»[٢]. وفي رواية: «الحية والعقرب»[٣]، وأمر صلوات الله وسلامه عليه: «بقتل الكلاب»[٤] وقال: «مَنِ اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نَقَصَ مِنْ عمله كل يوم قيراط»[٥]. وقال:

---

(١) قوله: «والغراب» سقطت من (أ)، (ب)، المطبوعة.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه عن عائشة بألفاظ متقاربة، وما أورده المؤلف لا يخرج عنها.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث (١٧٣٢) ص٦٥٠؛ «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره، رقم الحديث ١١٩٨ ص٨٥٦؛ «المسند» ٢/ ٨٢؛ «سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم، رقم الحديث (٣٠٨٧) ص١٠٣١.

(٣) هي رواية أبي داود عن أبي هريرة.
انظر: «سنن أبي داود» ج٢، كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث (١٨٤٧) ص٤٢٤، وورد ذكر العقرب في بعض ألفاظ البخاري، في الحديث رقم (١٧٣١، ١٧٣٢)، في الموضع المشار إليه في تخريج الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله. ثم إن رسول الله ﷺ نهى عن قتلها، إلا الأسود البهيم.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب، رقم الحديث (٣١٤٥) ص١٢٠٧؛ «صحيح مسلم» ج٣ كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، رقم الحديث (١٥٧٠، ١٥٧٢) ص١٢٠٠؛ و«سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الصيد، باب قتل الكلاب، رقم الحديث (٣٢٠٢) ص٦٨. وكذلك باب النهي عن اقتناء الكلب، رقم الحديث (٣٢٠٥) ص١٠٦٩.

(٥) رواه البخاري ومسلم، وابن ماجه عن سفيان بن أبي زهير.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب، رقم الحديث (٣١٤٧) ص١٢٠٧، وكذلك كتاب المزارعة، باب اقتناء =

«لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب»[1]، وقال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب»[2].

= الكلب للحرث، رقم الحديث (٢١٩٨) ص٨١٨؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، رقم الحديث (١٥٧٤) ص١٢٠٢؛ و«سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الصيد، باب النهي عن اقتناء الكلب، رقم الحديث (٣٢٠٦) ص١٠٦٩.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد عن أبي هريرة وغيره. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

انظر: «صحيح مسلم» ج٣، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس، رقم الحديث (١٠٣) ص١٦٧٢؛ «سنن أبي داود» ج٣، كتاب الجهاد، باب في تعليق الأجراس، رقم الحديث (٢٥٥٥) ص٥٣؛ «سنن الترمذي» ج٣، أبواب الجهاد، باب ما جاء في الأجراس على الخيل، رقم الحديث (١٧٥٥) ص١٢٣؛ «مسند أحمد» ٢/ ٢٦٢.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وأصحاب السنن عن أبي هريرة بلفظ: (أولاهن)، وعن الترمذي بلفظ: «أولاهن أو أخراهن»، وفي رواية ابن المغفل بلفظ: «وعَفروه الثامنة بالتراب».

ولفظ (إحداهن) في «سنن الدارقطني» من رواية الجارود بن أبي يزيد، وهو متروك.

انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به، رقم الحديث (١٧٠) ص٧٥؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، رقم الحديث (٢٧٩، ٢٨٠)، ص٢٣٤، ٢٣٥؛ «مسند أبي داود» ج١، كتاب الطهارة، باب الوضوء بسؤر الكلب، رقم الحديث (٧١) ص٥٧؛ «المسند» ٢/ ٢٤٥؛ «سنن ابن ماجه» ج١، كتاب الطهارة، باب غسل الإناء، رقم الحديث (٢٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦) ص١٣٠؛ «الموطأ» ج١، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، رقم الحديث (٣٥) ص٣٤؛ «سنن الترمذي» ج١، كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الكلب، رقم الحديث (٩١)، ص٦١؛ «سنن النسائي»، ج١، كتاب الطهارة، «سؤر الكلب» ص٥٢، وكذلك باب تعفير الإناء، ص٥٤؛ =

وقال[١] تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات، والحشوش[٢] التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيَّاتِ (والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق)[٣]، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله، فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، (أو يسجد إلى ناحية شيخه)[٤]، ولا يخلص الدينَ لرب العالمين، أو يلابس الكلاب، أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى (المقابر، ولا سيما)[٥] مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين،

= «سنن الدارمي»، كتاب الطهارة، باب في ولوغ الكلب ص١٨٨؛ «سنن الدارقطني» ج١، كتاب الطهارة، باب ولوغ الكلب، رقم الحديث (١٢) ص٦٥.

(١) في (و): «وقد قال تعالى».

(٢) تقدم تعريفها في ص١٠٦.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٤) ما بين القوسين سقط من (ب)، وفي (ج): «أو يسجد ناحية قبر شيخه».

(٥) ما بين القوسين من (هـ)، والمطبوعة فقط.

أو يكره سماع القرآن وينفر عنه، ويقدم على سماع الأغاني والأشعار، ويؤثِر سماع مزامير الشيطان[١] على سماع كلام الرحمٰن: فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمٰن.

مَنْ نوَّر الله قلب
استطاع أن يفرق
بـيــن أولـيـا
الرحمن وأوليا
الشيطان

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا يسأل أحدُكم[٢] عن نفسه إلا القرآنَ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله»[٣].

وقال عثمان بن عفان ﷺ: «لو طهُرت قلوبنا لَمَا شبعت مِنْ كلام الله ﷻ»[٤].

وقال ابن مسعود: «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[٥].

---

(١) في (ب): «الشياطين». (٢) في (ج): «أحد».

(٣) في المطبوعة: فهو يبغض الله ورسوله. وقد أورد هذا الأثر ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٣١٨.

(٤) أورد هذا الأثر عن عثمان: ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ١/٥٥؛ وابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٣١٨.

(٥) النصف الأول من الأثر لم أجده، وأما قوله: «والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»، فقد أورده ابن القيم بسنده، وقال: هو صحيح عن ابن مسعود، وقد روي مرفوعاً وفي سنده مجهول، قال ابن القيم: وفي رفعه نظر، والموقوف أصح، ورواه أبو داود بسند فيه ذلك المجهول.

انظر: «إغاثة اللهفان» ١/٢٤٧، ٢٤٨؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب الأدب، باب كراهية الغناء، رقم الحديث (٤٩٢٧) ص٢٢٣.

وإن كان[(١)] الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة فارقاً[(٢)] بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية: فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

فهذا مِنَ المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال[(٣)]: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»[(٤)]. قال الترمذي: حديث حسن، وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري (وغيره)[(٥)]. قال فيه: «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه. فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر،

---

(١) في (ج)، (د): «فإن كان». (٢) في (أ)، (د): «فرق».

(٣) في (ب)، (د): «أنه قال».

(٤) انظر: «سنن الترمذي» ج٤، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الحجر، رقم الحديث (٥١٣٣)، ص٣٦٠. وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا مِنْ هذا الوجه. وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن أبي أمامة، وإسناده حسن.
انظر: مجمع الزوائد ١٠/٢٦٨. وأخرجه الخطيب البغدادي عن أبي سعيد الخدري.
انظر: «تاريخ بغداد» ٧/٢٤٢.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ب).

وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه»[١].

فإذا[٢] كان العبد من هؤلاء: فرق بين حال أولياء الرحمٰن وحال أولياء الشيطان، كما يفرّق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزِّيف، وكما يفرق مَنْ يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، (وكما يفرق مَنْ يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق)[٣] بين النبي الصادق وبين المتنبي الكاذب، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم، وبين مسيلمة الكذّاب[٤] والأسود العنسي[٥] وطليحة

---

(١) تقدم تخريجه في ص٩.
(٢) في (د): «وإذا».
(٣) في (ب): «وكما يجب أن يفرق».
(٤) مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، وتلقب في الجاهلية بالرحمٰن، ولما ظهر الإسلام قدم مع وفد بني حنيفة إلى النبي ﷺ وأسلموا، ثم انصرفوا، فارتد مسيلمة عن الإسلام، وادَّعى النبوة، ووضع الأسجاع، وصار له أتباع، وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء عليه. وفي خلافة أبي بكر انتدب له خالد بن الوليد، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له (عقرباء) في طرف اليمامة، فلجأ بنو حنيفة إلى حديقة الموت، وفيها مسيلمة، فدخلها المسلمون، وقتل مسيلمة؛ رماه وحشي بن حرب، قاتل حمزة، بحربته وخرجت من الجانب الآخر، وذلك في سنة ١٢هـ.
انظر: «الروض الأنف في شرح السير النبوية» لابن هشام ٧/ ٤٠٠؛ «البداية والنهاية» ٦/ ٣٦٤؛ «الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٢٦.
(٥) واسمه: عبهلة بن كعب بن عوف العنسي، أسلم لَمَّا أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ وادعى النبوة، وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ وقد تبعه خلق كثير من أهل اليمن، واحتل اليمن بكاملها =

الأسدي[(١)]، والحارث الدمشقي[(٢)]، (وباباه الرومي)[(٣)]، وغيرهم[(٤)] من الكذابين، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين.

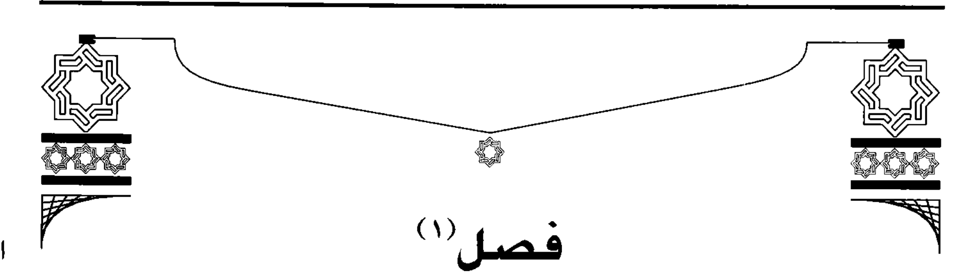
= واستطار أمره، فلما بلغ النبي ﷺ خبره أمر المسلمين الذين هناك بقتله فقتلوه، وكان أمره مِنْ أوله إلى آخره ثلاثة أشهر أو قريب من أربعة، وكان قدوم خبر مقتله في أواخر ربيع الأول سنة ١١هـ.
انظر: «الكامل في التاريخ لابن الأثير» ٢/ ٣٣٦؛ «البداية والنهاية» ٦/ ٣٤٧.

(١) في (ب)، والمطبوعة: «وطلحة»، والصواب ما أثبت. وهو: طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد وأسلم، وارتد بعد ذلك وادعى النبوة، وتبعه كثير من العرب عصبية، أرسل له أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله، وانهزم طليحة وفر إلى الشام، فلم يزل مقيماً بها حتى بلغه أن أسدًا وغطفان قد أسلموا فأسلم، يقال: إنه استشهد بنهاوند سنة ٢١هـ.
انظر: «الإصابة» ٣/ ٥٤٢، ت٤٢٩٤؛ «الكامل في التاريخ» ٢/ ٣٤٣.

(٢) الحارث بن سعيد من أهل دمشق، وكان متعبداً، يتكلم في التحميد بكلام لم يسمع مثله، فتعرض له إبليس فأغواه، فتوهم أنه نبي، فكان يجيء إلى أهل المسجد ويريهم الأعاجيب. حتى كان يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، وكان يرى الناس رجالاً على خيل، ويقول: هذه الملائكة، فتبعه بشر كثير، فبلغ أمره عبد الملك فطلبه فلم يقدر عليه واختفى ببيت المقدس، فلم يزل عبد الملك يطلبه إلى أن قبض عليه فقتله وصلبه، وذلك في سنة ٦٩هـ.
انظر: «لسان الميزان» لابن حجر ٢/ ١٥١؛ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص٣٧٩؛ «الأعلام» للزركلي ٢/ ١٥٤.

(٣) ما بين القوسين سقط من (د)، (ج).
والبابا: اسم عام يطلق على الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، وأطلق أخيراً على رئيس الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً، وممن اشتهر من هؤلاء البابوات جريجوري الذي ينسب إليه وضع التقويم الميلادي. والمؤلف هنا أراد شخصاً بعينه، ولكني لم أقف عليه.
انظر: «دائرة المعارف الحديثة» ص٢٤٢، ٦١٧؛ و«المعجم الوسيط» ١/ ٣٥.

(٤) في (ب)، (ج)، (د): «ونحوهم».



الفصل العاشر

فصل(١)

الحقيقة الحق هي حقيقة دين رب العالمين وهو دين الرسل

والحقيقة: حقيقة الدين(٢)، دين رب العالمين [و]هي ما اتفق عليها(٣) الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكلٍّ منهم شِرْعَةٌ ومنهاج.

فالشِّرْعة: هي الشريعة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

والمنهاج: هو الطريق، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

فالشِّرْعة: بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج: هو الطريق الذي يسلك(٤) فيه، والغاية المقصودة: هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، (فإنَّ دين الإسلام

---

(١) كلمة «فصل» سقطت من (ب). (٢) كلمة «الدين» سقطت من (ب).
(٣) في (ج): «عليه».
(٤) في (ب)، (هـ)، المطبوعة: «سلك».

هو)[١]: أن يستسلم العبد لله ربِّ العالمين، لا يستسلم لغيره، فمَنِ (استسلم لله ولغيره)[٢] كان مشركاً، والله لا يغفر أن يُشرك به، ومَنْ لم يستسلم لله، بل استكبر عن عبادته كان مِمَّن قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الإسلام دين جميع الرسل

ودين الإسلام: هو دين الأولين والآخرين مِنَ النبيين والمرسَلين، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. عامٌّ في كل زمان ومكان، فنوح، وإبراهيم ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، والحواريون، كلُّهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له.

قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى﴾ إلى قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

---

(١) في (هـ)، المطبوعة: «وهي».

(٢) في (هـ)، المطبوعة: «استسلم لغيره».

وقال السحرة: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقالت بلقيس[١]: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الحواريون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

فدين الأنبياء: واحد[٢]، وإن تنوعت شرائعهم، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إنّا معشر الأنبياء ديننا واحد»[٣].

---

(١) هي: بلقيس ملكة سبأ التي أشار إليها القرآن الكريم، وبلقيس لقب، واسمها بلقمة بنت ذي مسرح، وقيل: بنت الشيصبان، ملك سبأ، فلما احتضر استخلفها لِمَا عرف مِنْ رأيها وحسن تدبيرها، فوليت أمر اليمن كله، وانقادت لها قبائل حمير، وتوسع ملكها، وكانت تحت يدها الملوك.
وسبأ: هي القبيلة التي هي أولاد سبأ بن يشجب، واسم بلدة سبأ من اسم القبيلة، ولمَّا ظهر النبي سليمان دعاها إلى الإسلام، فأسلمت فتزوجها، وقصتها مع سليمان عليه السلام في سورة النمل.
انظر: «التبصرة» لابن الجوزي ٢/ ٣٠٣؛ «الأعلام» للزركلي ٢/ ٧٣

(٢) في (ج): «دين واحد».

(٣) الحديث عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، رقم الحديث (٣٢٥٩) ص١٢٧٠؛ وصحيح مسلم ج٤، =

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

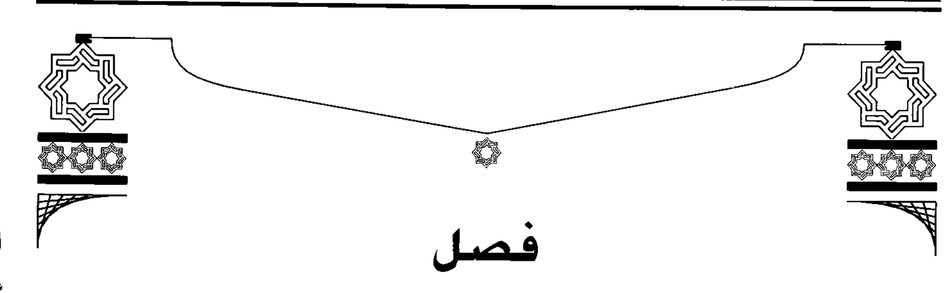
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٣].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢][1].

❖ ❖ ❖

= كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٦٥) ص١٨٣٧، ورواه أحمد عن أبي هريرة ٢/ ٣٠٩، ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٨٢.

(١) وهذه الآيات لم ترد في (هـ)، والمطبوعة.



فصل

الفصل الحادي عشر

تفضيل الأنبياء ومراتب السعداء

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل مِنَ الأولياء الذين ليسوا بأنبياءَ، وقد رتَّب الله عباده السعداء المنعَمَ عليهم أربعَ مراتب، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وفي الحديث: «ما طلَعتِ الشمسُ ولا غرَبت على أحد بعد النبيين والمرسلين، أفضل مِنْ أبي بكر»(١).

وأفضل الأمم أمةُ محمد ﷺ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند(٢): «أنتم

---

(١) رواه الطبراني بعدة طرق عن جابر، وفي سنده إسماعيل بن يحيى التميمي، وهو كذاب. وعن أبي الدرداء، وفي سنده (بقية) وهو مدلس، وبقية رجاله وثقوا. وعن سلمة بن الأكوع، وفي سنده إسماعيل بن زياد، وهو ضعيف. وعن أسعد بن زرارة، وفي سنده محمد بن موسى، وهو ضعيف.
انظر: «مجمع الزوائد» ٩/٤٣، ٤٤.

(٢) في (ج)، (د): «في الحديث الصحيح الذي في المسند».

توفون سبعين أمة أنتم خيرُها وأكرمُها على الله»[١].

وأفضل أمة محمد ﷺ هم[٢]: القرن الأول، وقد ثبت عن النبي ﷺ مِنْ غير وجه أنه قال: «خير القرون القرن الذي بُعثتُ فيهم[٣]، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[٤]. وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه، وفي الصحيحين[٥] - أيضاً - عنه ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثلَ أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[٦].

---

(١) الحديث عن حكيم بن معاوية عن أبيه، وهو من رواية الجريري وبهز بن حكيم. وقال الترمذي: حديث حسن.

انظر: «المسند» ٥/ ٣؛ سنن الترمذي ج٣، أبواب تفسير القرآن، ص٣٩٤، رقم الحديث (٤٠٨٧)؛ سنن ابن ماجه ج٢، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم الحديث (٤٢٨٨)، ص١٤٣٣.

(٢) سقط الضمير من (هـ)، والمطبوعة.

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «فيه».

(٤) انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٤٥٠) ص١٣٣٥؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة. رقم الحديث (٢٥٣٣ - ٢٥٣٦) ص١٩٦٢ - ١٩٦٥.

(٥) في (ب): «وفي الصحيح».

(٦) الحديث في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وغيره. ورواه أحمد وأبو داود والترمذي، وابن ماجه.

انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، رقم الحديث (٣٤٧٠) ص١٣٤٣؛ «صحيح مسلم» ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم رقم الحديث (٢٥٤٠)، ص١٩٦٧؛ «المسند» ٣/ ١١؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث =

والسابقون الأولون مِنَ المهاجرين والأنصار: أفضل مِنْ سائر الصحابة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون الأولون: هم[١] الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية[٢]، فإنه كان أوَّلَ فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢].

فقالوا: يا رسول الله، أَوَفَتْحٌ هو؟ قال: «نعم»[٣].

وأفضل السابقين الأولين: الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الأمة، وجماهيرها، وقد دلت على ذلك دلائلُ بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية»[٤].

= (٤٦٥٨) ص٤٥؛ «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، باب ما جاء في ص٣٥٧، ٣٥٨؛ «سنن ابن ماجه» ج١، المقدمة، فضل أهل بدر، رقم الحديث (١٦١) ص٥٧.

(١) سقط الضمير من (هـ)، المطبوعة. (٢) تقدم في ص٩٢.

(٣) رواه أبو داود وأحمد عن مجمع بن جارية.
انظر: «سنن أبي داود» ج٣، كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً، رقم الحديث (٢٧٣٦) ١٧٤؛ «المسند» ٣/ ٤٢٠، ٤٨٦.

(٤) في (ب): «منهاج الاستقامة والاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال». =

وبالجملة اتفقت طوائف[١] السنة والشيعة: على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد مِنَ الخلفاء، ولا يكون مِنَ بعد الصحابة أفضلُ مِنَ الصحابة[٢].

وأفضل أولياء الله تعالى: أعظمهم معرفةً بما جاء به الرسول، واتباعاً له، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكملُ معرفةً بما جاء به وعملاً به، فهو أفضل أولياء الله؛ إذ[٣] كانت أمة محمد ﷺ أفضلَ الأمم، وأفضلُها أصحابُ محمد ﷺ وأفضلُهم أبو بكر رضي الله عنه.

قياس ملاحدة الصوفية خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء

وقد ظن طائفة غالطة: أن خاتم الأولياء يكون[٤] أفضلَ الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد مِنَ المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء، إلّا محمد بن علي[٥] (الحكيم

= وهذا الكتاب من مؤلفات ابن تيمية المشهورة، وقد ألفه ردّاً على «منهاج الكرامة» لابن المطهر، والكتاب مطبوع في ١٠ مجلدات، وانظر الكلام فيه حول أفضلية أبي بكر في المجلد الرابع ص٢١٤ ـ ٢٩٨.

(١) في (ب): «طائفة».

(٢) في (أ)، (ب)، (و): «أفضل من جميع الصحابة».

(٣) في (د): «إذا».

(٤) قوله: «يكون» سقط من (هـ)، والمطبوعة.

(٥) محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة، كتب الحديث الكثير ورواه، نفي من ترمذ إلى بلخ، لابتداعه وتأليفه كتاب (ختم الولاية)، واختلف في سنة وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ٣٢٠هـ.

انظر: «صفة الصفوة» ٤/ ١٦٧؛ «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي ص٢١٧.

الترمذي)، فإنه صنَّف مصنفاً[١] غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة مِنَ المتأخرين يزعم كل واحد[٢] منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم مَنْ يدعي أن خاتم الأولياء أفضل مِنْ خاتم الأنبياء مِنْ جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله مِنْ جهته، كما زعم ذلك ابن عربي[٣] صاحب كتاب[٤] «الفتوحات المكية»[٥]،

(١) اسم هذا المصنف «ختم الولاية». وقد صرح ابن تيمية باسم هذا المصنف في رسالته «حقيقة مذهب الاتحاديين»، وأورد أمثلة من أغلاطه، وقد نشر الكتاب بتحقيق د. عثمان يحيى، طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٥م.
انظر: «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ١/ ١٠٠؛ «حقيقة مذاهب الاتحاديين» لابن تيمية ص٥٩؛ «درء تعارض العقل والنقل»، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ٥/ ٣٥٥.

(٢) كلمة «واحد» سقطت من (أ)، (د).

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي، أبو بكر، المعروف بمحيي الدين بن عربي. ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ، وتعلم بها، وطاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه الفتوحات المكية، وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، وله مصنفات فيها كُفْرٌ صريح، توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ.
انظر: «التكملة لوفيات النقلة» ٣/ ٥٥٥ (٢٩٧٢)؛ «البداية والنهاية» ١٣/ ١٤٩.

(٤) في (أ)، (ب): «صاحب كتاب الفتوحات في كتاب الفصوص».

(٥) «الفتوحات المكية» من أكبر مؤلفات ابن عربي وآخرها تأليفاً، ألفها في فترة إقامته في مكة، ثم كتبها ثانية بدمشق، ذكر أنه زاد عليها زيادات لا توجد في النسخة الأولى، والكتاب مطبوع في أربع مجلدات كبيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر، ويكاد يشتمل على كل ما أورده ابن عربي في مؤلفاته الأخرى، وقد قضى في وضعه وتمحيصه ثلاثين سنة أو يزيد. قال عنه ابن كثير: إن فيه ما يُعقل وما لا يُعقل، وما يُنكر وما لا يُنكر، وما يُعرف وما لا يُعرف.
انظر: «كشف الظنون» ٢/ ١٢٣٨؛ «البداية والنهاية» ١٣/ ١٤٩، ومقدمة الفتوحات التي كتبها د. عثمان يحيى.

وكتاب «الفصوص»[(١)]، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال[(٢)]: فخَرَّ عليهم السقف مِنْ تحتهم، لا عقل ولا قرآن.

وذلك أن[(٣)] الأنبياء أفضل[(٤)] في الزمان مِنْ أولياء هذه الأمة، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل مِنَ الأولياء، فكيف يكون[(٥)] الأنبياء كلهم.

والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدَهم ويدَّعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم.

فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء

فإن فضل محمد ﷺ (على سائر الأنبياء)[(٦)] ثبت بالنصوص

---

(١) «فصوص الحكم» من مؤلفات ابن عربي، زعم أنه ألقاه إليه الرسول ﷺ. وإنما الذي ألقاه إليه الشيطان؛ لأن فيه من الكفر والإلحاد ما قد بينه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «حقيقة مذهب الاتحاديين». قال أبو العلاء عفيفي في مقدمة «الفصوص»: له طريقة في تأويل الآيات فيها تعسُّف وشطط، ويعمد إلى تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه.
يقول (نيكولسون) في وصف أسلوب ابن عربي في الفصوص: إنه يأخذ نصّاً من القرآن أو الحديث، ويؤوِّله بالطريقة التي نعرفها في كتابات فيلون اليهودي، وأريجن الإسكندري. وقد طبع الكتاب سنة ١٣٦٥هـ، دار إحياء الكتب العربية في مجلد واحد، الجزء الأول فيه نص كتاب الفصوص، والجزء الثاني تعليقات عليه لأبي العلاء عفيفي.

(٢) في (ب): «لمن قرأ قال فخر». (٣) في (ب)، (ج): «لأن».

(٤) في (أ)، (ب): «أسبق».

(٥) كلمة «يكون» من (أ)، (ب)، (د).

(٦) ما بين القوسين سقط من (هـ)، والمطبوعة.

الدالَّة على ذلك، كقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(١)]، وقوله: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك»[(٢)].

وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلِّهم[(٣)]، فكان أحقَّهم بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. إلى غير ذلك من الدلائل.

والأنبياء[(٤)] كلٌّ منهم يأتيه الوحي مِنَ الله، لا سيما و[(٥)]محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره؛ فلم تحتج شريعته إلى نبي[(٦)] سابق، ولا إلى لاحق، بخلاف غيره، فإن المسيح[(٧)] أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة، وشريعة التوراة

---

(١) رواه بهذا اللفظ: ابن ماجه، عن أبي سعيد، ورواه مسلم وأبو داود، عن أبي هريرة، وليس عندهما لفظ: «ولا فخر».
انظر: «سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ص١٤٤٠، رقم الحديث (٤٣٠٨)؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ رقم الحديث (٢٢٧٨) ص١٧٨٢؛ و«سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، رقم الحديث (٤٦٧٣) ص٥٤.

(٢) تقدم تخريجه ص١٤.

(٣) في (د): «رفع له درجة على الأنبياء».

(٤) قوله: «والأنبياء» سقط من (هـ)، والمطبوعة.

(٥) سقطت الواو من: (أ)، والمطبوعة.

(٦) قوله: «نبي» سقط من (أ)، (هـ)، والمطبوعة.

(٧) في (هـ)، والمطبوعة: «... بخلاف المسيح».

جاء المسيح يكملها(١)، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة(٢) على المسيح، كالتوراة، والزبور، وتمام الأربع وعشرين نبوة(٣)، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدَّثين، بخلاف أمة محمد ﷺ فإن الله أغناهم به، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث، بل جمع له(٤) من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضلَّه الله (به ما أنزله إليه)(٥)، وأرسله إليه، لا بتوسط(٦) بشر، وهذا بخلاف الأولياء، فإن كلَّ مَنْ بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون وليّاً لله إلا باتباع محمد ﷺ وكل ما حصل له مِنَ الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد ﷺ وكذلك مَنْ بلغه(٧) رسالة رسول(٨) إليه لا يكون وليّاً إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه(٩).

...نف ولاية الله ...ي اتباع الرسل ...فر من ادعى ...ستغناء عنهم

ومَنِ ادَّعى أن مِنَ الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن،

(١) في (ب)، (هـ)، والمطبوعة: «... على التوراة وجاء المسيح فكملها..».
(٢) في (ب): «المقدمة».
(٣) في (ج): «وتمام الأربع والعشرين نبوة».
في (ب): «وتمام الأربع والعشرين ألف نبوة». ويقوي ما أثبتناه موافقته لعدد الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون.
(٤) في (ب): «جمع الله له».
(٥) في (د): «به من الله بما أنزله إليه»، وفي المطبوعة: «بما أنزله إليه».
(٦) في (ب): «لا بواسطة». (٧) في (ج): «بلغته».
(٨) في (د): «رسوله».
(٩) يعني: من الأمم الماضية قبل مبعث محمد ﷺ.

أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شرٌّ مِنَ اليهود والنصارى، الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بُعِثَ بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر أكفر[١] مِنْ أولئك؛ لأن علم الباطن ـ الذي هو: علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها[٢] ـ هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف مِنَ العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادَّعى المدعي أن محمداً ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة، دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه[٣] الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادَّعى أن البعض[٤] الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهو شرٌّ[٥] ممن يقول: أومن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدَّعي أن هذا[٦] البعض الذي آمن به أدنى القسمين.

ملاحدة الصوفية وتفضيلهم الولاية على النبوة

وهؤلاء الملاحدة: يدَّعون[٧] أن الولاية أفضلُ مِنَ النبوة، ويُلَبِّسون على الناس، فيقولون: ولاية محمد[٨] أفضل مِن نبوته، وينشدون:

---

(١) في (هـ)، والمطبوعة: «فهو كافر وهو أكفر».
(٢) في (ب): «هو علم إيمان القلب ومعارفه وأحواله».
(٣) اسم الإشارة سقط من (ب).
(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «بعض».
(٥) في (أ): «أشر».
(٦) اسم الإشارة سقط من (ب).
(٧) في (ج)، (د): «قد يدعون».
(٨) في (أ)، والمطبوعة: «ولايته أفضل».

مـقـام الـنـبـوة فـي بـرزخ فوق الرسول ودون الولي[(١)]

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا مِنْ أعظم ضلالهم، فإنَّ ولاية محمد لم يماثله فيها أحد، لا إبراهيم ولا موسى، فضلاً عن أن يماثلَه فيها[(٢)] هؤلاء الملحدون[(٣)].

وكل رسول نبيٌّ وكل نبيٍّ[(٤)] وليٌّ، فالرسول نبيٌّ وليٌّ، ورسالته متضمِّنة لنبوته، ونبوته متضمِّنة لولايته، (فكيف يكون ولايته المتضمِّنة في نبوته أفضلَ مِنْ نبوته الداخلة لولايته؟)[(٥)]، وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله، فهذا تقدير ممتنع؛ فإنه حال إنباء الله إياه[(٦)] ممتنع أن يكون إلَّا وليّاً لله، فلا يكون نبوة[(٧)] مجردة عن ولايته[(٨)]، ولو قُدِّرت مجرَّدَةً لم يكن أحد

---

(١) هكذا في جميع النسخ. وفي رسالة «حقيقة مذهب الاتحاديين» لابن تيمية: فويق الرسول، وهو المناسب؛ لأنه الذي يستقيم معه وزن البيت. وفي كتاب «لطائف الأسرار»:

سـمـاء الـنـبـوة فـي بـرزخ دون الـولـي وفـوق الـرسـول

وقائل هذا البيت ابن عربي.

انظر: «لطائف الأسرار» لابن عربي ص٤٩؛ «حقيقة مذهب الاتحاديين» لابن تيمية «مجموع الفتاوى» ٢/ ٢٢١.

(٢) في (هـ)، والمطبوعة: «... عن إيمان ثلة فيها».

(٣) في (ب)، (د): «الملاحدة».

(٤) قوله: «وكل نبي» سقط من (هـ)، والمطبوعة.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ب)، (هـ)، والمطبوعة.

(٦) في (هـ)، والمطبوعة: «إنبائه إياه».

(٧) كلمة «نبوة» سقط من (ب)، والمطبوعة.

(٨) في (ب)، (و): «ولاية لله».

مماثلاً للرسول في ولايته[١].

علاقة ملاحدة الصوفية الاتحادية بالمتفلسفة

وهؤلاء، قد[٢] يقولون كما يقول[٣] صاحب «الفصوص» ابن عربي[٤]: إنهم يأخذون مِنَ المعدن الذي يأخذ منه الملَك الذي يوحى به إلى الرسول[٥]، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة[٦] المتفلسفة، ثم أخرجوها في[٧] قالب المكاشفة، وذلك أن المتفلسفة قالوا[٨]: إن الأفلاك قديمة أزليَّة لها علة تتشبه بها، كما يقوله أرسطو وأتباعه، أولها موجب بذاته، كما يقوله متأخروهم؛ كابن سيناء وأمثاله، ولا يقولون: إن الرب[٩] خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات، بل إمَّا أن ينكروا علمه مطلقاً، كقول أرسطو، أو يقولوا: (إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها)[١٠]، كما يقوله[١١] ابن سيناء.

وحقيقة هذا القول: إنكار علمه بها، فإنَّ كل موجود في

---

(١) في (أ)، (ج): «ولايته لله». (٢) «قد» سقطت من (ب).

(٣) في (أ)، (ج): «يقوله».

(٤) أي: كتاب فصوص الحكم، وقد تقدم التعريف به في ص١٢٤ والترجمة لمؤلفه.

(٥) هذه المقالة في الفصول ١/٦٣.

(٦) كلمة «ملاحدة» سقطت من (و)، والمطبوعة.

(٧) في (أ)، (د): «إلى».

(٨) في (ج)، والمطبوعة: «الذين قالوا».

(٩) في المطبوعة: «أنها لرب».

(١٠) في (ب): «من الأمور المعتبرة بكلياتها».

(١١) في (ب)، والمطبوعة: «يقول».

الخارج فهو معيَّن جزئي، و[١]الأفلاك (كلٌّ منها معيَّن جزئي)[٢]، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمَنْ لم يعلم إلّا الكليات، لم يعلم شيئاً مِنَ الموجودات، والكليات إنَّما توجد كلياتٍ في الأذهان لا في الأعيان.

والكلام على هؤلاء مبسوطٌ في موضع آخر، في «رد تعارض العقل والنقل»[٣]، وغيره.

فإنَّ كُفْرَ هؤلاء أعظم مِنْ كُفْرِ اليهود والنصارى، بل ومشركي العرب؛ فإن جمع[٤] هؤلاء يقولون: إن الله خلق[٥] السماوات والأرض، وإنه خلق[٦] المخلوقات بمشيئته وقدرته.

وأرسطو ونحوه مِنْ متفلسفة اليونان[٧] كانوا يعبدون

---

(١) سقطت الواو من (أ)، والمطبوعة.

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «كل معين منها جزئي».

(٣) من مؤلفات ابن تيمية القيمة، رد فيه على الفلاسفة والمتكلمين، وقد طبع عدة مرات، آخرها سنة ١٤٠٢هـ تحت عنوان «درء تعارض العقل والنقل» بتحقيق د. محمد رشاد سالم، في عشرة أجزاء، والحادي عشر فهارس، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
قال ابن القيم عن هذا الكتاب: إنه كتاب لم يطرق العالم له نظير في بابه، فإنه هدم فيه قواعد أهل الباطل من أسسها، فخرت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث وأحكمها، ورفع من العقل والنقل والفطرة والاعتبار، فجاء كتاباً لا يستغنى عنه.
انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم ص١٩٨. وكلام المؤلف على هؤلاء الفلاسفة في ج١٠ من أوله إلى ص٢٠٠.

(٤) في (أ)، (ج): «إذا جميع هؤلاء».

(٥) في (ب): «خالق»، وفي (د): «يخلق».

(٦) في (ج): «يخلق».

(٧) في (أ)، والمطبوعة: «من المتفلسفة واليونان».

الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة ولا الأنبياء[١]، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء مِنْ ذلك، وإنَّما غالب علوم القوم في[٢] الأمور الطبيعية، وأمَّا الأمور الإلهية، فكلٌّ منهم فيها قليل الصواب[٣]، كثير الخطأ.

واليهود والنصارى ـ بعد النسخ والتبديل ـ أعلم بالإلهيات[٤] منهم بكثير، ولكنْ متأخروهم ـ كابن سيناء[٥] ـ أرادوا أن يلفِّقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا شيئاً[٦] من أصول الجهمية[٧] والمعتزلة[٨]، وركَّبوا (منه ومن قول أولئك)[٩] مذهباً قد يعتزي إليه متفلسفة أهل الملل[١٠]، وفيه مِنَ الفساد والتناقض ما قد نُبِّه[١١] على بعضه في غير هذا الموضع[١٢].

---

(١) في المطبوعة: «وهم يعرفون الملائكة والأنبياء».
(٢) «في»: سقط من (ب)، (ج).
(٣) كلمة «الصواب» سقط من (ب)، (ج).
(٤) في المطبوعة: «بالهيئات».
(٥) في المطبوعة: «كابن سيناء وغيره». (٦) في (أ)، والمطبوعة: «أشياء».
(٧) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، فرقة ضالة تنكر أسماء الله وصفاته، ويقولون بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال. ويزعمون أن الإيمان هو: المعرفة بالله تعالى فقط. وأن الكفر هو: الجهل به فقط، وقد اتفقت أصناف الأمة على تكفيرهم.
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني، بهامش «الفصل» لابن حزم ١٠٩/١؛ «الفرق بين الفرق» ص٢١٢.
(٨) تقدم الكلام على المعتزلة في ص٥٧.
(٩) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.
(١٠) في (د): «أهل الكتاب». (١١) في المطبوعة: «نبهنا».
(١٢) من ذلك ما في رسالة المؤلف «مختصر نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان». =

وهؤلاء لمَّا رأوا أن[1] أمر الرسل ـ كموسى وعيسى، ومحمد ﷺ ـ قد بهر العالم، واعترفوا بأن الناموس[2] الذي بُعِث به محمد ﷺ أعظمُ ناموس طرق العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك[3] وبين أقوال سلفهم اليونان، الذين هم مِنْ[4] أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله[5]، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة، يسمونها: المجرَّدات، والمفارقات. وأصل ذلك مأخوذ مِنْ مفارقة النفس للبدن[6]، فسمَّوْا تلك مفارقاتٍ[7] لمفارقتها المادة، ومجرداتٍ لتجرُّدها عنها[8]، وأثبتوا الأفلاك، لكل فلك نفساً، جعلوها أعراضاً، وبعضهم جعلها جواهرَ.

وهذه المجردات التي أثبتوها ترجع ـ عند التحقيق ـ إلى

= انظر: «مجموع الفتاوى» ٩/١٣٣ ـ ١٣٥.

(١) في (ج)، والمطبوعة: «لما رأوا أمر الرسل».

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «واعترفوا بالناموس».
والناموس: يطلق على عدة معانٍ؛ منها: أنه صاحب سر الرجل الذي يطلعه دون غيره على باطن أمره. وهو قول الجمهور، ومنها: أن الناموس: صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر، ويطلق على جبريل؛ لأنه صاحب سر الخير، ويطلق الناموس، ويراد به: الشريعة، وهو مراد المؤلف هنا. انظر: «مجمع بحار الأنوار» ٤/٧٨٦.

(٣) في (ب): «... أن يجمعوا بينه وبين..».

(٤) «من» سقطت من (أ)، والمطبوعة.

(٥) زاد في المطبوعة: «واليوم الآخر».

(٦) في (أ): «البدن»، وفي (د): «والبدن».

(٧) في (أ)، (ج)، والمطبوعة: «المفارقات».

(٨) في المطبوعة: «لمفارقتها المادة وتجرها عنها».

أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان، كما أثبت أصحاب فيثاغورس[١] أعداداً مجردة، وكما أثبت أصحاب[٢] أفلاطون[٣] الأمثال الأفلاطونية المجردة، و[٤]أثبتوا هيولي[٥] مجردة عن الصورة ومدة وخلاء مجردين[٦]، وقد اعترف حُذَّاقهم بأن ذلك إنَّما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان.

فلمَّا أراد هؤلاء المتأخرون منهم ـ كابن سيناء ـ أن يثبت

---

(١) في (أ)، (ج)، (د): «أصحاب أرسطو».
والصحيح ما أثبت؛ لأن فيثاغورس انفرد بإثبات أعداد مجردة، خالف الفلاسفة قبل وخالفه فيها من بعده.
وفيثاغورس: هو ابن منساخس، من أهل ساميا، قيل: إنه عاش في زمن سليمان عليه السلام، وهو فيلسوف له علم في الهندسة، وعلم الطبيعة، وصنعة الكيمياء والسحر والروحانيات، ويقال: إنه هو الذي أدخل علم الهندسة والطبيعة في بلاد اليونان.
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ٢/ ١٧٣ بهامش «الفصل» لابن حزم. «حسن المحاضرة» للسيوطي ١/ ٦٠.

(٢) كلمة «أصحاب» سقطت من (أ)، (ج)، (د).

(٣) أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس، من أثينية، وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين. معروف بالفلسفة والحكمة، كان قبل المسيح بحوالي أربعة قرون، تتلمذ على سقراط، وتتلمذ عليه أرسطو.
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ٢/ ١٩٠ بهامش «الفصل» لابن حزم؛ «حسن المحاضرة» للسيوطي ١/ ٦٠.

(٤) سقطت الواو من المطبوعة.

(٥) قال ابن تيمية: الهيولي في لغتهم بمعنى المحل، يقال الفضة هيولي الخاتم والدرهم والخشب هيولي الكرسي، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة هذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض.
انظر: «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية ص٨٨.

(٦) في (ج): «مجرد».

النبوة عند المتفلسفة

أمر النبوات[(١)] على أصولهم الفاسدة: زعموا[(٢)] أن النبوة لها خصائص ثلاثة مَنِ اتَّصف بها، فهو نبي:

أن تكون[(٣)] له قوة علمية[(٤)]، يسمونها القوة القدسية، ينال بها العلم بلا تعلم.

وأن يكون له قوة تخيلية[(٥)]، تخيل له ما يعقل في نفسه، بحيث يرى في نفسه صوراً، أو[(٦)] يسمع في نفسه أصواتاً، كما يراه النائم ويسمعه، ولا يكون لها وجود في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى.

وأن يكون له قوة فعالة، يؤثر بها في هيولي[(٧)] العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وخوارق السَّحَرَة هي من قوى الأنفس، فأقرُّوا مِنْ ذلك بما يوافق أصولهم دون قلب العصا حيّة[(٨)]، و[(٩)]دون انشقاق القمر، ونحو ذلك، فإنهم ينكرون وجود هذا.

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع[(١٠)]، وبينا أن

---

(١) في (ب): «النبوة». (٢) في (ب): «وزعموا».

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): «أن يكون».

(٤) في (أ)، (ج): «علية». (٥) في (ج): «تخييلية».

(٦) في (ب)، (ج)، (و).

(٧) في (أ)، (د): «هؤلاء العالم».

(٨) في (أ)، والمطبوعة: «من» بدلاً من «دون».

(٩) في (د)، والمطبوعة: سقطت الواو.

(١٠) من هذه المواضع ما في كتاب «النبوات» ص١٦٨ وما بعدها. كتاب «الرد على المنطقيين» ص٤٤١.

كلامهم هذا مِنْ[1] أفسد الكلام، وأنَّ هذا الذي جعلوه مِنْ[2] خصائص النبي يحصل[3] ما هو أعظم منه لآحاد العامة ولأقل[4] أتباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله، وهم كثيرون كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

نظرية العقول العشرة عند الفلاسفة

وليسوا عشرةً وليسوا أعراضاً، لا سيما وهؤلاء يزعُمون أن الصادر الأول هو: العقل الأول، وعنه صدر (كل ما سواه، فهو عندهم ربُّ كل ما سوى الله، وكذلك كلُّ عقل ربٌّ)[5] كل ما دونه، والعقل الفعّال العاشر ربُّ كل ما تحت فلك القمر.

وهذا كلُّه[6] يُعلَمُ فسادُه بالاضطرار مِنْ دين الرسل[7] فليس أحدٌ مِنَ الملائكة مبدع لكل ما سوى الله.

بطلان حديث العقل الذي استدل به الفلاسفة

وهؤلاء يزعمون أنَّ العقل (الأول هو العقل)[8] المذكور في حديث يروى: «أن أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبِلْ، فأقبل، فقال له: أدبِرْ، فأدبر، فقال: وعِزَّتي ما خلقت خلقاً أكرمَ عليَّ منك؛ فبك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب، وعليك

---

(١) الحرف «من» سقط من المطبوعة.
(٢) الحرف «من» سقط من (و)، المطبوعة.
(٣) في المطبوعة: «تحصل».
(٤) كلمة «أقل» سقطت من (هـ)، والمطبوعة.
(٥) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.
(٦) في (أ)، (ب): «مما» بدلاً من «كله».
(٧) في (أ)، (ب)، (ج): «الرب» بدلاً من «الرسل».
(٨) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.

العقاب»[١]. ويسمونه ـ أيضاً ـ القلم، لما روي: «إن أول ما خلق الله القلم»[٢]. الحديث رواه الترمذي.

والحديث الذي ذكروه في «العقل» كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي[٣] والدارقطني[٤]،

---

(١) ورد هذا الحديث بروايتيه بطرق متعددة لا تقوم بها حجة.
قال عنه ابن الجوزي: لا يصح هذا الحديث عن رسول الله ﷺ. ورواه الدارقطني بسند فيه سيف بن محمد. وقد قال عنه ابن حبان، أبو حاتم البستي: إنه يأتي عن المشاهير بالمناكير. قال السيوطي: كذب موضوع بالاتفاق. وهو في (زوائد الزهد) لعبد الله ابن الإمام أحمد، وفي سنده سيار بن حاتم، وقد قال عنه العقيلي: أحاديثه منكرة. وقال عنه ابن حجر: ليس له طريق ثبت. وقال الشوكاني: لا يحل الاحتجاج به. وقال ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب.
انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي ١/ ١٧٤؛ «المجروحين من المحدثين» لابن حبان ١/ ٣٤٣؛ «الفوائد المجموعة» للشوكاني ص٤٧٧؛ «الدرر المنتثرة» للسيوطي ص١٦٨؛ «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٧، «المنار المنيف» لابن القيم ص٦٦.

(٢) رواه الترمذي من حديث عبادة بن الصامت، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد وأبو داود.
انظر: «سنن الترمذي» ج٣، أبواب القدر، حديث رقم (٢٢٤٤) ص٣١٠، وكذلك ج٥، تفسير سورة القلم، رقم الحديث (٣٣٧٥) ص٩٦.
انظر: «المسند» ٥/ ٣١٧؛ «سنن أبي داود» ج٥، كتاب السنة، باب القدر رقم الحديث (٣٣٧٥) ص٩٦.

(٣) محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي. أحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين، رحل إلى البلدان، وسمع الكثير من المشايخ، من كتبه «المسند الصحيح»، ولي قضاء بلدة (بست) ومات سنة ٣٥٤هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٢٩٠؛ «الأعلام» للزركلي ٦/ ٧٨.

(٤) علي بن عمر بن أحمد الدراقطني. إمام عصره في الحديث، والجرح =

وابن الجوزي[١]، وغيرهم. وليس هو[٢] في شيء من دواوين الحديث التي يُعتمد عليها، ومع هذا فلفظه ـ لو كان ثابتاً ـ حجة عليهم، فإن لفظة: «أول ما خلق الله تعالى العقل قال له...»[٣]، ويروى: «لمَّا خلق الله العقل قاله...»[٤]، فمعنى الحديث: أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، و[٥]ليس معناه أنه أول المخلوقات.

وأول: منصوب على الظرفية[٦]، كما في اللفظ[٧] الآخر (لمَّا)[٨]. وتمام الحديث «... ما خلقت خلقاً أكرمَ علي منك...» فهذا يقتضي أنه خلق قبله[٩]، ثم قال: «... فبك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب»، فذكر أربعة

= والتعديل، جمع وألف واتسع بالرواية، ومن أشهر مؤلفاته «السنن». وله معرفة بالقراءات، والنحو، والفقه، والشعر. والدارقطني نسبة إلى دار القطن، وهي محلة كبيرة ببغداد، توفي سنة ٣٨٥هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٣٥٥؛ «الأعلام» للزركلي ٤/ ٣١٤.

(١) عبد الرحمٰن بن علي بن محمد، أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التيمي. والجوزي نسبة إلى فرضة نهر البصرة، وهو أحد العلماء، برز في علوم كثيرة، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلثمائة مصنف، من كتبه في التفسير «زاد المسير»، وله «جامع المسانيد»، و«الموضوعات»، وغيرها. كانت ولادته سنة ٥٠٨هـ ببغداد، وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٣/ ٢٧؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ٣١٦.

(٢) سقط الضمير «هو» من المطبوعة.

(٣) سقطت من المطبوعة: «له».

(٤) انظر الهامش رقم (١) في الصفحة السابقة.

(٥) سقطت الواو من (أ)، (ج).

(٦) في (أ)، (ج)، والمطبوعة: «علي الظرف».

(٧) في (د): «في لفظ».

(٨) «لما» سقطت من (أ)، (ب).

(٩) في المطبوعة: «قبل». وهذا خطأ؛ لأنه يحيل المعنى الذي أراده المؤلف.

أنواع مِنَ الأعراض، وعندهم أن جميع جواهر[١] العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل، فأين هذا مِنْ هذا؟!

لفظ العقل في لغة المسلمين واليونان

وسبب غلطهم: أنَّ لفظ[٢] العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان، فإنَّ العقل في لغة المسلمين مصدر عَقَلَ يعقِلُ عقلاً، كما في القرآن: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

ويُراد بالعقل: الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقِل بها.

وأمَّا أولئك، فالعقل عندهم: جوهر قائم بنفسه كالعاقل، وليس هذا مطابقاً للغة الرسول[٣]، والقرآن[٤].

وعالم الخلق: عندهم ـ كما يذكره أبو حامد[٥] ـ عالم الأجسام.

---

(١) في (ب): «جوهر». (٢) في (ب): «لفظة».

(٣) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «الرسل».

(٤) في (ب) سقط قوله: «والقرآن».

(٥) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد. برع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة؛ منها: «إحياء علوم الدين»، و«تهافت الفلاسفة» وغيرهما. رحل إلى الشام وبيت المقدس، وأقبل على العبادة والزهد. وفي آخر حياته مال إلى سماع الحديث والحفظ للصحيحين، توفي سنة ٥٠٥هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٢/١٨٧؛ «الأعلام» للزركلي ٧/٢٢.

وأمَّا[١] العقول والنفوس، فيسميها: عالم الأمر.

وقد يسمي العقول: عالم الجبروت، والنفوس: عالم الملكوت، والأجسام: عالم الملك.

ويظن مَنْ لم يعرف لغة الرسول[٢] ومعاني الكتاب والسنة: أن ما في القرآن[٣] والسنة مِنْ ذكر المَلَك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك.

وهؤلاء يُلَبِّسون على المسلمين تلبيساً كثيراً، كإطلاقهم أن الفلك محدَث، أي معلول، مع أنه قديم عندهم، والمحدَث لا يكون إلَّا مسبوقاً بالعدم، و[٤]ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى[٥] القديم الأزلي محدثاً، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء، وكل مخلوق فهو محدث، وكل محدث كائن[٦] بعد أن لم يكن. لكن ناظرهم بعض[٧] أهل الكلام مِنَ الجهمية والمعتزلة مناظرةً قاصرةً، لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا للإسلام نصروا ولا للأعداء[٨] كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية

---

(١) في المطبوعة: «عالم الأجسام العقل والنفوس».
(٢) في المطبوعة: «... الرسل ولم يعرف معاني الكتاب..».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «الكتاب».
(٤) سقطت الواو من (أ)، (ج)، والمطبوعة.
(٥) في (د): «سمى».
(٦) في (ب): «كان».
(٧) كلمة «بعض» سقطت من (ج)، والمطبوعة.
(٨) في (ب)، (ج): «لأعدائه».

والعقلية مِنْ أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد بسط في غير هذا الموضع[١].

الملائكة في نظر المتفلسفة

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيالَ الذي يتشكل[٢] في نفس النبي ﷺ والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة المتصوفة[٣] الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة، وزعموا أنهم أولياء الله، وأن الولي[٤] أفضل مِنَ النبي[٥]، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص»[٦]، فقال: إنه يأخذ مِنَ المعدن الذي يأخذ[٧] منه الملَك الذي يوحي به إلى الرسول[٨].

والمعدن عنده[٩] هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل.

وهو ـ بزعمه ـ يأخذ عن العقل[١٠] الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال، لهذا صار عند نفسه فوق النبي، ولو كان خاصة النبي ما ذكروه[١١] لم[١٢] يكن هو من جنسه، فضلاً

---

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» ١/ ١٥٢ وما بعدها.
(٢) في (ب): «تشكل».
(٣) كلمة «المتصوفة» سقطت من المطبوعة.
(٤) في المطبوعة: «وأن أولياء الله». (٥) في المطبوعة: «من أنبياء الله».
(٦) تقدمت ترجمة ابن عربي والتعريف بكتابيه ص١٢٣، ١٢٤.
(٧) في المطبوعة: «أخذ».
(٨) انظر كلام ابن عربي هذا في: «الفصوص» ١/ ٦٢.
(٩) في (أ)، (د): «والمعدن عند هؤلاء».
(١٠) كلمة «العقل» سقط من المطبوعة. (١١) في (أ)، (د): «ما ذكره».
(١٢) في المطبوعة: «ولم».

عن أن يكون فوقه، فكيف وما ذكروه[١] يحصل لآحاد المؤمنين، والنبوة أمرٌ وراء ذلك.

فإن ابن عربي وأمثاله ـ وإن ادَّعوا أنهم من الصوفية[٢] ـ فهم مِنْ صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا مِنْ صوفية أهل الكلام[٣] فضلاً عن أن يكونوا مِنْ مشايخ أهل الكتاب[٤] والسنة، كالفضيل بن عياض[٥]، وإبراهيم بن أدهم[٦]، وأبو سليمان الداراني[٧]، ومعروف الكرخي[٨]، والجنيد بن محمد[٩]،

---

(١) في (أ)، (د): «وما ذكره».

(٢) في (ب): «إنهم من أولياء الله فهم».

(٣) في المطبوعة: «أهل العلم».

(٤) المقصود بالكتاب هنا: «القرآن».

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي. ولد (بسمرقند)، وأصله من الكوفة. سكن مكة، وصار شيخَ الحرم المكي، يعد مِنَ العُبَّاد الصالحين، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً كثير الحديث، توفي بمكة سنة ١٨٧هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٨/ ٢٩٤؛ «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي ص٦؛ «الأعلام» للزركلي ٥/ ١٥٣.

(٦) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي. أصله من «بلخ»، ثم تنقل في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن علمائها، وهو زاهد مشهور، له دراية في الحديث، وله كلام مأثور في الزهد، توفي سنة ١٦١هـ على الأرجح.
انظر: «الحلية» ٧/ ٣٦٧؛ و«الأعلام» للزركلي ١/ ٣١.

(٧) تقدم في ص٩٩.

(٨) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ. من المشايخ المشهورين بالزهد والورع، وكان مستجاب الدعوة، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي بها سنة ٢٠٠هـ.
انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي ص٨٣؛ و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٦٩.

(٩) تقدم في ص٧٤.

وسهل بن عبد الله التستري[1]، وأمثالهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

والله ﷻ قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد. والتستري نسبة إلى بلدة تستر، وهو من أئمة الصوفية وعلمائهم، ومن المتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال، مات سنة ٢٨٣هـ.
انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي ص٢٠٦؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ١٤٣.

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيمَ (عليه السلام) في صورة البشر[١]، وأن الملَك تمثَّل لمريم بشراً سويّاً[٢]، وكان جبريل (عليه السلام) يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دحية الكلبي[٣]، وفي صورة أعرابي، ويراهم الناس كذلك[٤].

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين[٥]، وأن محمداً ﷺ رآه بالأفق المبين[٦]، ووصفه بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ٢ ـ ١٨].

ولقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه

---

(١) في سورة هود، الآية: ٦٩. (٢) في سورة مريم، الآية: ١٧.

(٣) دحية بن خليفة بن فضالة الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل: أحد، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وهو رسول النبي ﷺ إلى قيصر، روى عن النبي ﷺ، نزل دمشق وسكن (المزة)، وعاش إلى خلافة معاوية.

انظر: «الإصابة» ٢/ ٣٨٤، ت٢٣٩٢؛ «تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٠٦، ت٣٩٤.

(٤) أخرجه أحمد عن عمر، قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دحية. وعن حارثة بن النعمان أنه رأى رجلاً يناجي الرسول ﷺ فأخبره النبي ﷺ بأن ذاك الرجل هو جبريل عليه السلام.

انظر: «المسند» ٢/ ١٠٧، ٤/ ١٧.

(٥) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١. (٦) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

لم يَرَ جبريلَ في صورته[(١)] التي خُلِقَ عليها غير[(٢)] مرتين[(٣)]، يعني المرة التي بالأفق الأعلى، والمرة الأخرى[(٤)] عند سدرة المنتهى.

ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين[(٥)]، ووصفه[(٦)] بأنه روح القدس[(٧)]، إلى غير ذلك مِنَ الصفات التي تبين أنه مِنْ[(٨)] أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء، وأنه جوهرٌ قائمٌ بنفسه، ليس خيالاً في نفس النبي ﷺ كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة، والمدَّعون[(٩)] ولايةَ الله، وأنهم أعلمُ مِنَ الأنبياء.

اعتقاد ملاحدة الصوفية في الوجود وحقيقة أمرهم جحد الخالق

وغاية تحقيق[(١٠)] هؤلاء: إنكار أصول الإيمان، فإنَّ أصول الإيمان أنْ تؤمن[(١١)] بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وحقيقةُ أمرهم جَحْدُ الخالق، فإنهم جعلوا وجودَ المخلوق هو وجودَ الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات تشترك في مسمَّى الوجود، كما يشترك الناس[(١٢)] في مسمَّى الإنسان،

---

(١) في (أ)، (ج): «في الصورة».
(٢) في (ب)، (ج): «إلَّا» بدلاً من «غير».
(٣) انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة النجم، رقم الحديث (٤٥٧٤) ص١٨٤٠؛ «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، رقم الحديث (٢٨٧) ص١٥٩.
(٤) في (أ)، والمطبوعة: «يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى والنزلة الأخرى».
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٦) في المطبوعة: «وأنه روح القدس».
(٧) سورة النحل، الآية: ١٠٢.
(٨) في (د): «أنه أعظم».
(٩) في (ج)، (د): «المدعون» بدون الواو.
(١٠) في المطبوعة: «حقيقة».
(١١) في (ب)، والمطبوعة: «الإيمان بأن تؤمن بالله».
(١٢) في (أ)، والمطبوعة: «تشترك الأناسي».

والحيوان في مسمى الحيوان، ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركاً[(١)] كليّاً إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس[(٢)].

ووجودُ السماوت ليس هو بعينه وجودَ الإنسان، فوجود الخالق ـ جل جلاله ـ مباينٌ لوجود[(٣)] مخلوقاته.

وحقيقة قولهم: قول فرعون الذي عطَّل الصانع، فإنه لم يكن منكراً[(٤)] هذا الوجود المشهود[(٥)]، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك، لكن زعموا بأنه هو الله، فكانوا أضلَّ منه، وإن كان هو[(٦)] أظهرَ فساداً منهم، ولهذا جعلوا عُبَّادَ الأصنام ما عبدوا إلا الله. وقالوا: لمَّا كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وإن جار[(٧)] في العرف الناموسي لذلك قال: أنا ربكم الأعلى ـ أي ـ وإن كان أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم[(٨)] بما أعطيته في الظاهر مِنَ التحكُّم فيكم.

قالوا: ولمَّا علمت السَّحَرَةُ صدق فرعون فيما قاله أقروا له

---

(١) كلمة «مشتركاً» سقطت من (د). (٢) في (أ): «بالنفوس».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «الخالق جل جلاله» ليس هو كوجود مخلوقاته.
(٤) في (ب)، (ج): «ينكر».
(٥) في (أ)، والمطبوعة: «والمشهود»
(٦) في المطبوعة: «وإن كان قوله هذا هو أظهر».
(٧) في (ب)، والمطبوعة: «جاز»، وفي (أ)، (ج)، (د): «جاءت»، وما أثبت من (و)، وهو الذي يستقيم به المعنى المقصود، ويوافقه ما في «الفصوص».
(٨) في (ب)، والمطبوعة: «منكم». وما أثبت من بقية النسخ، ويوافق ما في «الفصوص».

بذلك، وقالوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢][١]، قالوا: فصح قول فرعون: أنا ربكم الأعلى، وكان[٢] فرعون عين الحق.

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر، فجعلوا أهل النار يتنعَّمون كما يتنعَّم أهل الجنة، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله، مع دعواهم أنهم خُلاصة خاصَّة الخاصَّة من أهل ولاية[٣] الله، وأنهم أفضلُ مِنَ الأنبياء، وأنَّ الأنبياء إنَّما يعرفون الله مِنْ مِشكاتهم[٤].

وليس هذا موضعَ بَسْطِ بيان[٥] إلحاد هؤلاء[٦]، ولكن لمَّا كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء مِنْ أعظم الناس ادِّعاءً[٧] لولاية الله، وهم[٨] أعظمُ الناس ولايةً للشيطان نبَّهنا على ذلك.

---

(١) كلمة «الدنيا» سقطت من (ج)، والمطبوعة.

(٢) في (ب): «وإن كان». وفي «الفصوص»: «وإن كان غير الحق فالصورة لفرعون». وفي نسخة الفصوص الأخرى: «وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون».
انظر: «الفصوص» ١/ ٢١٠، ٢١١.

(٣) كلمة «ولاية» سقطت من (أ)، (ب)، (ج).

(٤) في «الفصوص» ١/ ٦٢.

(٥) كلمة «بيان» من (د).

(٦) انظر رسالة المؤلف: «حقيقة مذهب الاتحاديين»، «مجموع الفتاوى» ٢/ ١٣٤ ـ ١٧٥، والرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون: «جامع الرسائل» ص٢٠٣ ـ ٢١٦.

(٧) في (أ): «دعوة»، وفي (د): «دعوى».

(٨) في (أ)، (ب): «وهم من أعظم».

عامة كلام الملاحدة المتصوفة من التخيلات الشيطانية

ولهذا عامَّة كلامهم[١] إنَّما هو في التخيُّلات[٢] الشيطانية، ويقولون ما قاله صاحب (الفتوحات)[٣]: باب أرض الحقيقة، ويقولون هي أرض الخيال، فيعترف[٤] بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال، والخيال هو محلُّ تصرُّف الشيطان، فإن الشيطان يخيِّل للإنسان الأمورَ بخلاف ما هي.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٦ ـ ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) في (د): «كلامهم هنا».

(٢) في (ج)، والمطبوعة: «الحالات».

(٣) أي كتاب «الفتوحات المكية» وهو ابن عربي، وقد تقدمت ترجمته والتعريف بكتابه هذا ص١٢٣.

(٤) في (ج)، والمطبوعة: فتعرف.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقد رُوي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة[1]، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي تؤيد بها عباده هربت منهم، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم

(١) أخرج مالك عن ابن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلّا لِمَا رأى من تنزُّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أري يوم بدر»، قيل: وما رأى يومَ بدر يا رسول الله؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة».
قال محمد عبد الباقي: هذا مرسل، وقد وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.
انظر: «الموطأ» ج١، كتاب الحج، باب جامع الحج، رقم الحديث (٢٤٥) ص٤٢٢.

بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

وهؤلاء تأتيهم أرواحٌ فتخاطبهم[(١)] وتتمثَّل لهم، وهي جِنٌّ وشياطينُ، فيظنونها ملائكةً، كالأرواح التي تخاطب مِنْ يعبد الكواكب والأصنام.

وكان أول من ظهر[(٢)] مِنْ هؤلاء ـ في الإسلام ـ المختارُ بن أبي عبيد[(٣)] الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه»، عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[(٤)].

---

(١) في (ج)، والمطبوعة: «تخاطبهم».

(٢) في المطبوعة، (و): «وكان من أول ما ظهر».

(٣) المختار بن أبي عبيد مسعود الثقفي، أبو إسحاق. كان أبوه مِنْ جِلَّةِ الصحابة، ولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وكان في أول أمره معدوداً في أهل الخير والفضل، إلى أن فارق ابنَ الزبير إلى الكوفة، فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، وطالب بدم الحسين، وتبعه بعض الناس، وصارت له قوة، وشاعت في الناس أخبارٌ عنه بأنه ادعى النبوة، ونزولَ الوحي عليه، وله أسجاع يدَّعي أنها مِنَ الإلهام، ومكث ١٦ شهراً، ثم قاتله مصعب بن الزبير أمير البصرة من قِبَلِ أخيه عبد الله بن الزبير، فقتله في الكوفة سنة ٦٧هـ.
انظر: «الإصابة» ٦/٣٤٩ ـ ٣٥٣، ت٨٥٥٢؛ «الأعلام» ٧/١٩٢.

(٤) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ولفظه: أن في ثقيف كذاباً ومبيراً.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم الحديث (٢٥٤٥) ص١٩٨١. وروي بطريق آخر عن سلامة بنت الحر، قالت: قال رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذاب ومبير». تفرد به أبو يعلى.
انظر: «البداية والنهاية» ٩/١٣٥.

فكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير[1]: الحجاج بن يوسف[2]. فقيل لابن عمر، وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[3] [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]. قال الآخر[4]: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[5] [الأنعام: ١٢١].

---

(١) المبير: المهلك. والحجاج قد أسرف في إهلاك الناس، حتى قيل: إنه بلغ من قتله صبراً ـ سوى من قتله في الحرب ـ مائة وعشرين ألفاً.
انظر: «مجمع بحار الأنوار» ١/ ٢٢٥.

(٢) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أبو محمد. ولد بالطائف سنة ٤٠هـ، ونشأ بها، وكان شابّاً لبيباً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن، ولّاه عبد الملك الحرمين ثم الكوفة، وكانت فيه شهامة عظيمة، وحب لسفك الدماء، فأكثر مِنْ قتل النفوس التي حرَّمها الله بأدنى شبهة، وكان يغضب غضب الملوك، وله مِنَ الأمور والجراءة والإقدام والتهاون في الأمور العظام ما يمدح على مثله، وما يذم بقوله وفعله، توفي سنة ٩٥هـ بواسط.
انظر: «البداية والنهاية» ٩/ ١٣١ ـ ١٥٧؛ «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢١٠.

(٣) روى ابن جرير عن سعيد بن وهب، قال: كنت عند عبد الله بن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]. ولم أقف في هذا على شيء عن ابن عمر.
انظر: «تفسير الطبري» ١٩/ ١٢٦.

(٤) أي ابن عباس.

(٥) روى ابن جرير عن أبي زميل، قال: كنت قاعداً عند ابن عباس، فجاءه رجل من الصحابة، فقال: يا ابن عباس، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة ـ يعني المختار بن أبي عبيد ـ فقال ابن عباس: صدق! فنفرت، فقلت: يقول ابن عباس صدق! فقال ابن عباس هما وحيان، وحي الله =

مصدر الفصوص روح شيطاني

ومن[١] هذه الأرواح الشيطانية: الروح[٢] الذي يزعم صاحب «الفتوحات»[٣] أنه ألقى إليه ذلك[٤] الكتاب[٥]، ولهذا

= ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].
انظر: «تفسير الطبري» ١٢/٨٦، وفي (ب)، (و): «. . . يزعم أنه ينزل عليه ويوحى إليه» فقال: صدق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ ومن هذه.

(١) في المطبوعة: «وهذه الأرواح».
(٢) في (أ)، والمطبوعة: «هي الروح».
(٣) أي: كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، وقد تقدم الكلام عنه في ص١٦١ ـ ١٦٢.
(٤) في (أ)، (د): «ألقى إليه الكتاب».
(٥) الكتاب المشار إليه هو كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي؛ فقد قال في مقدمته: أما بعد، فإني رأيت رسول الله في مبشرة أريتها في العشر الأواخر من محرم لسنة ٦٢٧هـ بدمشق، وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة.
انظر: «الفصوص» ١/٤٧، وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب في ص١٢٣.
ومن هذه الأوراح الشيطانية ما يُعرَفُ في هذا العصر بتحضير الأرواح، الذي يزعم أصحابه أنهم يتخذون أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم في المشكلات والمعضلات، والاستعانة بهم في علاج مرض الأبدان والنفوس، وفي الإرشاد إلى المجرمين، وفي الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل، ويزعمون أن الموتى ـ على مختلف أديانهم ـ يعيشون في سعادة وهناء. ومعنى هذا أن السعادة والهناء لا تتوقف على الدين، فيؤدي ذلك إلى الاستخفاف بالدين. ولا شك أن الصهيونية الهدامة هي التي تقف وراء هذه الدعوة تريد أن تجعلها ديناً جديداً يهدم أسس المجتمع وينشر فيه الفوضى بالتشكيك في الأديان السماوية كما تمليه عليهم تعاليمهم الصهيونية.
وقد كتب د. محمد محمد حسين، كتاباً أسماه «الروحية الحديثة» ذكر أساليبهم ووسائلهم وبين بطلانها.

يذكر أنواعاً مِنَ الخلوات بطعام معين وحال[١] معين، وهذه مما[٢] تفتح لأصحابها الاتصال[٣] بالجن والشياطين، فيظنون ذلك مِنْ كرامات الأولياء، وإنما هو مِنَ الأحوال الشيطانية.

وأعرف مِنْ هؤلاء عدداً[٤]، ومنهم مَنْ كان يحمل في الهواء[٥] إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم مَنْ كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت[٦] تدلُّه على السرقات بجُعْلٍ يحصل[٧] له مِنَ الناس (أو لعطاء يعطونه)[٨] إذا دلَّهم على سرقاتهم، ونحو ذلك.

ولما كانت[٩] أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين[١٠] للرسل ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ـ، كما يوجد في كلام[١١] صاحب «الفتوحات المكية» و«الفصوص»[١٢] وأشباه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وعاد[١٣] وفرعون، وغيرهم، وينتقص الأنبياء[١٤]، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون،

---

(١) في المطبوعة: «وشيء معين».
(٢) في (ب): «إنما».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن».
(٤) في (أ)، (د): «أعداداً».
(٥) في (أ)، (د): «على الهواء».
(٦) في (ب): «كان».
(٧) في (أ)، (ج): «يجعل».
(٨) في (أ)، (ج): «أو تعطيهم له»، وفي (ب): «أو يعظم»، وفي (د): «أو يعطيهم».
(٩) في (ب): «كان».
(١٠) في (د): «منافقين للرسل».
(١١) قوله: «في كلام» سقط من (أ)، (ج)، (د).
(١٢) أي كتاب الفتوحات المكية، وكتاب فصوص الحكم لابن عربي، وقد تقدم الكلام عليهما في ص١٢٣، ١٢٤.
(١٣) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «هود» بدلاً من (عاد).
(١٤) في (أ)، (ب)، (ج): «بالأنبياء».

وغيرهم[١]، ويذمُّ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجُنيد بن محمد[٢]، وسهل بن عبد الله التستري[٣] وأمثالهما، ويمدح المذمومين عند المسلمين، كالحلَّاج[٤]، ونحوه، كما ذكره في تخلياته[٥] الخيالية الشيطانية.

فإن الجنيد ـ قدس الله روحه ـ كان من أئمة الهدى، فسئل عن التوحيد، فقال: «التوحيد إفراد الحدوث عن القدم»[٦]، فبيَّن أن التوحيد أن يميز[٧] بين القديم والمحدَث، أي بين[٨] الخالق والمخلوق.

اعتراض صاحب الفصول على الجنيد في تفسير التوحيد ورد الشيخ عليه

وصاحب الفصوص أنكر هذا، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية: يا جنيد، هل يميز بين المحدَث والقديم إلا مَنْ يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: «إفراد المحدَث عن

(١) قوله: «وغيرهم» سقط من المطبوعة.
(٢) تقدمت ترجمته في ص٧٤. (٣) تقدمت ترجمته في ص١٤٢.
(٤) الحسين بن منصور الحلاج. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، كانت له بداية جيدة وتألُّه وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه، فقتل في بغداد سنة ٣٠٩هـ، ولم يزل الناس مختلفين فيه، فأما الفقهاء، فأجمعوا على قتله وأنه قتل كافراً، وكذلك أكثر الصوفية، وأما طائفة من الصوفية، فغرَّهم ظاهره، ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فانخدعوا فيه وانحازوا إلى صفه.
انظر: «البداية والنهاية» ١١/١٣٨؛ «لسان الميزان» ٢/٨٣١٤.
(٥) في (ج)، والمطبوعة: «تجلياته».
(٦) في «الرسالة القشيرية» قال الجنيد: التوحيد: إفراد القدم عن الحديث.
انظر: «الرسالة القشيرية» ص٣٣.
(٧) في المطبوعة: «تميز».
(٨) في (أ)، والمطبوعة: «وبين الخالق..»، في (هـ): «أي الخالق».

القديم»[١]؛ لأن قوله[٢] هو: إن وجود المحدَث هو عين وجود القديم. كما قال[٣] في «فصوصه»: «ومِنْ أسمائه الحسنى: العلي، على مَنْ؟ ومَنْ ثم إلّا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلُوُّه لنفسه، وهو مِنْ حيث الوجود عين الموجودات»[٤]، فالمسمَّى محدَثات هي العليَّة لذاتها، وليست إلا هو - إلى أن قال - فهو[٥] عين ما بَطَنَ وهو عين ما ظهر، وما ثَمَّ مَنْ يراه غيره، وما ثَمَّ مَنْ يبطن[٦] عنه سواه، وهو المسمَّى أبو سعيد الخراز[٧]، وغير ذلك مِنْ أسماء[٨] المحدثات»[٩].

فيقال لهذا الملحد: ليس[١٠] مِنْ شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما، فإنَّ كل واحد مِنَ الناس يميز بين نفسه وغيره[١١]، وليس هو ثالثاً.

---

(١) في (ب)، والمطبوعة: «إفراد الحدوث عن القدم».

(٢) الضمير يعود لابن عربي. (٣) في (أ)، والمطبوعة: «قاله».

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «وهو عين الموجودات».

(٥) في المطبوعة: «هو».

(٦) في المطبوعة: «من ينطق». وفي «الفصوص»: من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى...

(٧) أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد. والخراز نسبة إلى خرز الجلود، وهو مِنْ أئمة الصوفية. له تصانيف في علوم القوم، صحب ذا النون المصري، وسرياً السَّقطي، وبشراً الحافي. قيل: إنه أول مَنْ تكلم في علم الفناء والبقاء، توفي سنة ٢٨٦هـ، وقيل غيرها.
انظر: «الحلية» ١٠/ ٢٤٦؛ «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص٤٠؛ «الأعلام» للزركلي ١/ ١٩١.

(٨) في المطبوعة: «الأسماء». (٩) «الفصوص» ١/ ٧٦، ٧٧.

(١٠) في المطبوعة: بدون (ليس). (١١) في (ب)، (د): «وبني غيره».

فالعبد يعرف(١) أنه عبد، ويميز بين نفسه وبين خالقه.

والخالق ـ جل جلاله ـ يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربُّهم وأنهم عبادُه، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، واستشهدنا(٢) بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرُّون به باطناً وظاهراً.

عقيدة التلمساني والموازنة بينه وبين ابن عربي والقونوي

أما هؤلاء الملاحدة، فيزعُمون ما كان(٣) يزعُمه التلمساني(٤) منهم ـ وهو أحذقهم في إلحادهم(٥) ـ لما قُرئَ عليه «الفصوص»، فقيل له: القرآن يخالف قولكم(٦)، فقال: «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في(٧) كلامنا، فقيل له: فإذا كان الوجود واحداً، فلِمَ كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال: الكلّ عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم»(٨).

---

(١) في المطبوعة: «يعرفه». (٢) في المطبوعة: «والاستشهاد».

(٣) في (ب): «ما يزعمه».

(٤) سليمان بن علي بن عبد الله بن علي، التلمساني ـ عفيف الدين ـ شاعر متصوف، له مصنفات في النحو والأدب والفقه والأصول، تنقل في البلاد، ثم سكن دمشق، وهو يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله، واتهم بالميل إلى مذهب النصيرية، ونسب إليه عظائم في الأقوال الاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض، توفي بدمشق سنة ٦٩٠هـ.
انظر: «الأعلام» للزركلي ٣/ ١٣٠؛ «البداية والنهاية» ١٣/ ٣٠٩.

(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «اتحادهم».

(٦) في المطبوعة: «فصوصكم». (٧) في المطبوعة: «من كلامنا».

(٨) القائل له هو الشيخ كمال الدين المراغي.
انظر: رسالة المؤلف «حقيقة مذهب الاتحاديين» ضمن «مجموع الفتاوى» ٢/ ١٣٤ ـ ٢٨٥.

وهذا ـ مع كفره العظيم ـ متناقض تناقضاً[١] ظاهراً؛ فإنَّ الوجود إذا كان واحداً، فمَنِ المحجوب ومِنَ الحاجب؟!

ولهذا قال بعض[٢] شيوخهم لمريده[٣]: مَنْ قال لك: إن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟!

وقال لآخر: هذه مظاهر، فقال لهم: المظاهر غير الظاهر أم هو[٤]؟ فإن كانت غيرَها، فقد قلتم بالتثنية[٥]، وإن كانت هي[٦] إياها، فلا فرق.

الشيء عند ابن عربي والمعتزلة

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر[٧] وبيَّنَّا حقيقة قول كل واحد منهم، وأن صاحب

---

(١) كلمة «تناقضاً» سقطت من (د)، والمطبوعة.

(٢) كلمة «بعض» سقط من المطبوعة.

(٣) المريد في عرف الصوفية: هو المجرد عن الإرادة. أي مَنْ ترك إرادة نفسه. وقيل: من صفاته: الأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأحكام، والصبر لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والتعرض لكل سبب يوصل إليه، والقناعة بالخمول، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب.
انظر: «التعريفات» للجرجاني ص٢٠٨؛ و«الرسالة القشيرية» ص٩٧.

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «... المظاهر غير المظاهر أم هي».

(٥) في (ب)، والمطبوعة: «بالنسبة».

(٦) قوله: «هي» سقط من المطبوعة.

(٧) انظر في هذا رسائل المؤلف: «حقيقة مذهب الاتحاديين»؛ و«الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية»؛ و«الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم» ضمن «مجموع الفتاوى» ١٣٤٢ ـ ٤٥١؛ و«بيان تلبيس الجهمية» ٢/ ٥٣٨.

«الفصوص»[١] يقول: المعدوم شيء ووجود الحق فاض عليها[٢]، فيفرق[٣] بين الوجود والثبوت.

والمعتزلة[٤] الذين قالوا: المعدوم شيء ثابت في الخارج - مع ضلالهم - خيرٌ منه.

فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق لهذه[٥] الأشياء الثابتة في العدم وجوداً[٦] ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليها[٧]، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق.

وصاحبه الصدر القونوي[٨] يفرق[٩] بين المطلق والمعيَّن؛

---

(١) أي كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي، وقد تقدم الكلام عليه في ص١٢٤.
(٢) في (د)، والمطبوعة: «عليهما». (٣) في (ج): «فنفرق».
(٤) في (ب): «والمعتزلة خذلهم الله تعالى». وليس هذا مِنْ كلام المؤلف، فالسب والشتم والإثارة ليست سبيلاً للوصول إلى الحق، وإنما هي أسلوب العاجز الضعيف، وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أبعد ما يكون عن هذا الأسلوب، فهو يعتمد في تبيين الحق على الحجة القوية المدعومة بالدليل الواضح والبرهان القوي المستمد من النقل والعقل، هذا ما عهدناه في مؤلفاته. والله أعلم.
(٥) في (ب): «هذه». (٦) في (ب): «ووجودها».
(٧) في المطبوعة: «عليهما».
(٨) محمد بن إسحاق بن محمد القونوي الرومي، صدر الدين. صوفي من كبار تلاميذ ابن عربي، وقد تزوج ابن عربي أمه، ورباه واهتم به حتى أصبح من أهل وحدة الوجود، وهو شيخ التلمساني، وله مصنفات كثيرة؛ منها: تفسير سورة الفاتحة في مجلد سماه «إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن»، توفي سنة ٦٧٣هـ بقونية، وأوصى بأن ينقل ويدفن عند شيخه ابن عربي.
انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص٤٦٧؛ و«مفتاح دار السعادة» لأحمد بن مصطفى ١/٤٥١.
(٩) في (ج): «فرق».

لأنه كان أقربَ إلى الفلسفة، فلم يقرَّ بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف «مفتاح غيب الجمع والوجود»[١].

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق[٢] وعدمه.

فإن المطلق بشرط الإطلاق ـ وهو الكلِّي العقلي ـ لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان.

والمطلق لا بشرط الإطلاق[٣] ـ وهو الكلِّي الطبيعي ـ وإن[٤] قيل: إنه موجود في الخارج، فلا يوجد في الخارج إلا[٥] معيناً، وهو جزء مِنَ المعين عند مَنْ يقول بثبوته في الخارج.

فيلزم: أن يكون وجود الرب إما منتفياً في الخارج، وإما أن يكون جزءاً مِنْ وجود المخلوقات، وإمَّا أن يكون عين وجود المخلوقات.

وهل[٦] يخلق الجزء الكلّ أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم

---

(١) ذكره حاجي خليفة باسم (مفتاح الغيب)، وفي جامعة الملك سعود نسخة مخطوطة باسم (مفتاح غيب الجمع والوجود) بخط جيد، وتتكون من ٩٤ ورقة وهي تحت الرقم ١/٢٦٧٧.
وقد أورد ابن تيمية شيئاً مما جاء فيه، ثم قال: وحقيقة هذا القول (أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً). وهذا كاف للحكم على الكتاب.
انظر: «كشف الظنون» ٢/١٧٦٨؛ رسالة ابن تيمية إلى نصر المليحي في «مجموع الفتاوى» ٢/٤٧١.

(٢) في (ب): «الصانع».

(٣) كلمة «الإطلاق» من (ب).

(٤) في (ب): «فإن».

(٥) قوله: «في الخارج إلا» سقطت من المطبوعة.

(٦) في المطبوعة: «وهو».

يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء خالقاً لجميعه؟!

وهؤلاء[١] يفرون مِنْ لفظ (الحلول)؛ لأنه يقتضي حالاً، ومحلّاً، ومِنْ لفظ (الاتحاد)؛ لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجود واحد، ويقولون: إن[٢] النصارى إنَّما[٣] كفروا لما خصُّوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمَّموا لما كفروا.

وكذلك يقولون في عُبَّاد الأصنام، إنَّما أخطأوا لَمَّا عبدوا[٤] بعض المظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لَمَا أخطأوا عندهم، (والعارف المحقق عندهم لا يضرُّه عبادة الأصنام)[٥].

وهذا ـ مع ما فيه من الكفر العظيم ـ ففيه ما يلزمهم دائماً مِنَ التناقض؛ لأنه يقال لهم: فمَنِ المخطئ؟ لكنهم يقولون: إن الربَّ هو الموصوف بجميع النقائص[٦] التي يُوصَف بها المخلوق.

ويقولون: إن المخلوقات تُوصَفُ بجميع الكمالات التي يُوصَفُ بها الخالق، ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»[٧]: (فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع

---

(١) أي: القونوي وغيره. (٢) سقطت «إن» من المطبوعة.

(٣) سقطت «إنما» من المطبوعة.

(٤) في (أ)، (ب)، (ج): «لما اعتقدوا»، وفي (ب): «لما اعتقدوا البعض الظاهر دون البعض، فلو عبدوا...».

(٥) ما بين القوسين سقط من (أ)، (ب)، (و).

(٦) في (و): «النقائض التي توصف بها المخلوقات».

(٧) أي: كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي، وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب في ص١٢٤، وترجمة ابن عربي في ص١٢٣.

النعوت الوجودية، والنسب العَدَمية، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلّا لمسمَّى الله خاصة)[١].

وهم - مع هذا الكفر[٢] - لا يندفع عنهم هذا[٣] التناقض، فإنه معلوم الحس والعقل أنَّ هذا ليس هو ذاك.

وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني[٤]: إنه ثبت عندنا في الكشف[٥] ما يناقض صريح العقل.

ويقولون: مَنْ أراد التحقيق - يعني تحقيقهم - فليترك العقل والشرع.

وقد قلت - لمن خاطبته[٦] منهم -: معلوم[٧] أنَّ كشف الأنبياء أعظمُ وأتمُّ مِنْ كشف غيرهم، وخبرهم أصدق مِنْ خبر غيرهم.

والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - يخبرون بما تعجِز عقول الناس[٨] عن معرفته، لا بما[٩] يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول، ويمتنع

(١) «الفصوص» ١/ ٧٦، ٧٧.
(٢) في المطبوعة: «مع كفرهم هذا».
(٣) سقط اسم الإشارة «هذا» من (أ)، (ب)، (و)، والمطبوعة.
(٤) تقدمت ترجمته في ص١٥٥.
(٥) تقدم تعريف المكاشفة في ص٣٦.
(٦) في (ب)، (ج): «خاطبت».
(٧) في المطبوعة: «ومعلوم».
(٨) في (أ)، (د): «بما تعجز العقول عن معرفته».
(٩) في (د): «لا ما يعرف».

أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح المعقول[١]، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان، سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقليّاً والآخر سمعيّاً، فكيف بمن ادَّعى كشفاً يناقض صريح[٢] الشرع والعقل؟!

وهؤلاء قد لا يتعمَّدون[٣] الكذب، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنُّونها في الخارج، وأشياء يرونها تكون موجودةً في الخارج لكن[٤] يظنونها مِنْ كرامات الصالحين، وتكون مِنْ تلبيسات الشياطين.

استمرار النبوة عند أهل الوحدة

وهؤلاء الذين[٥] يقولون بالوحدة: يقدمون[٦] الأولياء على الأنبياء، ويذكرون[٧] أن النبوة لم تنقطع، كما يذكر عن ابن سبعين[٨] ونحوه[٩].

(١) في (ب)، والمطبوعة: «العقول».
(٢) كلمة «صريح» سقطت من (ب)، (ج).
(٣) في (أ)، (د): «لا يعتمدون».
(٤) في (ب): «ويظنونها»، بدون لكن.
(٥) قوله: «الذين» سقط من(أ)، (د).
(٦) في (د): «ويقدمون»، وفي المطبوعة: «قد يقدمون».
(٧) في (ب)، (و)، : «أو يدعون أن النبوة».
(٨) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الرقوطي، نسب إلى رقوطة، بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة ٦١٤هـ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد وصنف فيه. له من المصنفات كتاب «البدو»، وكتاب «اللهو». وقد أقام بمكة، وجاور بعض الأوقات بغار حراء يرتجي أن يأتيه الوحي كما أتى النبي ﷺ بناءً على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، توفي سنة ٦٦٩هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٣/ ٢٤٧؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ٢٨٠.
(٩) في المطبوعة: «وغيره».

ويجعلون المراتبَ ثلاثةً، يقولون: العبد يشهد أولاً طاعة ومعصيةً، ثم طاعةً بلا معصيةٍ، ثم لا طاعة ولا معصية.

والشهود الأول هو: الشهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي.

وأما الشهود(١) الثاني: فيريدون به شهود القدر(٢)، كما كان(٣) بعض هؤلاء يقول: أنا كافر بربٍّ يُعصى، وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الإرادة التي هي المشيئة، والخلق كلُّهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلاً لما يختاره(٤) ... مني ففعلي كلُّه طاعات(٥)

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني والديني. وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية

(١) في (ب)، (ج)، (د): «وأما الثاني».
(٢) في (ب): «القدرة».
(٣) في المطبوعة: «كما أن».
(٤) في (ج)، والمطبوعة: «تختاره».
(٥) نسبه المؤلف في «الفتاوى» ٨/٢٥٧ إلى ابن إسرائيل.

فبيَّنها الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ لهم، فمن اتبع الجنيد[(١)] فيها كان على السداد، ومَنْ خالفه ضَلَّ.

فإنهم[(٢)] تكلموا في أن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته[(٣)]، وفي شهود[(٤)] هذا التوحيد، وهذا يسمونه: الجمع الأول.

فبين لهم الجنيد أنه لا بد مِنْ شهود الفرق الثاني[(٥)]، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلِّها مشتركةً في مشيئة الله وقدرته وخلقه، فيجب[(٦)] الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه، ويفرق بين أوليائه[(٧)] وأعدائه، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨].

---

(١) تقدمت ترجمته في ص٧٤.
(٢) في المطبوعة: «لأنهم تكلفوا بأن الأمر».
(٣) في (د): «بمشيئته وقدرته».
(٤) في (ج): «وفي شهوده هذا التوحيد».
(٥) هكذا في جميع النسخ، وحذف (الثاني) أنسب لفهم العبارة.
(٦) في المطبوعة: «يجب».
(٧) في (ب): «أولياء الله».

ولهذا كان مذهب سلف[(١)] الأمة وأئمتها: أن الله خالقُ كل شيء وربُّه ومليكُه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا ربَّ غيره، وهو ـ مع ذلك ـ أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، وهو لا يحب[(٢)] الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء وإن كانت واقعةً[(٣)] بمشيئته، فهو لا يحبها ولا يرضاها، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم.

وأما[(٤)] المرتبة الثالثة: أن لا يشهد طاعةً ولا معصيةً، فإنه[(٥)] يرى أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا هو[(٦)] غاية التحقيق والولاية لله، وهو ـ في الحقيقة[(٧)] ـ غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته، وغاية العداوة لله؛ فإن صاحب هذا المشهد يتخذ[(٨)] اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. ولا يتبرأ مِنَ الشرك والأوثان، فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ

(١) كلمة «سلف» سقطت من (ب).
(٢) في (أ): «ولا يجب».
(٣) في المطبوعة: «وقعت».
(٤) في (أ)، (ج): «والمرتبة».
(٥) في (ب): «فهو يرى».
(٦) في المطبوعة سقط قوله: «هو».
(٧) في (ب): «في التحقيق».
(٨) في (د): «متخذ».

تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢][1].

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه، مثل قصيدة ابن الفارض[2] المسماة بنظم السلوك، يقول فيها:

لها صلواتي بالمقام[3] أقيمها ... وأشهد فيها أنها لِيَ صلّتِ

كلانا مُصَلٍّ واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى أن يقول[4]:

ما زلت إياها وإيَّايَ لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلَّتِ[5]

---

(١) في (أ)، (ج)، والمطبوعة: «... من حاد الله ورسوله ﷺ».

(٢) عمر بن علي بن مرشد بن علي، أبو حفص. الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال بين يدي السلطان، فغلب عليه التلقيب بالفارض، وهو شاعر أديب، له ديوان مطبوع، ومن نظمه التائية في السلوك، التي نظمها على طريقة المتصوفة المشار إليها التي مضمونها القول بوحدة الوجود، كما قاله ابن تيمية. توفي سنة ٦٣٢هـ.

انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٤٣)؛ «البداية والنهاية» ١٣/ ١٣٧؛ «الأعلام» للزركلي ٥/ ٥٥.

(٣) في (د)، والمطبوعة: «في المقام». وما أثبت هو الموافق لما في الديوان.

(٤) في المطبوعة: «إلى أن قال».

(٥) في (ب)، (ج): «أحبت».

إليَّ رسولاً كنت مني مرسلاً وذاتي بآياتي عليَّ استدلت
فإن دعيت كنت المجيبَ وإن أكن منادي أجابت مَنْ دعاني ولبّت[1]

إلى أمثال هذا الكلام، ولهذا كان هذا القائل عند الموت[2] ينشد ويقول[3]:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت[4] فقد ضيعت أيامي
أمنية ظَفِرت نفسي[5] بها زمناً واليوم أحسبها أضغاثَ أحلام[6]

بعض الأدلة على بطلان دعوى الوحدة

فإنه كان يظن أنه هو الله[7]، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له[8] بطلان ما كان يظنه[9]، وقد قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد: ١].

ثم قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٢، ٣].

---

(١) ديوان ابن الفارض ص٩٧.
(٢) قال ابن تيمية: حدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم، عن الشيخ إبراهيم الجعبري، أنه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد هذه الأبيات.
انظر: «مجموع الفتاوى» ٢/٢٤٦.
(٣) كلمة «ويقول» سقطت من (ب)، (د).
(٤) في الديوان: ما قد رأيت.
(٥) في الديوان: روحي.
(٦) ديوان ابن الفارض ص٨١.
(٧) في (أ)، (د): «فإنه كان يظنه هو الله».
(٨) في المطبوعة: «تبين بطلان..».
(٩) في (ج): «ما كان يظنه»، وهؤلاء ممن قال الله سبحانه فيهم ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ وقد قال تعالى سبح لله..

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللهم ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، ربنا وربّ كل شيء، فالقَ الحب والنوى، منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك مِنْ شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر»[1].

ثم قال تعالى[2]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤].

فذكر أن السماوات والأرض ـ وفي موضع آخر وما بينهما ـ مخلوق له[3] مسبِّحٌ له، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء.

المعية لا تقتض حلولاً ولا اتحا

وأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث (٢٧١٣) ص٢٠٨٤؛ «سنن ابن ماجه» ج٢ كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث (٣٨٧٣) ص١٢٧٤.

(٢) لم يرد في (أ)، والمطبوعة كلمة: «تعالى».

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «مخلوق مسبح له».

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ولفظ (مع) جاءت[1] في القرآن عامة وخاصة.

فالعامة في هذه الآية، وفي آية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

فافتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك[2] وسفيان الثوري[3]، وأحمد بن حنبل: هو معهم

---

(١) في (ب): «جاء».

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم. الخراساني، تابعي جليل، إمام في التفسير. قال الإمام أحمد: هو ثقة، وقال ابن سعيد القطان: كان ضعيفاً. وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال: لم يشافه أحداً من الصحابة، ومن قال: إنه لقي ابن عباس فقد وهم، له كتاب في التفسير، وكان يعلم الصبيان حسبة، ويقال: إنه بلغ عدد الصبيان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، توفي في خراسان سنة ١٠٥هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ٩/ ٢٤٩؛ و«الأعلام» ٣/ ٢١٥.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله. أحد أئمة الإسلام وعُبَّادهم. روى عن غير واحد من التابعين، وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم. قال شعبة: ساد الناس بالورع والعلم، وقال: أصحاب المذاهب ثلاثة؛ ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، وغير =

بعلمه[١].

وأما المعية الخاصة: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى لموسى[٢]: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقال تعالى[٣]: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

يعني النبي ﷺ وأبا بكر الصديق[٤] رضي الله عنه.

فهو مع موسى وهارون، دون فرعون، ومع محمد وصاحبه[٥]، دون أبي جهل[٦] وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون، دون الظالمين المعتدين.

= ذلك من ثناء العلماء عليه، له من الكتب: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» وكلاهما في الحديث، وكتابه في الفرائض، توفي في البصرة سنة ١٦١هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٠/ ١٥٤؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ١٠٤.

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ٢٨/ ١٢، ١٣، والقرطبي ١٧/ ٢٩٠، وقول الإمام أحمد في كتابه: «الرد على الجهمية والزنادقة» ص١٣٨.

(٢) في (ج): «لموسى وهارون».

(٣) في (ج): «تعالى عن محمد ﷺ».

(٤) كلمة «الصديق» سقطت من (أ)، والمطبوعة.

(٥) كلمة «وصاحبه» سقطت من (أ)، (د).

(٦) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وكان يقال له: أبو الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل، واستمر على عناده يثير الناس على الرسول ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها سنة ٢هـ.
انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢٧٧، ٢/ ٢٧٦؛ «الأعلام» للزركلي ٥/ ٨٧.

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان، تناقض[١] الخبر الخاص والخبر العام، بل المعنى: أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

أي: هو إله من في السموات[٢]، وإله من في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

كما فسره أئمة العلم؛ كالإمام أحمد، وغيره[٣]: أنه المعبود في السموات والأرض[٤].

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على[٥] أن الرب تعالى بائن مِنْ مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ مِنْ غير تحريف ولا تعطيل، ومِنْ غير تكييف ولا تمثيل، يُوصَفُ[٦] بصفات الكمال، دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس

(١) في (ب): «يناقض». (٢) في (ب)، (ج): «السماء».
(٣) في (د): «كما فسره أولوا العلم أنه المعبود».
(٤) انظر: تفسير الإمام أحمد لهذه الآية في كتابه: «الرد عى الجهمية والزنادقة» ص١٣٧.
(٥) سقط حرف الجر «على» من (ب)، (ج)، (و).
(٦) في (ج): «فيوصف».

كمثله شيء، ولا كقوله[١] في شيء مِنْ صفات الكمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

قال ابن عباس: الصمد: العليم الذي كمُل في علمه، العظيم الذي كمُل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سؤدده[٢].

وقال ابن مسعود، وغيره: الصمد: هو الذي لا جوف له، والأحد: الذي لا نظير له[٣].

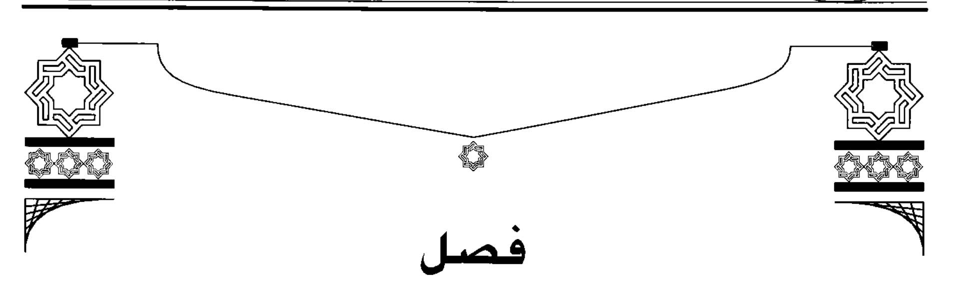
فاسمه الصمد يتضمن اتصافَه بصفات الكمال، ونفي النقائص عنه، واسمه الأحد يتضمن[٤] أنه لا مثيل[٥] له.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير[٦] هذه السورة، وفي كونها تعدل ثلث القرآن[٧].



---

(١) في (ب): «ولا كفعله في صفات الكمال».
(٢) أورده الطبري في تفسيره ٣٠/٣٤٦، عن ابن عباس. وابن الجوزي في «زاد المسير» ٩/٢٦٧؛ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٩٨.
(٣) أورده ابن كثير في تفسيره عن ابن مسعود ٤/٤٩٩.
(٤) في المطبوعة: «يتضمن اتصافه أنه».
(٥) في (د): «لا مثل».
(٦) في (ب)، والمطبوعة: «على تفسير ذلك في هذه».
(٧) روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، رقم الحديث (٤٧٢٧) ص١٩١٥. وقد أفرد ابن تيمية تفسير هذه السورة بمؤلف طبع بما يزيد عن مائتي صفحة.



فصل

الفصل الثاني عشر

اشتباه الحقائق الدينية والكونية على كثير من الناس

وكثير مِنَ الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية، بالحقائق الخَلْقية القدرية الكونية.

فإن الله ﷻ له الخلق والأمر(١) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو سبحانه خالق كل شيء وربُّه ومليكه، لا خالقَ غيره ولا ربَّ سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود مِنْ حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته(٢) وخلقه.

وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله(٣) ونهى عن معصيته ومعصية رسله(٤)، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهى عن الشرك(٥) بالله.

فأعظم(٦) الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك،

---

(١) في (ب): «وله الأمر».
(٢) في (ب)، والمطبوعة: «ومشيئته وقدرته وخلقه».
(٣) في (أ)، (ب)، (و): «ورسوله». (٤) في (أ)، (ب): «ورسوله».
(٥) في (ب)، والمطبوعة: «الإشراك». (٦) في (ب)، (د): «وأعظم».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعَمَ معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزنيَ بحليلة جارك». فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾[1] [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وأمر[2] سبحانه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ﴾ الآية، رقم الحديث (٤٤٨٣) ص١٧٨٤؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، رقم الحديث (١٤١) ص٩٠.
ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن ابن مسعود.
انظر: «مسند أحمد» ١/ ٣٨٠؛ «وسنن أبي داود» ج٢، كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا، رقم الحديث (٢٣١٠) ص٧٣؛ و«سنن الترمذي» ج٥، أبواب التفسير، من سورة الفرقان، رقم الحديث (٣٢٣٢) ص١٧؛ و«سنن النسائي» ج٧، كتاب تحريم الدم، ذكر أعظم الذنوب ص٨٩.

(٢) في (ب): «فأمر».

وأخبر أنه يحب المتقين، ويحب المحسنين[١]، ويحب المقسطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص.

وهو يكره ما نهى عنه، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾[٢] [الإسراء: ٣٨].

وقد نهى عن الشرك، وعقوق الوالدين، وأمر بإيتاء الحقوق[٣]، ونهى عن التبذير وعن التقتير، وأن يجعل يده مغلولةً إلى عنقه، وأن يبسطها كل البسط، ونهى عن قتل النفس بغير حق[٤]، وعن الزنا، وعن قُربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، إلى أن قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨].

وهو سبحانه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر.

حاجة كل أحد إلى التوبة والاستغفار

والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ أنه قال: «توبوا إلى ربكم، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٥]. وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال:

---

(١) قوله: «ويحب المحسنين» سقط من (ب)، (د).

(٢) وفي (و) سقط من قوله: «وهو يكره ما نهى عنه...» حتى نهاية الآية.

(٣) في المطبوعة: «بإيتاء ذي القربى الحقوق».

(٤) في المطبوعة: «بغير الحق».

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة، ومسلم عن الأغر المزني.
انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم الحديث (٥٩٤٧) ص٢٣٢٤؛ و«صحيح مسلم» =

«إنه لَيُغانُ[١] على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[٢].

وفي «السنن» عن ابن عمر، قال: كنا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «ربي اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة، أو قال أكثر مِنْ مائة مرة[٣].

وقد أمر الله تعالى عباده[٤] أن يختموا الأعمال الصالحات[٥] بالاستغفار؛ فكان[٦] النبي ﷺ إذا سلّم من الصلاة يستغفر ثلاثاً، ويقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت

= ج٤، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار رقم الحديث (٢٧٠٢) ص٢٠٧٥، ٢٠٧٦.

(١) الغين: أي الغيم، يقال: غينت السماء: إذا أطبق عليها الغيم. أراد الرسول ﷺ ما يغشاه من سهو لا يخلو منه بشر؛ لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض وقتاً ما عارضٌ بشريٌّ يشغَلُه عن أمور الملة ومصالحهما عَدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً، فيفزع إلى الاستغفار.
انظر: «مجمع بحار الأنوار» ٤/ ٨٥.

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن الأغر المزني.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار، رقم الحديث (٢٧٠٢) ص٢٠٧٥؛ و«سنن أبي داود» ج٢، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥١٥) ص١٧٧.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
انظر: «مسند أحمد» ٢/ ٢١؛ و«سنن أبي داود» ج٢، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥١٦) ص١٧٨؛ و«سنن الترمذي» ج٥ كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم الحديث (٣٤٩٥) ص١٥٨؛ و«سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الدعوات، باب الاستغفار، رقم الحديث (٣٨١٤) ص١٢٥٣.

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «وقد أمر الله سبحانه أن يختموا».

(٥) في (د): «الصالحة». (٦) في (أ)، (ب): «وكان».

يا ذا الجلال والإكرام». كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه[١].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة المزمل ـ وهي سورة قيام الليل ـ بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

وكذلك في الحج[٢]، قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لَمَّا[٣] غزا النبي ﷺ غزوة تبوك، وهي آخر غزواته: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد: عن ثوبان.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر، رقم الحديث (٥٩٢) ص٤١٤؛ و«سنن أبي داود» ج٢، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، رقم الحديث (١٥١٢) ص١٧٦؛ و«سنن الترمذي» ج١، أبواب الصلاة، باب ما يقول إذا سلم، رقم الحديث (٢٩٩) ص١٨٤؛ و«مسند أحمد» ٥/ ٢٧٥.

(٢) في المطبوعة: «في سورة الحج» وهو خطأ، إذ ليست الآية في سورة الحج، وإنما قصد المؤلف أن موضوع الآية: الحج.

(٣) في (ب): «حين غزا».

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

ومن[١] آخر ما نزل من القرآن ـ وقد قيل: إنها آخر سورة نزلت ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأوَّل القرآن[٢].

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه كان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما

---

(١) في المطبوعة: «وهي من آخر ما نزل من القرآن». وكلا اللفظين صحيح في معناه، فقد قيل: إن سورة التوبة آخر سورة نزلت.

انظر تفصيل هذا في: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ١/٢٠٦ ـ ٢١٠.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب صفة صلاة النبي ﷺ، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم الحديث (٧٨٤) ص٢٨١؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث (٤٨٤) ص٣٥٠.

قدَّمت وما أخَّرت وما أسررت وما أعلنت، لا إله إلا أنت»[١].

وفي «الصحيحين»: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

وفي «السنن»: عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فقال: «قل: اللهم فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك مِنْ شر نفسي، ومِنْ شر الشيطان وشركه، وأن أقترفَ على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى.
انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، رقم الحديث (٦٠٣٥) ص٢٣٥٠؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم الحديث (٢٧١٩) ص٢٠٨٧.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، رقم الحديث (٧٩٩) ص٢٨٩؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم الحديث (٢٧٠٥) ص٢٠٧٨.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي عن أبي بكر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال أحمد شاكر: وظاهر هذا الحديث أنه من رواية أبي هريرة عن أبي بكر.
انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ١/ ٥٢؛ و«سنن الترمذي» ج٥، أبواب الدعوات، باب ١٤، رقم الحديث (٣٤٥٢) ص١٣٤؛ =

فليس لأحد أن[1] يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار مِنَ الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً.

قال الله تعالى[2]: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

فالإنسان ظالم جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين[3] ومغفرته له.

وثبت في الصحيح[4] عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يدخل الجنةَ أحدٌ بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل»[5].

وهذا لا ينافي قولَه تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]. فإن الرسول ﷺ نفى باء المقابلة

= و«سنن أبي داود» ج٥، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث (٥٠٦٧) ص٣١٠؛ و«سنن الدارمي» ج٢، كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا أصبح، ص٢٩٢.

(١) في (ب): «لأحد يظن».

(٢) في المبطوعة: «قال الله تبارك وتعالى».

(٣) في (أ)، (ج): «عبادة المؤمنين والصالحين».

(٤) في (ب) في: «الصحيحين».

(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب المرضى، باب نهى تمني المريض الموت، رقم الحديث (٥٣٤٩) ص٢١٤٧؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله، رقم الحديث (٢٨١٦) ص٢١٦٩.

والمعادلة، والقرآن أثبت باء[١] السبب.

وقول مَنْ قال: إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب، معناه: أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار، فلم يصرَّ على الذنوب، ومَنْ ظن أن الذنوب لا تضر مَنْ أصر عليها فهو ضال، مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل مَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره.

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٥].

الاحتجاج بالقدر على الذنوب سبيل المشركين

ومَنْ ظنَّ أنَّ القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال الله تعالى ـ ردّاً عليهم ـ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

---

(١) في (أ)، (د): «والقرآن أثبت السبب».

ولو كان القدر حجةً لأحد[1] لم يعذب الله المكذبين للرسل؛ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين، ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله.

ومن رأى[2] القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم[3] والعقاب، فعليه أن لا يذمَّ أحداً ولا يعاقبَه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة[4] وما يوجب الألم، فلا يفرق بين مَنْ يعمل معه خيراً ومَنْ يعمل[5] معه شرّاً، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً.

وقد[6] قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [صٓ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

---

(١) قوله: «لأحد» سقط من (ب)، (ج)، (د).

(٢) في (د): «ومن أراد».

(٣) في (د): «الذنوب والعقوبات».

(٤) في (أ)، (د): «الذم».

(٥) في (ب)، والمطبوعة: «ولا بين من يفعل».

(٦) في (أ، د): «وقال تعالى».

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].
أي: مُهمَلاً لا يُؤمر ولا يُنهى[١].

حديث احتجاج آدم وموسى ومذاهب الناس فيه

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «احتج آدم وموسى، قال موسى: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، أخرجتنا ونفسك مِنَ الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وكتب لك التوراة بيده، فبكم وجدت مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق: (وعصى آدم ربه فغوى)؟ فقال: بأربعين سنة، قال: فلِمَ تلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن أُخلَقَ بأربعين سنة؟ قال: فحجَّ آدمُ موسى»[٢].

وهذا[٣] الحديث ضلت[٤] فيه طائفتان: طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر[٥].

وطائفة شَرٌّ مِنْ هؤلاء جعلوه حجة[٦]، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو[٧] الذين لا يرون أن لهم فعلاً.

---

(١) في (جـ): «أي هملا لا يؤمر ولا ينهى»، وفي (ب): «سقط ما بين القوسين».

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٦، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم الحديث (٦٢٤٠) ص٢٤٣٩؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث (٢٦٥٢) ص٢٠٤٢.

(٣) في المطبوعة: زاد (أي غلبة بالحجة) بعد أن ساق الحديث.

(٤) في (جـ): «قد ضلت».

(٥) وهم نفاة القدر.

(٦) وهم الجبرية.

(٧) في (ب)، (جـ): «والذين».

ومِنَ الناس مَنْ قال: إنما حجَّ آدمُ موسى؛ لأنه أبوه، أو لأنه قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في إخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الآخرة، وكل هذا باطل.

ولكن وجه الحديث: أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم مِنْ أجل أكله من الشجرة، فقال له: لماذا أخرجتنا ونفسك مِنَ الجنة؟ لم يلمه لمجرد[1] كونه أذنب ذنباً وتاب منه، فإن موسى يعلم أن التائب مِنَ الذنب لا يلام، وهو قد تاب أيضاً[2]، ولو كان آدمُ يعتقد رفعَ الملام عنه لأجل القدر لم يقل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] [الأعراف: ٢٣].

حكم الصبر والرضا عند المصائب

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلِّمَ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب.

قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب.

وقد[4] قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قال ابن مسعود: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم[5] أنها

---

(١) في (ب)، (د): «بمجرد». (٢) في المطبوعة: «تاب منه أيضاً».

(٣) وقد بسط ابن القيم الكلام على هذا الحديث في «شفاء العليل» ص١٢ وما بعدها.

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «وقال تعالى».

(٥) في (ب)، والمطبوعة: «يعلم».

من عند الله، فيرضى ويسلّم»[١].

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة ـ مثل المرض والفقر والذل ـ صبروا لحكم الله، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي، فافتقر أولاده لذلك، فعليهم أن يصبروا لِمَا أصابهم، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر.

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى مِنْ ذلك الرضى بحكم الله، والرضى قد قيل: إنه واجب، وقيل: إنه[٢] مستحبٌّ، وأعلى مِنْ ذلك أن يشكر اللهَ على المصيبة، لما يرى مِنْ إنعام الله عليه بها، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه، ورفع درجاته، وإنابته إلى الله، وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين[٣].

وأما أهل الغَيِّ[٤] والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم الله[٥] عليهم بها، كما قال بعض[٦] العلماء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به!

---

(١) رواه ابن جرير عن علقمة، ولم أقف عليه عن ابن مسعود.
انظر: «تفسير ابن جرير» ٢٨/ ١٢٣؛ و«زاد المسير» لابن الجوزي ٨/ ٢٨٣.

(٢) في المطبوعة: زاد «وقيل: هو مستحب وهو الصحيح».

(٣) قد بسط ابن القيم الكلام على هذه المسألة في «شفاء العليل» ص٢٧٨.

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «البغي».

(٥) في (أ)، والمطبوعة: «إذا أنعم عليهم بها».

(٦) في المطبوعة: «أحد العلماء».

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة شهدوا إنعام الله عليهم بها، وأنه هو الذي[١] جعلهم مسلمين، وجعلهم يقيمون الصلاة، وألهمهم التقوى، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمَنّ[٢]، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا إليه منها.

ففي «صحيح البخاري»: عن شداد بن أوس[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك مِنْ شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. مَنْ قالها إذا أصبح مؤمناً بها، فمات مِنْ (يومه دخل الجنة، ومَنْ قالها إذا أمسى مؤمناً بها فمات مِنْ)[٤] ليلته دخل الجنة»[٥].

---

(١) في المطبوعة: «وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم».

(٢) في المطبوعة: «المن والأذى».

(٣) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري النجاري ـ أبو يعلى ـ صحابي ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل وعكف على العبادة، كان فصيحاً حليماً حكيماً، توفي في القدس سنة ٥٨هـ.
انظر: «الإصابة» ٣/ ٣١٩ ت(٣٨٥١)؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ١٥٨.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ب)، والمطبوعة.

(٥) انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار، رقم الحديث (٥٩٤٧) ص٢٣٢٣. ورواه أحمد والترمذي والنسائي.
انظر: «المسند» ٤/ ١٢٢؛ و«سنن الترمذي» ج٥، أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم الحديث (٣٤٥٣) ص١٣٥؛ و«سنن النسائي» ج٣، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر ما صنع، ص٢٧٩.

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً، فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا مَنْ أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا مَنْ كسوته، فاستكسوني أكسُكم، يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا مَنْ هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمَدِ الله، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد[2] مِنْ خير، وأنه

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبي ذر باختلاف يسير في بعض ألفاظه.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٧٧) ص١٩٩٤؛ و«المسند» ٥/ ١٥٤.

(٢) في (أ)، (ب): «الإنسان».

إذا وجد الشر[١] فلا يلوم[٢] إلا نفسه.

وكثير مِنَ الناس يتكلم بلسان الحقيقة، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً لما أمر الله به على ألسن رسله وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة.

الفرقان بين ما يطلق عليه لفظ الشرع، ووجوب التزام الشرع المنزل

كما أن لفظ الشريعة[٣] يتكلم به كثير مِنَ الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل مِنْ عند الله تعالى، وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله، فإن هذا الشرع ليس لأحد مِنَ الخلق الخروجُ[٤] عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر، وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم، فالحاكم تارة يصيب، وتارة يخطئ، هذا إذا كان عالماً عادلاً، وإلا[٥] ففي «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل علم الحق فقضى[٦] به، فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار»[٧].

---

(١) في (ج)، والمطبوعة: «شرّاً».
(٢) في (ج)، والمطبوعة: «يلومن».
(٣) في (ب): «الشرع».
(٤) في (أ)، (ج): «خروج».
(٥) في (ب): «وإلا فلا وفي السنن».
(٦) في (أ)، (ج)، والمطبوعة: «وقضى به».
(٧) رواه أبو داود وابن ماجه عن بريدة، وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن بريدة، ورجاله رجال الصحيح.
انظر: «سنن أبي داود» ج٤، كتاب الأقضية، باب في طلب القضاء رقم الحديث (٣٥٧٣) ص٥؛ و«سنن ابن ماجه» ج٢، كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، رقم الحديث (٢٣١٥) ص٧٧٦؛ و«مجمع الزوائد» ٤/ ١٩٥.

وأفضل القضاة العالِمين العادِلين سيدُ ولد آدم محمد ﷺ. وقد[١] ثبت في «الصحيحين» أنه قال: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضَكم يكون ألحنَ بحجته مِنْ بعض، وإنما أقضي بنحو ما أسمع. فمَنْ قضيت له مِنْ حق أخيه شيئاً فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة مِنَ النار»[٢].

فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه، وكانت في الباطن بخلاف ذلك، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قُضِيَ به له، وأنه إنما يقطع له قطعة مِنَ النار.

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة، إذا حكم الحاكم بما ظنه حجةً شرعيةً كالبينة والإقرار، وكان في الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضيِّ له أن يأخذ ما قضى به له باتفاق العلماء[٣]، وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك فأكثر العلماء يقولون[٤]: إن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرَّق أبو حنيفة[٥] بين النوعين[٦].

---

(١) في (ب)، والمطبوعة: «فقد».

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أم سلمة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٢، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلم، رقم الحديث (٢٣٢٦) ص٦٧؛ و«صحيح مسلم» ج٣ كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم الحديث (١٧١٣) ص١٣٣٧.

(٣) في المطبوعة: «بالاتفاق».

(٤) في (د)، والمطبوعة: «يقول».

(٥) في (ب)، والمطبوعة: «أبو حنيفة رضي الله عنه».

(٦) فصَّل هذه المسألة ابن قدامة في «المغني» ٩/ ٥٨؛ والشوكاني في «نيل الأوطار» ٥/ ١٨٥ ـ ١٨٨.

إبطال الاحتجاج بقصة موسى مع الخضر

فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتابُ والسنة لم يكن لأحد مِنْ أولياء الله ولا لغيرهم[١] أن يخرج عنه، ومَنْ ظن أن لأحد مِنْ أولياء الله طريقاً إلى الله غيرُ متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً[٢] فهو كافر، ومَنِ احتجَّ في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطاً مِنْ وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان يجب[٣] على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين ـ الجن والإنس ـ، ولو أدركه مَنْ هو أفضل مِنَ الخضر ـ كإبراهيم وموسى وعيسى ـ وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبيّاً أو وليّاً، ولهذا قال الخضر لموسى: «إني[٤] على علم مِنْ علم الله علَّمنيه لا تعلمه، وأنت على علم مِنْ علم الله علَّمكه لا أعلمه»[٥]، وليس لأحد من الثقلين الذين[٦] بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول له[٧] مثل هذا.

---

(١) في (ج)، (د): «ولا من غيرهم».
(٢) في المطبوعة: «باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «وكان على الخضر».
(٤) في (ب)، والمطبوعة: «أنا على علم».
(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي بن كعب.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل، رقم الحديث (١٢٢) ص٥٦؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٨٠) ص١٨٤٧.
(٦) في (ب): «من الثقلين بعد مبعث محمد عليه السلام أن يقول».
(٧) في (ج)، والمطبوعة: «أن يقول مثل هذا».

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً للشريعة، بل كان موافقاً لها، لكن موسى عليه السلام لم يكن[1] علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلمَّا بيَّنها له وافقه على ذلك، فإنَّ خَرْقَ السفينة ثم ترقيعَها لمصلحة أهلها خوفاً مِنَ الظالم أن يأخذها إحسانٌ إليهم، وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيراً[2]، ومَنْ كان تكفيرُه لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله، ولهذا[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري[4] ـ لما سأله عن قتل الغلمان ـ: «إن كنت علمتَ منهم ما علمه الخضر مِنْ ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم»[5].

---

(١) في المطبوعة: «لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن..».

(٢) في (ج): «وإن كان صغيراً أو من عداوته لا تندفع إلا بقتله جاز قتله».

(٣) قوله: «ولهذا» سقط من المطبوعة.

(٤) نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بكر بن وائل. رأس فرقة النجدات من الخوارج، انفرد عن سائر الخوارج بآراء، منها أنه يرى أن قتل مَنْ خالفهم واجب، كان في أول أمره مع نافع بن الأزرق ثم انفرد عنه، ثم خرج مستقلاً باليمامة سنة ٦٦هـ في جماعة، فأتى البحرين فاستقر بها، وتسمَّى بأمير المؤمنين، ثم قتل سنة ٦٩هـ. والحروري نسبة إلى حروراء، موضع على بعد ميلين من الكوفة، كان أول اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه.
انظر: «الأعلام» للزركلي ٨/ ١٠؛ «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي ص٤٧.

(٥) رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن يزيد بن هرمز عن ابن عباس. ورواه الترمذي والنسائي مختصراً.
انظر: «صحيح مسلم» ج٣، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات، رقم الحديث (١٨١٢) ص١٤٤٤؛ سنن أبي داود ج٣، كتاب الجهاد، باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة، رقم الحديث (٢٧٢٧، ٢٧٢٨) ص١٦٩؛ و«المسند» ١/ ٢٤٤؛ و«سنن الترمذي» ج٣، أبواب السير، =

أما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع، فهذا مِنْ صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء يخالف شرع الله.

أحوال حكم الحاكم

وأما إذا[1] أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظلماً[2]، وقد يكون عدلاً[3]، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول[4] أئمة الفقه؛ كأبي حنيفة، والثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي[5]، والليث بن سعد[6]، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[7]،

= رقم الحديث (١٥٩٨) ص٥٧؛ و«سنن النسائي» ج٧، كتاب قسم الفيء، ص١٢٨، ١٢٩. وفي النسخ: (أ)، (ب)، (جـ)، والمطبوعة: قال رواه البخاري بعد أن ساق الحديث. ولعل ما أثبت هو الصحيح إذ لم أقف عليه في البخاري.

(١) في (ب): «وأما إن». (٢) في (ب)، والمطبوعة: «ظالماً».

(٣) في (هـ)، والمطبوعة: «عادلاً». (٤) في (ب)، (جـ): «أقوال».

(٥) عبد الرحمٰن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو. ولد ببعلبك، ونشأ يتيماً في حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد، وتأدب بنفسه، رحل إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن سيرين، فوجد الحسن قد توفي وابن سيرين مريضاً، فتردد لعيادته، فقوي به المرض، فمات ولم يسمع منه شيئاً. ثم نزل دمشق وساد أهلَ زمانه في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من العلوم، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته. توفي في بيروت سنة ١٥٨هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٠/ ١٣٣؛ «تهذيب التهذيب» ٦/ ٢٣٨، ت٤٨٤.

(٦) الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن الفهمي، أبو الحارث. إمام الديار المصرية في الفقه والحديث والعربية، اشتغل في الفتوى، وكان ثقة كثير الحديث صحيحَه، وكان ورعاً فاضلاً، توفي سنة ١٧٥هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١٠/ ١٩٠؛ «تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٥٩ ت(٨٣٢).

(٧) إسحاق بن إبراهيم الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب، ابن راهويه. عالم خراسان في عصره، وهو أحد الأئمة المجتهدين، طاف البلاد لجمع =

وداود[(١)]، وغيرهم، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة، وإذا قلد المقلد لأحدهم حيث يسوغ ذلك[(٢)] كان جائزاً، وليس اتباع أحدهم واجباً على[(٣)] الأمة كاتباع الرسول ﷺ ولا يحرم[(٤)] تقليد أحدهم كما يحرم اتباع مَنْ يتكلم بلا[(٥)] علم.

وأما إن أضاف أحد[(٦)] إلى الشريعة ما ليس فيها من أحاديث مفتراة[(٧)] أو تأوَّل النصوص بخلاف مراد الله[(٨)]، ونحو ذلك، فهذا مِنْ نوع التبديل.

فيجب الفرق بين الشرع المنزَّل، والشرع[(٩)] المؤوَّل،

= الحديث. وأخذ عنه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وغيرهم، وكان ثقة، له تصانيف منها «المسند»، توفي في نيسابور سنة ٢٣٨هـ.

انظر: «البداية والنهاية» ١٠/ ٣٥٩؛ «تهذيب التهذيب» ١/ ٢١٩، ت٤٠٨.

(١) في (د): «لم يذكر داود». وهو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، وهو إمام أهل الظاهر، أصله من أصبهان، ومولده بالكوفة، وسكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها، وهو من الأئمة المجتهدين والفقهاء المشهورين، ولكن حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح، فضاق بذلك ذرعه في أماكن كثيرة من الفقه، توفي سنة ٢٧٠هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٥٥؛ «الأعلام» للزركلي ٢/ ٢٣٣.

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «وإذا قلد غيره حيث يجوز لك»، كان جائزاً، أي: «ليس اتباع».

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «على جميع الأمة».

(٤) في (ب): «ولم يحرم». (٥) في المطبوعة: «بغير علم».

(٦) قوله: «أحد» سقط من (أ)، (ب).

(٧) في (ب): «مفتريات وتأول».

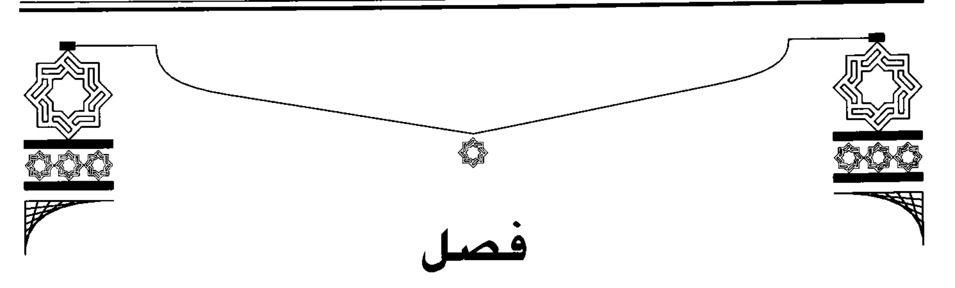
(٨) في (ب): «مراد الله ورسوله منها ونحو ذلك».

(٩) قوله: «الشرع المؤول» سقط من (ب)، (د).

والشرع المبدَّل، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة، وبين ما يكتفى فيها بذوق صاحبها ووجده[١].



(١) في (ب): «وحده».



فصل

الفصل الثالث عشر

تبيين الله في كتابه الفرق بين الكوني الذي خلقه والدين الذي شرعه

وقد بيَّن[١] الله في كتابه الفرق بين[٢] الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام والجعل.

بيَّن[٣] الكوني الذي خلقه وقدَّره وقضاه، وإن كان لم[٤] يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه[٥] ولا يثيب أصحابه، ولا يجعلهم مِنْ أوليائه المتقين، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأحبه ورضيه وأحب فاعليه وأثابهم وأكرمهم[٦] وجعلهم مِنْ أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين.

وهذا مِنْ أعظم الفروق التي يفرَّق بها بين أولياء الله وأعدائه، فمَنِ استعمله الرب ﷻ فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك، كان مِنْ أوليائه، ومَنْ كان عمله فيما[٧] يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك، كان من أعدائه.

الإرادة الكونية والدينية

فالإرادة الكونية هي: مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات

(١) في المطبوعة: «ذكر».
(٢) في (ب)، (ج): «الفرق في الإرادة».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «وبين». (٤) في (ب): «لا يأمر به».
(٥) قوله: «ولا يرضاه» سقط من المطبوعة.
(٦) في المطبوعة: «وشرعه وأتاب فاعليه وأكرمهم».
(٧) في (ب)، (ج): «مما».

داخلة في مشيئته[١].

والإرادة الدينية هي: المتضمنة لمحبته ورضاه، المتناولة لِمَا أمر به وجعله شرعاً وديناً، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح.

قال الله تعالى - في الأولى[٢] -: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى في الثانية[٣]: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال في آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

ولَمَّا ذكر ما أحلَّه وما حرمه مِنَ النكاح قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

(١) في المطبوعة: «في مشيئته وإرادته الكونية».
(٢) ما بين الشرطتين: سقط من المطبوعة. والمراد بالأولى: الإرادة الكونية.
(٣) وهي الإرادة الدينية.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

وقال لَمَّا ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه[١]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[٢]، فمن أطاع أمره كان مطهَّراً قد[٣] أذهب عنه الرجس بخلاف من عصاه.

الأمر الكوني والديني

وأما الأمر: فقال ـ في الأمر الكوني ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ﴾ [يونس: ٢٤].

وأما الأمر الديني، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) قوله: «وما نهاهن عنه» سقط من (ب).

(٢) من قوله: «والمعني أنه.. حتى.. ويطهركم تطهيراً» سقط من: (أ)، (ب)، (د).

(٣) في (أ): «وأذهب».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

الإذن الكوني والديني

وأما الإذن: فقال في الكوني ـ لما ذكر السحر ـ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أي: بمشيئته وقدرته، وإلا فالسحر لم[1] يبحه الله.

وقال في الديني[2]: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

القضاء الكوني والديني

وأما القضاء: فقال في الكوني: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال في الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): «لا يبحه». وزاد في المطبوعة: «عز وجل».

(٢) في (د)، والمطبوعة: «وقال في الإذن الديني».

أي: أمر، وليس المراد به قدر ذلك، فإنه قد عبد غيره، كما أخبر في غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقول[١] الخليل عليه السلام لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

وهذه كلمة تقتضي براءته مِنْ دينهم، لا[٢] تقتضي رضاه بذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس: ٤١].

ومَنْ ظن مِنَ الملاحدة أن هذا رضا منه بدين الكفار، فهو مِنْ أكذب الناس وأكفرهم، كمَنْ ظنَّ أن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ بمعنى: قدر وأن[٣] الله ما قضى بشيء إلا وقع، وجعل عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا الله، فإن هذا مِنْ أعظم الناس كفراً بالكتب كلها[٤].

---

(١) في (أ)، والمطبوعة: «وقال». (٢) في (ب)، والمطبوعة: «ولا».
(٣) في (ب): «إن الله» من دون الواو. (٤) قوله: «كلها» سقط من المطبوعة.

البعث الكوني والديني

وأما لفظ البعث: فقال تعالى في البعث الكوني: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء: ٥].

وقال في البعث الديني: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

الإرسال الكوني والديني

وأما لفظ الإرسال: فقال في الإرسال الكوني: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ [مريم: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ [الفرقان: ٤٨].

وقال في الديني: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [المزمل: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥].

الجعل الكوني والديني

وأما لفظ الجعل: فقال في الكوني: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ [القصص: ٤١].

وقال في الديني: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة: ١٠٣].

التحريم الكوني الديني

وأما لفظ التحريم: فقال في الكوني: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٢٦].

وقال في الديني: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣].

وقال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ [النساء: ٢٣].

الكلمات الكونية والدينية

وأما لفظ الكلمات: فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «أعوذ بكلمات الله التَّامَّة مِنْ شر ما خلق، ومِنْ غضبه وعقابه، وشر عباده، ومِنْ همزات الشياطين وأن يحضرون»[1].

وقال ﷺ: «مَنْ نزل منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات مِنْ شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[2].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
انظر: «المسند» ٢/ ١٨١؛ «سنن أبي داود» ج٤، كتاب الطب، باب كيف الرقى؟، رقم الحديث (٣٨٩٣) ص٢١٧، ٢١٩؛ «سنن الترمذي» ج٥، أبواب الدعوات، باب ٩٦، رقم الحديث (٣٥٩٠) ص٢٠٠.

(٢) رواه مسلم والترمذي وغيرهما عن خولة بنت حكيم.

=

وكان يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، ومِنْ شر ما ذرأ في الأرض، ومِنْ شر ما يخرج منها، ومِنْ شر فتن الليل والنهار، ومِنْ شر كل طارق، إلّا طارق يطرق بخير يا رحمن»[1].

فكلمات[2] الله التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر هي التي كوَّن بها الكائنات، ولا[3] يخرج بَرٌّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته.

وأمَّا كلماته الدينية، وهي كتبه المنزلة، وما فيها مِنْ أمره ونهيه، فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار.

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجَعْلِه الديني، وإذنه الديني، وأمره الديني[4]، وإرادته الدينية.

وأمَّا كلماته الكونية التي لا يجاوزهن[5] بَرٌّ ولا فاجر، فإنه

= انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء، رقم الحديث (٢٧٠٨) ص٢٠٨٠؛ و«سنن الترمذي» ج٥، أبواب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، رقم الحديث (٢٤٩٩) ص١٥٩.

(١) رواه أحمد عن عبد الرحمٰن بن خنبش، ومالك عن يحيى بن سعيد، مرسلاً.
انظر: «المسند» ٣/٤١٩؛ و«الموطأ» ج٢، كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ، رقم الحديث (١٠) ص٩٥٠.

(٢) في (أ)، والمطبوعة: و«كلمات». وزاد في المطبوعة: «التامات».

(٣) في (ج)، والمطبوعة: «فلا».

(٤) قوله: «وأمره الديني» سقط من (ب)، والمطبوعة.

(٥) في (أ)، والمطبوعة: «لا يجاوزها».

يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده، وجميع الكفار، وسائر مَنْ يدخل النار. فالخلق، وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب.

وأولياء[١] الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور، فأحبَّهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه.

وأعداؤه أولياء الشيطان[٢]، وإن كانوا تحتَ قدرته[٣] فهو يبغضهم ويمقتهم[٤] ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم.

وبَسْطُ هذه الجمل له موضع آخر[٥]، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان.

ـوافـقـة ـرسول ﷺ هي ـماع الفرق بين ـلياء الرحمن أولياء الشيطان

وجماع[٦] الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ فإنه هو الذي فرَّق الله به بين أوليائه وأعدائه[٧]، بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة، وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد، وأعدائه أهل الغَيِّ والضلال والفساد، وبين أوليائه جند الرحمٰن[٨]، وأعدائه حزب الشيطان،

---

(١) في (ب)، (ج): «فأولياء الله». (٢) في المطبوعة: «الشياطين».
(٣) في (ب)، (د): «قدره».
(٤) قوله: «ويمقتهم» سقط من المطبوعة.
(٥) من ذلك رسالة المؤلف في «الاحتجاج بالقدر» «مجموع الفتاوى» ٦/ ٣٠٣ ـ ٣٦١.
(٦) في (د)، والمطبوعة: «وجمع».
(٧) في المطبوعة: «فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء».
(٨) وقوله: «بين أوليائه جند الرحمٰن» سقط من المطبوعة.

أوليائه[١] الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال في أعدائه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ

---

(١) في (ج)، (د)، والمطبوعة: «وأوليائه».

ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣٤].

فنزَّه ﷻ نبينا محمداً ﷺ عمَّن تقترن[1] به الشياطين مِنَ الكُهَّان والشعراء والمجانين، وبيَّن[2] أن الذي جاءه بالقرآن مَلَكٌ كريم اصطفاه (الله تعالى)[3]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٢].
فسماه الروحَ الأمينَ، وسماه روحَ القدس.

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) في (ج)، (د): «تقترن بهم».
(٢) في (ب): «وتبين».
(٣) ما بين القوسين سقط من (أ)، والمطبوعة.

[التكوير: ١٥، ١٦]. يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسةً، أي: مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت[1] رآها الناس جاريةً في السماء، فإذا غربت ذهبت إلى كُناسها الذي يحجُبها ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير: ١٧]. أي: إذا أدبر وأقبل الصبح، ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [التكوير: ١٨]. أي: أقبل، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [التكوير: ١٩]. وهو جبريل عليه السلام: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] أي: مُطاعٌ في السماء أمين[2]، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ [التكوير: ٢٢]، أي: صاحبكم الذي منَّ الله عليكم به؛ إذ بعثه إليكم[3] رسولاً مِنْ جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾ [الأنعام: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، (أي: رأى جبريل عليه السلام)[4]، ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ [التكوير: ٢٤]، أي: بمتهم[5]، وفي القراءة الأخرى: ﴿بِضَنِينٖ﴾، أي: ببخيل[6] يكتم العلم ولا يبذله إلا بجُعْلٍ، كما يفعل مَنْ يكتم العلم

(١) في (ج): «طلعت».
(٢) في (ج)، (د): «ثم أمين».
(٣) في (أ)، (د): «إذ بعثه فيكم».
(٤) ما بين القوسين سقط من (أ)، (د).
(٥) قوله: «أي بمتهم» سقط من (أ). وهذا القراءة بالظاء هي قراءة أبي عمرو وابن كثير والكسائي، وهي القراءة السائدة في الشام في عصر ابن تيمية رحمه الله.
(٦) في (ب): «بخيل». وهذه القراءة بالضاد هي قراءة الباقين، منهم: مجاهد ونافع وعاصم وحمزة وابن عامر. وانظر: القرطبي ١٩/ ٢٤٢.

إلا بالعِوَض[١]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير: ٢٥].

فنزّه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً كما نزّه محمداً ﷺ عن[٢] أن يكون شاعراً أو كاهناً.

فأولياء الله المتقون هم المقتدون[٣] بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر[٤]، وينتهون عما نهى عنه وزجر، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم الله[٥] بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم مِنْ أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين.

وخيار أولياء الله: كراماتهم لحجة[٦] في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.

الغاية من معجزات الرسول ﷺ وكرامات خيار الأولياء

وكرامات أولياء الله إنَّما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي - في الحقيقة - تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر[٧]، وتسبيح الحصا في كفه[٨]، وإتيان الشجر

(١) في (أ)، (د): «من يكتم إلا بعوض».
(٢) قوله: «عن» سقط من (ج).
(٣) في (أ): «المهتدون».
(٤) في (ب): «ما أمر الله».
(٥) في المطبوعة: «ما أمر الله».
(٦) في (ب): «ليست بحجة في الدين..» وما أثبت هو الصحيح.
(٧) قد أخبر الله تعالى في كتابه عن انشقاق القمر في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، رقم الحديث (٣٤٣٧) ص١٣٣٠؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب المنافقين، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٢٨٠٠) ص٢١٥٨.
(٨) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن أبي ذر حديثاً طويلاً، وفيه: أن النبي ﷺ =

إليه[١]، وحنين الجذع إليه[٢] وإخباره ليلةَ المعراج بصفة

= تناول سبع حصيات أو تسع حصيات، فسبحن في يده حتى سُمِعَ لهن حنين كحنين النحل، ثم فوضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد أبي بكر، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن. وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف. ورواه الطبراني في «الأوسط».
انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص٢١٤؛ و«مجمع الزوائد» للهيثمي ٨/ ٢٩٩.

(١) روى مسلم عن جابر، قال: ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله، فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مِمَّا بينهما لأم بينهما، فقال: التئما عليَّ بإذن الله فالتأمتا. الحديث.
انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، رقم الحديث (٣٠١٢) ص٢٣٠٦.

(٢) رواه البخاري عن جابر، وابن عمر، ولفظه: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحوَّل إليه فحنَّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه.
ورواه أحمد وابن ماجه على شرط مسلم، كما قاله ابن كثير، وعزا الحديث إلى أبي بكر بن أبي شيبة عن سهل بن سعد، ثم قال: وأصل هذا الحديث في «الصحيحين»، وإسناده على شرطهما. وأصل الحديث الذي أشار إليه ابن كثير في «الصحيحين»، فيه قصة اتخاذ المنبر دون ذكر حنين الجذع، فإنه لم يروه مسلم.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٣٩٠) ص١٣١٣، وكذلك ج١، كتاب الصلاة في الثياب، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، رقم الحديث (٣٧٠) ص١٤٨؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة أو الخطوتين في الصلاة، رقم الحديث (٥٤٤) ص٣٨٦؛ =

بيت المقدس(١)، وإخباره بما كان وما يكون(٢)، وإتيانه بالكتاب العزيز(٣)، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في

= و«المسند» ١/ ٢٤٩؛ و«سنن ابن ماجه» ج١، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بباب ما جاء في بدء شأن المنبر، رقم الحديث (١٤١٥) ص٤٥٤؛ و«البداية والنهاية» ٦/ ١٤٨.

(١) رواه البخاري ومسلم عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كذَّبتني قريش قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء، رقم الحديث (٣٦٧٣) ص١٤٠٩، ١٤١٠؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم الحديث (١٧٠) ص١٥٦.

(٢) يدل على هذا ما في القرآن والسنة من الأخبار الصادقة عن الماضي والمستقبل. وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري، وروى مسلم مثله عن حذيفة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. رقم الحديث (٣٠٢٠) ص١١٦٦؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم الحديث (٢٨٩١، ٢٨٩٢) ص٢٢١٦، ٢٢١٧.

(٣) يدل على هذا التحدي بالقرآن، فقد تحدَّى بأن يأتوا بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تحدّاهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]. ثم تحدَّاهم بأن يأتوا بسورة مثله قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

الخندق[١] العسكر مِنْ قِدْرِ طعام، وهو لم ينقص في حديث أمِّ سُلَيم[٢] المشهور[٣]، وروى المعسكر في غزوة خيبر[٤] مِنْ مَزَادةِ ماء ولم تنقُص[٥]. ....

(١) أي: في غزوة الخندق، وتُسمَّى غزوةَ الأحزاب، وقعت في سنة ٥هـ، بين المسلمين وعددهم ثلاثة آلاف، والمشركين وعددهم عشرة آلاف، فحاصروا المدينةَ قريباً مِنَ الشهر، وأقام الرسول ﷺ مرابطاً، ثم أرسل الله على المشركين الريح، فزلزلهم وفرَّقهم، وأعزَّ الله رسوله والمؤمنين.
انظر: «البداية والنهاية» ٤/ ١٠٤.

(٢) اختلف في اسمها؛ فقيل: سهلة، وقيل: رُمَيلة، وقيل: رميثة، وقيل: مُلَيْكة، وقيل: الغُميصاء أو الرُّميصاء، وهي بنت ملحان الأنصارية، أم سليم. أسلمت مع السابقين إلى الإسلام مِنَ الأنصار، ولمَّا مات زوجها مالك تزوجت بعده أبا طلحة، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ ولها قصص مشهورة. روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وروى عنها ابنها أنس وابن عباس وغيرهما، توفيت سنة ٣٠هـ.
انظر: «الإصابة» ٨/ ٢٢٧، ت١٢٠٧٣؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ٣٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن جابر.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب المناقب، بباب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٣٨٥) ص١٣١١؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، رقم الحديث (٢٠٤٠) ص١٦١٠.

(٤) في (ب): «غزوة تبوك». وقد أورد ابن حجر في «الفتح» ٢/ ٢٦٩ عدة أقوال في ذلك، ولعل أرجحها أنه في غزوة خيبر؛ إذ هو الوارد في «صحيح مسلم».
وخيبر: اسم لمحلَّة مِنَ الحصون والقرى بينها وبين المدينة ثلاث مراحل يسكنها اليهود، فغزاها الرسول ﷺ سنة ٧هـ، وصالح أهلها بشطر ما يخرج منها.
انظر: «البداية والنهاية» ٤/ ٢٠٤.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين. والمزادة: قِرْبة كبيرة يُزادُ فيها جلدٌ مِنْ غيرها.

=

وملأ أوعية العسكر عام تبوك[١] مِنْ طعام قليل ولم ينقُص وهم نحو ثلاثين ألفاً[٢]. ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية[٣] نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[٤]، ورده لعين قتادة[٥] حين سالت

= انظر: «فتح الباري» ٢/ ٢٦٩، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم، رقم الحديث (٣٤٤). و«صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم الحديث (٦٨٢) ص٤٧٢.

(١) تقدم التعريف بعام تبوك في ص٧٧.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد حديثاً طويلاً، جاء فيه: أنه في غزوة تبوك أصاب الناسَ مجاعةٌ، فجمعوا ما في أزوادهم، فدعا عليه النبي ﷺ بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم»، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث (٢٧) ص٥٦.
وانظر: «البداية والنهاية» ٥/ ٣.

(٣) تقدم التعريف بغزوة الحديبية في ص٩٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم. وعند البخاري عن جابر في حديث طويل جاء فيه: أنه في يوم الحديبية عطش الناس ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.
انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب المغازي، غزوة الحديبية، رقم الحديث (٣٩٢١) ص١٥٢٦؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٢٧٩) ص١٧٨٣.

(٥) في (ج): والمطبوعة: «أبي قتادة». والصحيح ما أثبت. وقتادة: هو ابن النعمان بن زيد الأنصاري الأوسي، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله. شهد العقبة وبدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وأصيبت عينه يوم بدر، وقيل: يوم أُحد، وقيل: يوم الخندق، والأصح يوم أُحد، وكان قتادة مِنْ =

على خده، فرجعت أحسنَ عينيه(١)، ولمَّا أرسل محمد بن مسلمة(٢) لقتل كعب بن الأشرف(٣)، فوقع وانكسرت رجله، فمسحها بيده الكريمة(٤)، فبرأت(٥)، وأطعم مِنْ سواد بطن

= فضلاء الصحابة، ومِنْ أول مَنْ قدم المدينة بالقرآن، روى عنه أخوه لأمه أبو سعيد الخدري وحذيفة، توفي سنة ٢٣هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ١٩٥؛ و«الاستبصار» ص٢٥٤.

(١) رواه البيهقي في «الدلائل»؛ وابن هشام في «السيرة»، عن قتادة، وفيه أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يُدْرَى أي عينيه أصيبت.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى، وفي إسناد الطبراني مَنْ لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني، وهو ضعيف.
انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣٧؛ و«سيرة النبي ﷺ» لابن هشام ٣/ ٣٠؛ و«مجمع الزوائد» للهيثمي ٨/ ٢٩٧.

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري. من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك، روى عن النبي ﷺ أحاديث، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان عند عمر معداً لكشف الأمور المعضلة في البلاد، وكان ممن اعتزل الفتنة، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ.
انظر: «الإصابة» ٦/ ٣٣، ت٧٨١١؛ «الأعلام» للزركلي ٧/ ٩٧.

(٣) كعب بن الأشرف الطائي. من بني نبهان، شاعر جاهلي، أمه من بني النضير، فدان باليهودية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، فأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه سنة ٣هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ٤/ ٦؛ و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٢٢٥.

(٤) قوله: (بيده الكريمة) سقط من المطبوعة.

(٥) روى البخاري عن البراء بن عازب قصة قتل أبي رافع اليهودي، وفيها أن عبد الله بن عتيك وقع فانكسرت ساقه، فعصبها بعمامة، فلما انتهى إلى =

شاة[(١)] مائةً وثلاثين رجلاً، كل منهم حزّ له قطعة، وجعل منها قصعتين[(٢)]، فأكلوا جميعهم، ثم فضَل فضلةٌ[(٣)]، وقضى[(٤)] دين عبد الله[(٥)] الذي لليهودي وهو ثلاثون وسْقاً، فسأل[(٦)] جابرٌ[(٧)]

= رسول الله ﷺ قال له: «ابسط رجلك» فبسطها، فمسحها رسول الله ﷺ فبرأت حتى كأنه لم يشتكها قط. وأما محمد بن مسلمة لمَّا ذهب لقتل كعب بن الأشرف، فالذي أصيب الحارث بن أوس، أو عبَّاد بن بشر جرح في رأسه ورجله، فتفل رسول الله ﷺ على جرحه فلم يؤذه.
انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، رقم الحديث (٣٨١٢) ص١٤٨٢؛ و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤٦٥.

(١) في المطبوعة: «وأطعم من شواء مائة وثلاثين».
(٢) في المطبوعة: «قطعتين».
(٣) رواه البخاري ومسلم عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر.
انظر: «صحيح البخاري» ج٥، كتاب الأطعمة، باب من أكل حتى شبع، رقم الحديث (٥٠٦٧) ص٢٠٥٨؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم الحديث (٢٠٥٦) ص١٦٢٦.
(٤) في (أ)، (ج)، (د): «ودين».
(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو جابر، كان نقيب بني سلمة هو والبراء بن معرور، معدود في أهل العقبة، شهد بدراً وأحداً، واستشهد فيها، ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٢٣١؛ و«الإصابة» ٤/ ١٨٩، ت٤٨٤١.
(٦) في (أ)، والمطبوعة: «قال جابر فأمر صاحب..».
(٧) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، قيل: إنه شهد بدراً وأُحداً، وقيل: إنه لم يشهدهما، وهو أحد المكثرين في الحديث عن النبي ﷺ. وروى عنه جماعة من الصحابة، وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ.
انظر: «أسد الغابة» ١/ ٢٥٦؛ «الإصابة» ١/ ٤٣٤، ت١٠٢٧.

صاحبَ الدين أن يأخذ التمرَ جميعَه بالذي له فلم يقبل، فمشى فيها رسول الله ﷺ ثم قال لجابر: «جُدَّ له» فوفاه الثلاثين وسْقاً، وفضل سبعةَ عشرَ وسْقاً[١]. ومثل هذا كثير، قد جمعت نحو ألف معجزة[٢].

من كرامات الصحابة

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدّاً؛ مثل: ما كان أسيد بن حضير[٣] يقرأ سورة الكهف، فنزل[٤] من السماء مثل الظُّلَّةِ فيها أمثال السُّرُج، وهي الملائكة نزلت[٥] تستمع لقراءته[٦]. وكانت الملائكة تسلِّم[٧] على عمرانَ بن

---

(١) رواه البخاري عن جابر بن عبد الله.
انظر: «صحيح البخاري» ج٢، كتاب الاستقراض، باب إذا قاص أو جازفه في الدين..، رقم الحديث (٢٣٩٦) ص٨٤٤.

(٢) ألف في معجزات الرسول ﷺ مؤلفات عديدة مستقلة وغير مستقلة؛ مثل: «دلائل النبوة» لأبي نعيم، و«دلائل النبوة» للبيهقي، وغيرهما.

(٣) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي، أبو يحيى. وكان أبوه حضير فارسَ الأوس ورئيسَهم يوم بعاث، وكان أسيدٌ مِنَ السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، واختلف في شهوده بدراً، وشهداً أحداً والمشاهد بعدها، آخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. له أحاديث في «الصحيحين» وغيرهما، توفي بالمدينة سنة ٢٠هـ، ودفن بالبقيع.
انظر: «أسد الغابة» ١/ ٩٢؛ و«الإصابة» ١/ ٨٣، ت١٨٥.

(٤) في (أ)، (ج): «فنزلت». (٥) في المطبوعة: «نزلت لقراءته».

(٦) أخرجه البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير، وفي بعض ألفاظه: أنه كان يقرأ سورة البقرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث (٤٧٣٠) ص١٩١٦؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم الحديث (٧٩٦) ص٥٤٨.

(٧) روى ذلك ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١/ ٦٨١؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ١٣٨.

حصين[١]. وكان سلمان[٢] وأبو الدرداء[٣] يأكلان في صحفة، فسبَّحت الصحفة، أو سبَّح ما فيها[٤]، وعبَّاد بن بشر[٥]، وأُسيد بن

---

(١) عمران بن حصين الخزاعي الكعبي، أبو نجيد. أسلم عام خيبر، روى أحاديث عن النبي ﷺ وكان من فضلاء الصحابة. ولمَّا توفي الرسول ﷺ تحول إلى البصرة وولي قضاءها، وكان يُفَقِّه أهلها، وكان مجابَ الدعوة، ولمَّا حصلت الفتنة اعتزلها، توفي في البصرة سنة ٥٢هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ١٣٧؛ و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٧٠.

(٢) سلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويقال له: سلمان ابن الإسلام، وسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ. أصله من رامهرمز، وقيل: من أصفهان، وكان ولد آب الملك، وكان ببلاد فارس مجوسيّاً سادن النار، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث، فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينة. أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد، وفتوح العراق، وولي المدائن وكان عالماً زاهداً، روى عن النبي ﷺ وروى عنه عدد مِنَ الصحابة والتابعين، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، عُمِّر طويلاً، قال العباس بن يزيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكُّون فيه. توفي سنة ٣٦هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٢٨؛ و«الإصابة» ٣/ ١٤١، ت(٣٣٥٩).

(٣) اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة؛ منها: أنه عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، أبو الدرداء. وهو مشهور بكنيته، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً وأبلى فيها، وكان مِنْ أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم. آخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، توفي سنة ٣٢هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ١٥٩؛ و«الإصابة» ٤/ ٤٤٧، ت(٦١٢١).

(٤) روى ذلك أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٤؛ والقشيري في «الرسالة القشيرية» ص٦٧٢.

(٥) عبَّاد بن بشر بن وقش الأنصاري، أبو بشر. أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل الهجرة، وشهد بدراً وما بعدها، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف. قتل يوم اليمامة شهيداً سنة ١٢هـ، وعمره خمس وأربعون سنة.
انظر: «الأعلام» للزركلي ٣/ ٢٥٧؛ و«البداية والنهاية» ٦/ ٣٨٠.

حضير[١] خرجا مِنْ عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما[٢] طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما، رواه البخاري[٣]، وغيره.

وقصة الصديق في «الصحيحين» لمَّا ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمةً إلا ربا مِنْ أسفلها أكثرُ منها، فشبعوا وصارت أكثرَ ممَّا هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثرُ ممَّا كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون، فأكلوا منها[٤].

وخُبيب بن عدي[٥]، كان أسيراً عند المشركين بمكة[٦]،

---

(١) تقدمت ترجمته في ص٢١٣.

(٢) في المطبوعة: «فأضاء لهما نور مثل طرف السوط».

(٣) رواه البخاري عن أنس.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب فضائل الصحابة، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، رقم الحديث (٣٥٩٤) ص١٣٨٤.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، رقم الحديث (٥٣٧) ص٢١٦؛ و«صحيح مسلم» ج٣، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل آثاره، رقم الحديث (٢٠٥٧) ص١٦٢٧.

(٥) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري، شهد بدراً، واستشهد في عهد النبي ﷺ حين أخذه المشركون أسيراً في مكة، فقتله بنو الحارث، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر في بدر، وقصة أسره وقتله في «الصحيحين» عن أبي هريرة، وفيه أنه عند مقتله صلى ركعتين، وقال أبياتاً منها:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

انظر: «أسد الغابة» ٢/١٠٣؛ و«الإصابة» ٢/٢٦٢، ت٢٢٢٤.

(٦) في المطبوعة: «بمكة شرفها الله تعالى».

وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنب[١].

وعامر بن فهيرة[٢]، قتل شهيداً فالتمسوا جسده، فلم يقدروا عليه، وكان لمَّا قُتِلَ[٣] رفع، فرآه عامر بنُ الطفيل[٤] وقد رفع، قال عروة[٥]: فيرون أنَّ الملائكة دفنته[٦].

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل، رقم الحديث (٢٨٨٠) ص١١٠٨.

(٢) عامر بن فهيرة التيمي، مولى أبي بكر الصديق، يكنى أبا عمرو، أحد السابقين إلى الإسلام، وكان ممن يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وكان حسنَ الإسلام، هاجر مع النبي ﷺ وأبي بكر، شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة سنة ٤هـ، وهو ابن أربعين سنة.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٩٠؛ و«الإصابة» ٣/ ٥٩٤، ت٤٤١٨.

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «وكان لما كان قتل».

(٤) عامر بن الطفيل بن مالك العامري، كان سيدَ بني عامر في الجاهلية، وهو فارس مشهور، وَفَدَ على النبي ﷺ وهو بالمدينة يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه الرسول ﷺ فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة فرده، فعاد حنقاً، فمات في طريقه سنة ١١هـ، ولم يختلف أهل النقل من المتقدمين أنه مات كافراً، ومَنْ ظن غير ذلك فقد وهم.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٨٤؛ و«الإصابة» ٥/ ٢٧٢، ت٦٥٦١.

(٥) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله. مدني تابعي، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً. عدَّه أبو الزناد في فقهاء المدينة السبعة، توفي سنة ٩٤هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٧/ ١٨٠، ت٣٥١.

(٦) في (أ)، والمطبوعة: «رفعته». وقد أخرج هذا الخبر البخاري عن هشام بن عمرو، عن أبيه. وفيه أنه رفع ثم وضع. وأخرج ابن سعد أنه لم يوجد جسدُه، ويمكن الجمع بين الروايتين على أنه رفع ثم وضع، ثم فقد بعد ذلك.

=

وخرجت أم أيمن[١] مهاجرةً وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر، وكانت صائمة، سمعت حسّاً على رأسها فرفعته، فإذا دلو برشاء أبيض[٢] معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها[٣].

وسفينة[٤] مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه مولى رسول الله ﷺ[٥] فمشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده[٦].

= انظر: «صحيح البخاري» ج٤، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، رقم الحديث (٣٨٦٧) ص١٥٠٢؛ و«الطبقات الكبرى» لابن سعد ٣/ ٢٣٠.

(١) اسمها: بركة بنت ثعلبة بن عمرو، أم أيمن الحبشية. مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج خديجة، وكانت من المهاجرات الأُوَلِ، وقد تزوجها عبيد بن الحارث، فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ. توفيت سنة ١١هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٥٦٧؛ و«الإصابة» ٨/ ١٦٩، ت١١٨٩٨.

(٢) قوله: «برشاء أبيض» سقط من المطبوعة.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٦٧؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٥٦٧؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٢/ ٥٤.

(٤) هو سفينة مولى رسول الله ﷺ. قيل: كان اسمه مهران، وقيل: طهمان، وقيل غير ذلك. أصله من فارس، فاشترته أم سلمة ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ. وقد روى عن النبي ﷺ وكان يسكن بطن نخلة.
انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٢٤؛ و«الإصابة» ٣/ ١٣٢، ت٣٣٣٧.

(٥) في (أ)، والمطبوعة: «رسول رسول الله».

(٦) أخرج أبو نعيم عن سفينة أنه ركب سفينة في البحر، فانكسرت بهم. قال: فتعلقت بشيء منها حتى خرجت إلى جزيرة، فإذا فيها الأسد، فقلت: أبا الحارث، أنا سفينةُ مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه يدلُّني على الطريق، فلما خرجت إلى الطريق همهم، فظننت أنه يودعني. وأخرجه ابن الأثير والهيثمي، وقال: رواه البزار والطبراني ورجالهما وثقوا. =

والبراء بن مالك[١]: كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه[٢]. وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسم على ربك، فيقول: يا رب، أقسمت عليك لمَّا منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو. فلمَّا كان يوم (تُسْتَر)[٣]، قال: أقسمت عليك يا رب لمَّا منحتنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم، وقُتِلَ البراء شهيداً[٤].

وخالد بن الوليد[٥] ....

= انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص٢١٢؛ و«أسد الغابة» ٢/ ٣٢٤؛ و«مجمع الزوائد» للهيثمي ٩/ ٣٦٦.

(١) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري. صحابي جليل بطل شجاع، شهد أحداً، وبايع تحت الشجرة، قيل: إن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش؛ فإنه مهلكة من المهالك، يقدم بهم، استشهد يوم فتح تستر سنة ٢٠هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٤٢؛ و«البداية والنهاية» ٧/ ٩٥.

(٢) روى الترمذي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء». وقال حديث حسن غريب.
انظر: «سنن الترمذي» ج٥، كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك، رقم الحديث (٣٩٤٥) ص٣٥٥.

(٣) في (أ)، (د): «اليمامة». في (هـ)، والمطبوعة: «القادسية». وفي (ب): «اليرموك». وفي (ج)، (و): «لم يذكر ما بين القوسين». وقد أثبت تستر؛ لأنه الصحيح كما جاء في كتب السير.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٥٠؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١/ ٦٢٥؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ١٧٢؛ وابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ٩٥.

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو سليمان. كان من أشراف قريش في الجاهلية يلي أعِنَّة الخيل، وشهد مع المشركين حروبهم =

حاصر حصناً[١]، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السُّمَّ، فشربه ولم يضرَّه[٢].

وسعد بن أبي وقاص[٣]، كان مستجابَ الدعوة، ما دعا قطُّ إلا استُجيب له[٤]، وهو الذي هزم جند كسرى[٥] وفتح

= ضد المسلمين إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، ولقب بسيف الله المسلول، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وفي عهد أبي بكر ولاه مرة حروب الردة. وأخباره كثيرة، توفي بحمص، وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ.

انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٩٣؛ «الإصابة» ٢/ ٢٥١، ت٢٢٠٣.

(١) في المطبوعة: «حصناً منيعاً».

(٢) عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة، فقالوا له: احذر السُّمَّ لا تسقيكه الأعاجم، فقال: ائتوني به، فأخذه بيده ثم التهمه، وقال: بسم الله فلم يضره شيئاً.

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل، ورجالهما ثقات، إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد.

انظر: «مجمع الزوائد» ٩/ ٣٥٠، وكتاب «التشوف إلى رجال التصوف»، لابن الزيات ص٤٤.

(٣) تقدمت ترجمته في ص٢٢.

(٤) روى الترمذي عن قيس أن النبي ﷺ قال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك».

انظر: «سنن الترمذي» ج٥، أبواب المناقب، مناقب سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث (٣٨٣٥) ص٣١٣.

(٥) كسرى بن هرمز عظيم الفرس في العراق، وهو بكسر الكاف وفتحها، والكسر أفصح، وهو فارسي معرّب، وكل مَنْ ملك الفرس يقال له: كسرى.

انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٦٦، ت٨٦.

العراق[١].

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً وأمَّر عليهم رجلاً يسمى[٢]: سارية[٣]، فبينما عمر يخطب، فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسولُ الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدوَّنا[٤] فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[٥].

ولما عُذِّبت الزنيرة[٦] على الإسلام في الله، فأبت إلا

---

(١) في «البداية والنهاية» ٧/ ٣٣ ذكر سعد بن أبي وقاص وفتوحاته.

(٢) في (ج)، (د)، (و): «يدعى».

(٣) سارية بن زنيم بن عمرو الكناني. له صحبة، كان في الجاهلية كثير الغارات، يسبق الفرس عَدْوَاً على رجليه، ولما ظهر الإسلام أسلم، وفي عهد عمر ولَّاه قيادة بعض الجيوش، وفتح بلاداً منها أصبهان، توفي سنة ٣٠هـ.

انظر: «الإصابة» ٣/ ٤، ت٣٠٣٦؛ و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٦٩.

(٤) في (أ)، والمطبوعة: «عدواً».

(٥) أخرجها: أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص٢١٠؛ وأبو عبد الرحمٰن السلمي في «الأربعين في التصوف» ص٣، وابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٤؛ والمحب الطبري في «الرياض النضرة» ٢/ ١٥، وقال: إسناده حسن، وابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٤٩.

(٦) زنيرة الرومية، مولاة أبي بكر الصديق، وكانت أحد السبعة الذين كانوا يُعذَّبون في الله، فاشتراهم أبو بكر وأعتقهم، وكانت مولاةً لبني عبد الدار، فلمَّا أسلمت عميت، فقال المشركون: أعمتها اللاتُ والعزى لكفرها باللات والعزى، فرد الله بصرها.

انظر: الاستيعاب ٤/ ١٨٤٩، ت٣٣٥٤؛ و«الإصابة» ٧/ ٦٦٤، ت١١٢١٦.

الإسلامَ، وذهب بصرُها، قال المشركون: ما أصاب بصرَها إلّا اللاتُ والعُزّى[١]، قالت: كلا والله، فردّ الله عليها بصرها[٢].

ودعا سعيد بن زيد[٣] على أروى[٤]، لمَّا كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبةً فأعْمِ بصرها، واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة مِنْ أرضها فماتت[٥].

والعلاء بن الحضرمي[٦]، كان عاملَ رسول الله ﷺ على

---

(١) في المطبوعة: «أصاب بصرها اللات والعزى».

(٢) أخرجها: ابن هشام في «السيرة»، وابن حجر في «الإصابة»، وعزاها إلى ابن أبي شيبة، وابن عبد البر في «الاستيعاب».
انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٣٤٠؛ و«الإصابة» ٧/ ٦٦٤؛ و«الاستعياب» ٤/ ١٨٤٩.

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو العدوي القرشي. صحابي جليل، شهد المشاهد كلها، إلا بدراً، وكان غائباً لحاجة أرسله النبي ﷺ إليها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن النبي ﷺ أحاديث، توفي بالعقيق، فحمل إلى المدينة، ودفن بها سنة ٥١هـ.
انظر: «الإصابة» ٣/ ١٠٣، ت٣٢٦٣؛ «الأعلام» للزركلي ٣/ ٩٤.

(٤) في المطبوعة: «أروى بنت الحكم». وهو خطأ.
هي: أروى بنت أُنيس، وفي «الحلية» أروى بنت أويس، قيل: إنها صحابية، وهي التي ادَّعت عند مروان بن الحكم أن سعيد بن زيد ظلمها أرضها، وكان جارَها في العقيق، فدعا عليها فعميت وماتت في بئر لها.
انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٣٩٢؛ و«الإصابة» ٧/ ٤٨٧، ت١٠٧٨١؛ و«الحلية» ١/ ٩٦.

(٥) رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه، وأصله في البخاري.
انظر: «صحيح مسلم» ج٣، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (١٦١٠) ص١٢٣٠؛ و«صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم الحديث (٣٠٢٦) ص١١٦٨.

(٦) العلاء بن عبد الله الحضرمي الخزرجي، ولاه النبي ﷺ على البحرين، =

البحرين، وكان يقول في دعائه: يا عليمُ يا حليمُ يا عليُّ يا عظيمُ، فيستجاب له، ودعا اللهَ بأن يسقَوْا ويتوضؤوا لمَّا عدموا الماء، ولا يبقى[1] الماءُ بعدَهم فأجيبَ، ودعا اللهَ لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلُّهم على الماء ما ابتلت سُرُجُ خيولهم، ودعا اللهَ أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد[2].

ن كـرامـات
ابعين

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني[3] ـ الذي أُلقي في النار ـ فإنه مشى هو ومَنْ معه مِنَ العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب مِنْ مداها، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: هل تفقدون[4] مِنْ متاعكم شيئاً حتى أدعو اللهَ ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت

= وأقره أبو بكر ثم عمر، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وكان مُجابَ الدعوة، وكان له أثر كبير في قتال أهل الردة في البحرين، توفي وهو في طريقه إلى البصرة، أرسله عمر ليكون والياً عليها، وذلك سنة ٢١هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٤/٧؛ و«الإصابة» ٤/٥٤١، ت٥٦٤٦.

(١) في المطبوعة: «لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم». وما أثبت هو الموافق لما جاء في روايات القصة.

(٢) أخرج هذا: أبو نعيم في «الحلية» ١/٧؛ و«دلائل النبوة» ص٢٠٨؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١/٦٩٤؛ وابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٣٨.

(٣) عبد الله بن ثوب الخولاني، أبو مسلم. تابعي فقيه عابد زاهد ثقة، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وسكن الشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٢هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» ١٢/٢٣٥، ت١٠٦٨؛ و«الأعلام» للزركلي ٤/٧٥.

(٤) في (ج)، (د)، والمطبوعة: «فقال: تفقدون».

مِخلاةً[١]، فقال: اتبعني، فاتَّبعه[٢] فوجدها[٣] قد تعلَّقت بشيء، فأخذها[٤].

وطلبه الأسود العنسي[٥] لمَّا ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أنَّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأُمِرَ بنار فألقي فيها، فوجدوه قائماً يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً[٦]، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمرُ بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أرى[٧] مِنْ أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم خليل الله[٨].

ووضعت له جاريته السُّمَّ في طعامه وأكله فلم يضرَّه[٩]،

---

(١) المخلاة: أداة يحتش بها الحشيش من بُقول الربيع وغيرها، وسُميت مخلاة، من الخلا الذي هو موضع الحشيش.
انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٧٥٧.

(٢) في المطبوعة: «فتبعته».

(٣) في (أ)، والمطبوعة: «فوجدتها تعلقت».

(٤) أخرج هذه القصة: ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٢٠٨؛ وابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٢٩٥؛ وابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٥٢.

(٥) تقدمت ترجمته في ص١١٣.

(٦) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١٢٨؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٢٠٨؛ وابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٤٢.

(٧) في (أ)، (ب)، (ج): أراني.

(٨) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١٢٨؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٤٠٨؛ وابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٤٢.

(٩) أخرجها ابن الزيات في «التشوف إلى رجال التصوف» ص٤٤.

وخبَّبت[١] امرأةٌ عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، فجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها[٢].

وكان عامر بن عبد قيس[٣] يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه مِنْ سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته، فلا يتغير عددها ولا وزنها[٤]. ومرّ بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مسَّ بثيابه فَمَ الأسد، ثم وضع رجله على عنقه، وقال: إنَّما أنت كلب مِنْ كلاب الرحمٰن، وإني أستحيي[٥] مِنَ الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرت القافلة[٦]. ودعا الله تعالى أن يهوِّنَ عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار[٧]، ودعا ربَّه أن يمنع قلبه مِنَ الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه[٨].

(١) خببت: أي: أفسدت.
انظر: «المعجم الوسيط» ١/ ٢١٤.

(٢) ذكرها ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٣٢٢.

(٣) عامر بن عبد الله العنبري، المعروف بعامر بن عبد قيس البصري. من سادات التابعين، قيل: أدرك الجاهلية، وكان أعبدَ أهل زمانه وأشدَّهم اجتهاداً، له مناقب مشهورة، توفي في بيت المقدس سنة ٥٥هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٨٨؛ و«تهذيب التهذيب» ٥/ ٧٧.

(٤) أخرجها ابن المبارك في «الزهد» ص٢٩٥؛ والقشيري في «الرسالة القشيرية» ٢/ ٦٨٨.

(٥) في (أ)، (ب)، (هـ): «أستحي»، والمثبت من (ج)، (د)، والمطبوعة.

(٦) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٩٢.

(٧) أخرجها ابن المبارك في «الزهد» ص٢٩٥.

(٨) أخرجها ابن المبارك في «الزهد»، ص٢٩٥؛ والقشيري في «الرسالة القشيرية» ٢/ ٧٠٧.

وتغيّب الحسن البصري[١] عن الحجاج، فدخلوا عليه ستَّ مرات، فدعا الله ﷻ فلم يروْه[٢]. ودعا على بعض الخوارج[٣]، كان يؤذيهم فخرّ ميتاً[٤].

وصِلَةُ بن أُشَيْم[٥]: مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ مِنَّةً، ودعا الله ﷻ فأحياه[٦] له، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس، فإنه عارية، فأخذ[٧] سرجه فمات الفرس[٨]. وجاع مرة بالأهواز[٩] فدعا الله ﷻ واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة[١٠] رطب في ثوب حرير، فأكل

---

(١) تقدمت ترجمته في ص١٥.

(٢) لم أقف على شيء من هذا.

(٣) تقدم ذكر الخوارج في ص٢٨.

(٤) قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص٣٢٢: وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيؤذيهم، فلما زاد أذاه، قال الحسن: اللهم قد علمتَ أذاه لنا، فاكفناه بما شئت، فخرَّ الرجل مِنْ قامته، فما حُمِلَ إلى أهله إلا ميتاً.

(٥) صلة بن أشيم العدوي، من عدي بن الرباب، وهو عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة. تابعي مشهور، أرسل حديثاً، فذكره بعضهم في الصحابة، قتل في سجستان سنة ٣٥هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٢٩؛ و«الإصابة» ٣/ ٤٦٣، ت٤١٣٦.

(٦) في (ب)، والمطبوعة: «فأحيا له فرسه».

(٧) في المطبوعة: «وأخذ».

(٨) أخرجها المناوي في «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» ١/ ١٢٥؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٣/ ٢١٧؛ وابن المبارك في «الزهد»، ص٢٩٥. إلا أنهما ذكرا ذهاب بغلته وليس موتها.

(٩) الأهواز بلد يقع في جنوب إيران.
انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص٣٤.

(١٠) دوخلَّة: بتشديد اللام، ونطقها بعضهم بالتخفيف، وهي سقيفة من خوص =

التمر[١] وبقي الثوب عند زوجته زماناً[٢]. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلَّم قال له: اطلب الرزق مِنْ غير هذا الموضع، فولَّى الأسد وله زئير[٣].

وكان سعيد بن المسيب[٤] في أيام الحَرَّة[٥] يسمع الأذان مِنْ قبر النبي ﷺ في أوقات الصلاة، وكان المسجد قد خلا، فلم يبق فيه غيره[٦].

ورجل مِنَ النَّخَع كان له حمار، فمات في الطريق، فقال أصحابه[٧]: هلمّ نتوزع متاعك، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم

= يوضع فيها التمر والرطب.
انظر: «لسان العرب» ١٤/ ٢٤٣.

(١) كلمة «التمر»: سقطت من: (ب)، (ج)، (د).

(٢) أخرجها: أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٢٣٩؛ وابن المبارك في «الزهد» ص٢٩٥)؛ والمناوي في «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» ١/ ١٢٥.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٢٤٠؛ وابن المبارك في «الزهد» ص٢٩٥.

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن، أبو محمد. تابعي مشهور، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، وكان ثقةً كثير الحديث، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ، وقيل غيرها.
انظر: و«فيات الأعيان» ٢/ ٣٧٥؛ و«الطبقات الكبرى» لابن سعد ٥/ ١١٩.

(٥) أيام الحَرَّة: هي أيام حصار المدينة من جهة الحَرَّة، وهي مكان بظاهر المدينة، وقد حاصرها يزيد بن معاوية سنة ٦٩هـ، بقيادة مسلم بن عقبة المري، فدخلها عَنوةً وأسرف هو وجنوده في القتل والسلب والنهب ثلاثة أيام.
انظر: «البداية والنهاية» ٨/ ٢٣٧.

(٦) أخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٥/ ١٣٢؛ والمناوي في «الكواكب الدرية في تراجم تراجم السادة الصوفية» ١/ ١١٤.

(٧) في المطبوعة: «فقال له أصحابه».

توضأ فأحسن الوضوء وصلّى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه[١].

ولمَّا مات أُويس القَرَنِيُّ[٢]، وجدوا في ثيابه أكفاناً[٣] لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه، وكفَّنوه في تلك الأثواب[٤].

وكان عمرو بن عتبة بن فرقد[٥] يصلي يوماً في شدة الحر، فأظلَّته غَمامة، وكان السَّبُع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدُمهم[٦].

---

(١) اسم الرجل: نباتة بن يزيد، وقد أخرج قصته هذه ابن كثير، وفيها أنه توضأ وصلى، ثم قال: اللهم إني جئت مِنَ الدَّثينة مجاهداً في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عَليَّ مِنَّةً، فإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري، ثم قام إلى الحمار، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه، قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع في الكناسة، يعني الكوفة.
انظر: «البداية والنهاية» ٦/ ١٧٥.

(٢) أويس بن عامر القرني، من كبار تابعي الكوفة، وزاهد مشهور، أدرك النبي ﷺ ولم يره، أصله مِنَ اليمن، ثم سكن الكوفة، وكان ثقةً، توفي سنة ٣٧هـ.
انظر: «الإصابة» ١٥/ ٢١٩، ت٥٠٠؛ و«أسد الغابة» ١/ ١٥١؛ «الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٢.

(٣) في (ب): «أثواباً».

(٤) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٨٣.

(٥) عمرو بن عتبة القرشي، تابعي مِنْ أهل الكوفة، مشهور بالتعبد والزهد، وذكر القاضي أبو أحمد العسال في تاريخه أنه لا يعرف له مسنداً.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ١٢١؛ و«الإصابة» ٥/ ٦٨، ت٦٢٧٤؛ و«الحلية» ٤/ ١٥٥.

(٦) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١٥٧؛ وابن المبارك في «الزهد» ص٣٠١.

وكان مطرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير[(١)] إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيتُه[(٢)] وكان هو وصاحبٌ له يسيران في ظُلمةٍ، فأضاء لهما طرف السوط[(٣)].

ولما مات الأحنف بن قيس[(٤)]، وقعت قَلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها، فوجد القبر قد فُسِحَ فيه مدَّ البصر[(٥)].

وكان إبراهيم التيمي[(٦)] يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وخرج يمتار لأهله طعاماً، فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله ففتحوها، فإذا هي حنطة حمراء،

---

(١) مطرف بن عبد الله بن الشخير. تابعي مشهور، ولد في عهد النبي ﷺ وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم، له مناقب كثيرة، قال ابن سعد: كان ثقةً، له فضل وورع وعقل وأدب، توفي سنة ٨٧هـ.
انظر: «الإصابة» ٦/ ٢٦٠، ت٨٣٣٠؛ و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٥٠؛.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ص٢٤١؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٣/ ٢٢٢.

(٣) أخرجها الإمام أحمد في «الزهد» ص٢٤١؛ وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٢٠٥؛ وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٧/ ١٤٤.

(٤) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي السعدي، والأحنف لقب له لحَنَفٍ كان برجله، واسمه الضحاك، وقيل: صخر. أدرك النبي ﷺ ولم يره، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل البصرة، وقال: كان ثقة مأموناً، وكان يُضرب بحلمه المثل، توفي في البصرة سنة ٦٧هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «أسد الغابة» ١/ ٥٥؛ و«الإصابة» ١/ ١٨٧، ت٤٢٩.

(٥) لم أقف على شيء من هذا.

(٦) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ـ أبو الأعمش ـ ذكره ابن الجوزي في التابعين من أهل الكوفة، أسند عن أبيه وغيره، وكان عابداً زاهداً، قال عنه الإمام أحمد: صدوق، توفي في حبس الحجاج سنة ٩٢هـ.
انظر: «صفة الصفوة» ٣/ ٩٠؛ و«الزهد» ص٣٦٢.

وكان إذا زرع منها تخرج السنبلة مِنْ أصلها إلى فروعها حبَّاً متراكباً[١].

وكان عتبة الغلام[٢] سأل ربَّه ثلاث خصال: صوتاً حسناً، ودمعاً غزيراً، وطعاماً مِنْ غير تكلُّف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوتَه ولا يدري مِنْ أين يأتيه[٣].

وكان عبد الواحد بن زيد[٤] أصابه الفالج، فسأل ربَّه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده[٥].

وهذا باب واسع. وقد بسط[٦] الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأمَّا ما نعرفه نحن[٧] عياناً ونعرفه في هذا

(١) لم أقف على شيء من هذا.

(٢) عتبة بن أبان الغلام. وسمي الغلام؛ لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان، لا لصغر سنه، وهو من نساك أهل البصرة، مات شهيداً في قتال الروم.
انظر: «الحلية» ٦/ ٢٢٦.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٢٣٦.

(٤) عبد الواحد بن زيد، وقيل: ابن زياد العبدي، أحد الأعلام، يروي عن ليث بن أبي عامر ويونس بن عبيد وغيرهما، ويروي عنه عفان بن مسلم وغيره، وكان شيخ الصوفية في زمنه وأعظم من لحق الحسن وغيره، وكان مجاب الدعوة، قال يحيى بن معين: هو ثقة، ويرى بعضهم أنه ليس بشيء، توفي سنة ١٧٧هـ.
انظر: «شذرات الذهب» ١/ ٢٨٧؛ و«النجوم الزاهرة» ٢/ ٨٧.

(٥) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٥٥؛ والقشيري في «الرسالة القشيرية» ٢/ ٧٠٦.

(٦) في (ب): «بسطنا».

(٧) قوله: (نحن) سقط من: (د).

الزمان، فكثير[(١)].

مقتضيات الكرامة ومراتب الأولياء في ذلك

ومما ينبغي أن يُعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة[(٢)] الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف[(٣)] الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون مَنْ هو أكملُ ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلُوِّ درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثرَ منها في الصحابة، بخلاف مَنْ يجري[(٤)] على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظمُ درجةً.

أصحاب الأحوال الشيطانية المخالفة للأحوال الإيمانية

وهذا[(٥)] بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبد الله بن صياد[(٦)] الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظنّ بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له[(٧)] فيما بعد أنه ليس هو الدجالَ، ولكنه كان مِنْ جنس الكهان. قال له النبي ﷺ: «قد خبَّأْتُ لك خَبئاً» قال: الدخ الدخ، وقد كان خبَّأ

---

(١) في (ب): «فكثير جدّاً».
(٢) في (ج): «حال».
(٣) في (ب): «ضعيف».
(٤) في (أ)، (ج): «تجري».
(٥) في (ب): «فهذا». وفي (د): سقط اسم الإشارة (هذا).
(٦) عبد الله بن صائد، وهو الذي يقال له ابن صياد، كان أبوه من اليهود، ولا يُدرى مِنْ أي قبيلة هو، وهو الذي يقال: إنه الدجال. ولد على عهد رسول الله ﷺ أعورَ مختوناً، وقد استأذن عمرُ بن الخطاب الرسولَ ﷺ في قتله فقال: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن يكن غيره فلا خير لك في قتله». قال بعض العلماء: لأنه كان مِنْ أهل العهد، ويقال: إنه أسلم بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي بالمدينة، وقيل: فقد يوم الحرة سنة ٦٣هـ.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ١٨٧؛ و«الإصابة» ٥/ ١٩٢، ت٦٦١٤.
(٧) في (أ)، (د): «تبين فيما بعد».

له سورة الدخان، فقال له النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تَعْدُوَ قدرك»(١)، يعني: إنما أنت مِنْ إخوان الكهّان.

والكهّان كان يكون لأحدهم القرينُ مِنَ الشياطين يخبره بكثير مِنَ المغيَّبات مما يسترقه مِنَ السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث «الصحيح» الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قُضِيَ في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوجه إلى الكهّان فيكذبون معها مائة كذبة مِنْ عند أنفسهم»(٢).

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفر مِنَ الأنصار، إذ رُمِيَ بنجم فاستنار، فقال النبي ﷺ: «ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يُولَدُ عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنه لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حَمَلَةُ العرش ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيحُ أهلَ هذه السماء، ثم

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم الحديث (٢٨٩٠) ص١١١٢؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم الحديث (٢٩٢٤) ص٢٢٤٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.
انظر: «صحيح البخاري» ج٣، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث (٣٠٣٨) ص١١٧٥؛ و«صحيح مسلم» ج٤، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (٢٢٢٨) ص١٧٥٠.

يسأل أهل السماء السابعة حَمَلَةَ العرش: ماذا قال ربنا؟، فيخبرونهم، ثم يستخبر أهلُ كل سماء حتى يبلغ الخبرُ أهلَ السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمعَ، فيرمون فيقذفونه إلى أوليائه، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ، ولكنهم يزيدون»[(١)].

وفي رواية[(٢)]: قال معمر[(٣)]: قلت للزهري[(٤)]: أكان يُرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ.

والأسود العنسي[(٥)] الذي ادَّعى النبوة، كان له مِنَ الشياطين مَنْ يخبره ببعض الأمور المغيبة[(٦)]، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون مِنَ الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» ج٤، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (٢٢٢٩) ص١٧٥٠؛ و«مسند أحمد» ١/ ٢١٨؛ و«سنن الترمذي» ج٥، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة سبأ، رقم الحديث (٣٢٧٧) ص٤٠.

(٢) هذه الرواية في «مسند أحمد» ١/ ٢١٨.

(٣) معمر بن راشد الأزدي، أبو عروة. كان فقيهاً حافظاً متقناً ورعاً، سكن اليمن، وكان من أطلب أهل زمانه للعلم، روى له الجماعة، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة ١٥٢ هـ، وقيل غيرها.
انظر: «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٢٤٣، ت٤٣٩؛ و«البداية والنهاية» ١٠/ ١٢٨.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري، أبو بكر. أحد الأعلام، من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم، ولد سنة ٥٨هـ، فقرأ القرآن، وكتب الحديث، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه، وقد احتاج أهل عصره إليه، وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهاً جامعاً، توفي سنة ١٢٤هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٩/ ٤٤٥، ت٧٣٢؛ «البداية والنهاية» ٩/ ٣٧٣.

(٥) تقدمت ترجمته في ص١١٣.

(٦) في (ب)، (ج): «الغائبة».

عليه امرأته لمَّا تبين لها كفرُه فقتلوه[١].

وكذلك مسيلمة الكذاب[٢]، كان معه مِنَ الشياطين مَنْ يخبره بالمغيَّبات، ويعينه[٣] على بعض الأمور.

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي[٤] الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان[٥]، وادَّعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه[٦] مِنَ القيد، وتمنع السلاح أن ينفُذ فيه، وتسبح الرخامة إذا نقرها[٧] بيده، وكان يرى الناس بجبل قاسيون[٨] رجالاً ركباناً على خيل في الهواء، ويقول: هي[٩] الملائكة، وإنَّما كانوا جِنَّاً. ولمَّا أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه

---

(١) انظر قصة مقتله في: «البداية والنهاية» ٦/ ٣٤٧؛ و«الكامل في التاريخ» ٢/ ٣٣٦.

(٢) تقدمت ترجمته في ص١١٣.

(٣) في (أ)، (ب): «وتعينه».

(٤) تقدمت ترجمته في ص١١٤.

(٥) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد الأموي، أمير المؤمنين، ولد ونشأ في المدينة، وكان فقيهاً واسع العلم متعبداً، استعمله معاوية على المدينة، وهو ابن ١٦ سنة، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ، فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة والهيبة، فكان من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نقلت في عهده الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات، وغير ذلك من الأعمال، توفي سنة ٨٦هـ.
انظر: «البداية والنهاية» ٩/ ٦٧، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ١٦٥.

(٦) في (د)، (ج): «رجله».

(٧) في (أ)، والمطبوعة: «إذا مسحها».

(٨) في (أ)، والمطبوعة: «يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل»، وجبل قاسيون شمالي دمشق، ويأتي ذكره في ص٢٤٦.

(٩) في (ب): «هؤلاء الملائكة».

الطاعن بالرمح، فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تُسَمِّ الله، فسمَّى الله وطعنه فقتله[١].

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي؛ فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة[٢] الفطر، فسرق منه الشيطان ليلةً بعد ليلةٍ، وهو يمسكه فيتوب فيطلقه، فيقول له النبي ﷺ: «ما فعل أسيرُك البارحة؟» فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «كذبك وإنه سيعود»، فلما كان في المرة الثالثة قال: دعني حتى أعلِّمَك ما ينفعُك، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ...﴾ إلى آخرها، فإنه لن يزال عليك مِنَ الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فلما أخبر النبي ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب»، وأخبره أنه شيطان[٣].

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها[٤] مثل مَنْ يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المُكاءَ والتَّصدية، فتنزل[٥] عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم[٦]، وربما لا يفقه[٧] وربما كاشف بعض الحاضرين بما

---

(١) ذكر قصته ومقتله ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»، ص٣٧٩.

(٢) في (خ): «صدقة الفطر».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» ج٢، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل، رقم الحديث (٢١٨٧) ص٨١٢.

(٤) في (ب): «أبطلها».

(٥) في (أ)، (ب): «فينزل».

(٦) في (أ)، (ب): «ولا يعلم به».

(٧) في (ج): «لا يفقهه».

في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما تتكلم الجن على لسان المصروع، والإنسان[١] الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان مِنَ المسّ، ولبسه وتكلم عن لسانه، فإذا أفاق[٢] لم يشعر بشيء مما قال، ولهذا قد يضرب المصروع ضرباً كثيراً حتى قد يقتل مثله الإنسي أوْ يمرضه لو كان هو المضروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء؛ لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه.

ومِنْ هؤلاء مَنْ يأتيه الشيطان بأطعمةٍ وفواكهَ وحلوى وغير ذلك مِمَّا لا يكون في ذلك الموضع.

ومنهم مَنْ يطير[٣] به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما.

ومنهم مَنْ تحمله[٤] عشيَّةَ عرفةَ ثم تعيده مِنْ ليلته، فلا يحج حجّاً شرعيّاً، بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى[٥] الميقات، ولا يلبي، ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف البيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار، بل يقف بعرفةَ بثيابه، ثم يرجع مِنْ ليلته، وهذا ليس بحجٍّ مشروع باتفاق المسلمين، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة.

ومِنْ هؤلاء المحمولين مَنْ حُمِلَ مرة إلى عرفات ورجع

---

(١) في (أ)، (ب): «والإنس».
(٢) في (د): «فارق».
(٣) في (ب): «يطيره».
(٤) في المطبوعة: «يحمله».
(٥) في (أ)، (ب): «إذا جاء».

فرأى في النوم ملائكةً يكتبون الحجاج، فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست مِنَ الحجاج، يعني لم تحج حجّاً شرعيّاً.

بعض الفروق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية

وبين[(١)] كرامات الأولياء وبين ما يشبهها مِنَ الأحوال الشيطانية فروق متعددة؛ منها: أنَّ كرامات الأولياء[(٢)] سببُها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية يكون[(٣)] سببُها ما نهى الله عنه ورسوله، (ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله)[(٤)].

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقول على الله بغير علم[(٥)]، والشرك، والظلم، والفواحش، قد حرّمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى، ولا يُستعان بالكرامات عليها.

فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها شرك، كالاستعانة بالمخلوقات، أو كانت ممَّا يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي مِنَ الأحوال الشيطانية، لا مِنَ الكرامات الرحمانية.

صور من الأحوال الشيطانية

ومِنْ هؤلاء مَنْ إذا حضر سماع المُكاء والتصدية ينزل[(٦)]

---

(١) في (ب): «والفرق بين كرامات». (٢) في (أ)، (ج): «أولياء الله».
(٣) قوله: «يكون» سقط من المطبوعة.
(٤) ما بين القوسين سقط من المطبوعة.
(٥) في (أ)، (ج): «بلا علم». (٦) في (د)، والمطبوعة: «يتنزل».

عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء، ويخرجه مِنْ تلك الدار، فإذا حضر رجل مِنْ أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط، كما جرى هذا لغير واحد.

ومِنْ هؤلاء مَنْ يستغيث بمخلوق إمَّا حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانيّاً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضلَّه لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

ومِنْ هؤلاء مَنْ يتصور له الشيطان، ويقول له: أنا الخضر[١]، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما جرى ذلك لغير واحد مِنَ المسلمين واليهود والنصارى.

وكثير مِنَ الكفار بأرض المشرق والمغرب[٢] يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل إلى زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار، كما يصنع[٣] كفار الهند، فيظنون أنه عاش بعد موته.

(ومِنْ هؤلاء شيخ كان بمصر، أوصى خادمه، فقال: إذا أنا

---

(١) تقدمت ترجمته في ص٢٠.
(٢) في (أ)، (ج): «والغرب وغيرها».
(٣) في المطبوعة: «تصنع».

مِتُّ فلا تدع أحداً يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله ـ أي غسل الميت ـ غاب، وكان ذلك شيطاناً، وكان قد أضلَّ الميت، وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء، كما أغوى الميت قبل ذلك)[(١)].

ومنهم مَنْ يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع مَنْ يخاطبه، ويقول: أنا ربك، فإن كان مِنْ أهل المعرفة، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه، فيزول ذلك[(٢)].

ومنهم مَنْ يرى أشخاصاً في اليَقَظَة، يدّعي أحدهم أنه نبي أو صدِّيق أو شيخ من الصالحين، ويكون مِنَ الشياطين[(٣)]، وقد جرى هذا لغير واحد.

ومنهم مَنْ يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة، فيعتقدها الميت، وإنما هو جني تصور بتلك الصورة.

ومنهم مَنْ يرى فرساً قد خرج مِنْ قبره أو دخل في قبره، ويكون ذلك شيطاناً.

وكلُّ مَنْ قال: إنه رأى نبيّاً بعين رأسه فما رأى إلّا خيالاً[(٤)].

---

(١) ما بين القوسين سقط من (هـ) والمطبوعة.
(٢) اسم الإشارة «ذلك» سقط من (ب) والمطبوعة.
(٣) قوله: «ويكون من الشياطين» سقط من المطبوعة.
(٤) في (أ)، (ج): «إلا جنيّاً».

ومنهم مَنْ يرى في منامه أن بعض الأكابر ـ إما الصدِّيق رضي الله عنه أو غيره ـ قد قصّ شعره أو حلقه، أو ألبسه طاقيته أو ثوبه، فيصبح وعلى رأسه طاقية، وشعره محلوق أو مقصوص(١)، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصوه(٢).

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنّة.

درجات أصحاب الأحوال الشيطانية

وهم درجات والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم(٣).

والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً، دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال.

معاونة الشياطين لمن يطيعهم ويوافقهم في أنواع الكفر والمعاصي

وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء مَنْ يعظِّمونه مِنَ الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي، أو غيرهن، ويكتبهن(٤) بنجاسة، فيغورون له الماء، أو ينقلونه بسبب ما يرضيهم به مِنَ الكفر، وقد يأتونه بما يهواه مِن امرأة أو صبي، إما في الهواء، وإما مدفوعاً ملجأً إليه. إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها، والإيمانُ بها إيمانٌ بالجبت والطاغوت.

---

(١) في (هـ)، والمطبوعة: «أو مقصر».
(٢) في (هـ)، والمطبوعة: «أو مقصروه».
(٣) في المطبوعة: «من جنسهم وعلى مذهبهم».
(٤) في (ج)، (د): «ويكتبها».

والجبت: السحر، والطاغوت: الشياطين والأصنام، وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم إلا الدخول[١] معه في ذلك أو مسالمته.

ولهذا لمَّا كانت عبادة المسلمين المشروعة[٢] في المساجد التي هي بيوت الله، كان عُمَّارُ المساجد أبعدَ عن الأحوال الشيطانية.

تعظيم القبور سبيل أهل الشرك والبدع

وكان أهلُ الشرك والبدع ـ الذين[٣] يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت، أو يدعون به، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ـ أقربَ إلى الأحوال الشيطانية، فإنه ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٤].

وثبت في «صحيح مسلم» عنه أنه قال ـ قبل أن يموت

(١) في (أ)، والمطبوعة: «ولم يمكنهم الدخول معه».
(٢) في (ب): «مشروعة». ولا يفهم من كلام المؤلف أن العبادة المشروعة مقصورة في المساجد، ومَنْ يفهم هذا فقد أخطأ، وإنما معناه أن المساجد لمَّا كانت محلّاً للعبادة المشروعة كان عُمَّارها أبعدَ من الأحوال الشيطانية، بخلاف المقابر مثلاً؛ فإن العبادة عندها مبتدَعة لا مشروعة؛ ولهذا كان أهلُها أقربَ إلى الأحوال الشيطانية.
(٣) الاسم الموصول «الذين» سقط من (أ)، والمطبوعة.
(٤) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم الحديث (١٢٦٥) ص٤٤٦؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٣٢) ص٣٧٧.

بخمس ليال ـ: «إنَّ أمَنَّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً مِنْ أهل الأرض لاتَّخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله، لا يبقين في المسجد خَوْخَةٌ إلا سُدّت، إلا خَوْخَةَ أبي بكر، إنَّ مَنْ كان قبلكم يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١].

وفي «الصحيحين» عنه أنه ذُكِرَ له في مرضه كنيسةٌ بأرض الحبشة، وذكروا مِنْ حُسنها وتصاويرَ فيها، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيها تلك التصاوير، أولئك شِرارُ الخلق عند الله يوم القيامة»[٢].

وفي «المسند»، و«صحيح[٣] ....

---

(١) رواه مسلم عن جندب بن عبد الله.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحيث (٥٣٢) ص٣٧٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.
انظر: «صحيح البخاري» ج١، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، رقم الحديث (١٢٧٦) ص٤٥٠؛ و«صحيح مسلم» ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٢٨) ص٣٧٥.

(٣) وهو المعروف بـ«صحيح ابن حبان». واسمه كاملاً «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها». وهو يقع في تسع مجلدات مخطوطة. وقد حقق أوله أحمد شاكر، وقال في مقدمته: «صحيح ابن حبان كتاب نفيس جليل القدر، عظيم الفائدة، حرره مؤلفه أدق تحرير، وجوده أحسن تجويد، وحقق أسانيده ورجاله، وعلل ما يحتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، =

أبي حاتم»[١] عنه ﷺ قال: «إنَّ مِنْ شرار الناس[٢] مَنْ تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين اتخذوا القبور مساجد»[٣].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[٤].

وفي «الموطأ» عنه ﷺ أنه قال: «اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٥].

= وتوثق من صحة كل حديث اختاره على شرطه ما أظنه أخلَّ بشيء مما التزم به إلَّا ما يخطئ فيه البشر، وما لا يخلو منه عالم محقق». وتوفي أحمد شاكر رحمه الله ولم يكمل تحقيقه، وحققه شعيب الأرنؤوط كاملاً في ثمانية عشر مجلداً، وفي مقدمته أورد أقوال العلماء فيه وفي منزلته، وأن منهم من قال: إنه أصح من «سنن ابن ماجه». كما طبع بتحقيق كمال يوسف الحوت.
انظر: «صحيح ابن حبان» تحقيق (أحمد شاكر ١/ ١١) و(تحقيق الأرنؤوط ١/ ٣٨).

(١) تقدمت ترجمته في ص١٣٦.

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «الخلق».

(٣) رواه أحمد عن ابن عباس، «المسند» ١/ ٤٣٥؛ وابن حبان في «موارد الظمآن» ص١٠٤.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي مرثد الغنوي.
انظر: «صحيح مسلم» ج٢، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، رقم الحديث (٩٧٢) ص٦٦٨؛ و«سنن أبي داود» ج٣، كتاب الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر، رقم الحديث (٣٢٢٩) ص٥٤٤؛ و«سنن الترمذي» ج٢، أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية الوطء على القبور والجلوس عليها، رقم الحديث (١٠٥٥) ص٢٥٧؛ و«سنن النسائي» ج٢، كتاب القبلة، النهي عن الصلاة إلى القبر ص٦٧.

(٥) رواه مالك عن عطاء بن يسار، مرسلاً، ورواه أحمد عن أبي هريرة، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. =

وفي «السنن» عنه ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلُغُني»[(١)].

وقال ﷺ: «ما مِنْ رجل يسلِّم عليَّ إلَّا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[(٢)].

وقال ﷺ: «إن الله وكّل بقبري ملائكةً يبلِّغونني عن أمتي السلام»[(٣)].

وقال ﷺ: «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليَّ». قالوا: يا رسول الله، كيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أرِمتَ؟ ـ يقولون: بَلِيْتَ ـ فقال: «إن الله

= انظر: «موطأ مالك» ج١، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، رقم الحديث (٨٥) ص١٧٢؛ و«المسند» بتحقيق أحمد شاكر ج١٣، رقم الحديث (٧٣٥٢) ص٨٦.

(١) رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، بإسناد حسن، ورواته ثقات.
انظر: «المسند» ٢/ ٣٦٧؛ و«سنن أبي داود» ج٢، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم الحديث (٢٠٤٢) ص٥٣٤.
وانظر: «تيسير العزيز الحميد» ص٣٠٤.

(٢) رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، وقد بين المؤلف في «اقتضاء الصراط المستقيم» بأنه على شرط مسلم.
انظر: «المسند» ٢/ ٥٢٧؛ و«سنن أبي داود» ج٢، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم الحديث (٢٠٤١) ص٥٣٤.
وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» بتحقيق د. ناصل العقل ٢/ ٦٥٨.

(٣) رواه أحمد والنسائي والدارمي عن ابن مسعود.
انظر: «المسند» ١/ ٣٨٧؛ و«سنن النسائي» ج٣، كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ ص٤٣؛ وسنن الدارمي ج٢، كتاب الرقائق، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ ص٣١٧.

حرَّم على الأرض أن تأكلَ لحوم الأنبياء»[(١)].

وقال قال ـ تعالى ـ في كتابه عن المشركين مِنْ قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

وقال ابن عباس وغيره مِنَ السلف: «هؤلاء قوم كانوا صالحين مِنْ قوم نوح، فلمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم فعبدوهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان»[(٢)].

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجدَ ليسدّ باب الشرك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها[(٣)]؛ لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ، والشيطان يقارنها وقتَ الطلوع ووقتَ الغروب، فيكون في الصلاة حينئذ مشابهة للمشركين، فسدّ هذا الباب.

صور من مكر الشيطان بأهل الشرك والبدع

والشيطان يضلّ بني آدم بحسب قدرته، فمَنْ عبد الشمس

(١) رواه أبو داود وابن ماجه عن أوس بن أوس، وإسناده صحيح.
انظر: «سنن أبي داود» ج١، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم الحديث (١٠٤٧) ص٦٣٥؛ و«سنن ابن ماجه» ج١، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ رقم الحديث (١٦٣٦) ص٥٢٤.
وانظر: «رياض الصالحين» ص٤٦١.

(٢) ذكره القرطبي وابن كثير عن ابن عباس وغيره.
انظر: «تفسير القرطبي» ١٨/ ٣٠٧؛ و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٧٢.

(٣) روى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها فتصلوا عند ذلك».
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، رقم الحديث (٢٩٦) ص٥٧١.

والقمر والكواكب ودعاها، كما يفعل[١] أهل الكواكب، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدِّثه ببعض الأمور، ويسمُّون ذلك روحانية الكواكب، وهو الشيطان.

والشيطان، وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة مَنْ أطاعه إلى شرٍّ[٢]، إلا أن يتوبَ الله عليه.

(وكذلك عُبَّاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين، وكذلك مَنِ استغاث بميت أو غائب)[٣]، وكذلك مَنْ دعا الميت أو دعا به، أو ظنَّ أن الدعاء عند قبره أفضلُ منه في البيوت والمساجد، ويروون حديثاً، وهو[٤] كذب باتفاق أهل المعرفة: «إذا أعيتكم الأمور[٥] فعليكم بأصحاب القبور»، وإنما هذا وضع مَنْ فتح باب الشرك.

ويوجد لأهل الشرك وأهل البدع المتشبِّهين[٦] بهم، مِنْ عُبَّاد الأصنام والنصارى والضلال مِنَ المسلمين، أحوال عند المشاهد يظنونها كراماتٍ، وهي مِنَ الشياطين، مثل أن يضعوا سراويلَ[٧] عند القبر، فيجدونه قد انعقد[٨]، أو يضعوا عنده مصروعاً، فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلَّهم.

وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطَل هذا، فإن

---

(١) في (أ)، (جـ): «يفعله».
(٢) في (د): «إلى الشرك».
(٣) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٤) في المطبوعة: «هو».
(٥) في المطبوعة: «إذا أعيتكم المعرفة».
(٦) في (هـ)، والمطبوعة: «ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم».
(٧) في (أ)، (د): «سرابلاً».
(٨) في (ب)، (جـ): «قد عقد».

التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حمل بعضهم في الهواء، فقال: لا إلٰه إلّا الله، فسقط، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان[١]، وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع.

الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع

ولما كان[٢] الانقطاع إلى المغارات والبوادي[٣] مِنَ البدع التي لم يشرعها الله ورسوله[٤]، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات والجبال، مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون[٥]، وجبل لبنان الذي بساحل الشام[٦]، وجبل الفتح بأسوان[٧] بمصر، وجبال الروم[٨] وخراسان[٩]، وجبال

(١) في (ج)، (د): «وإنما هو شيطان».

(٢) في المطبوعة: «ولما كان هذا الانقطاع».

(٣) في (د): «النوادي». (٤) في المطبوعة: «ولا رسوله».

(٥) جبل قاسيون: شمالي دمشق، ومغارة الدم: مشهورة بأنها المكان الذي قتل قابيل أخاه هابيل عندها.
انظر: «قصص الأنبياء» للنجار ص٢٢.

(٦) هو جبل مطل على حمص، يجيء من الحجاز حتى يتصل بالشام، فما كان في فلسطين فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن فهو جبل الخليل، وما كان بدمشق فهو جبل سنير، وما كان بحلب وحماة وحمص فهو جبل لبنان، ويتصل بأنطاكية المصيصة، فيسمى هناك جبل اللكام، ويمتد إلى بحر الخزر فيسمى هنالك القبق.
انظر: «معجم البلدان لياقوت الحموي» ٥/ ١١.

(٧) قوله: (بأسوان) هي من: (هـ)، المطبوعة.

(٨) في (هـ)، والمطبوعة: «بالروم». ودولة الروم في ذلك الوقت هي الإمبراطورية الرومية الواقعة شرق البحر المتوسط.
انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص٧.

(٩) خراسان هي إيران حالياً.

=

بالجزيرة[١]، وغير ذلك، وجبل اللكام[٢]، وجبل الأحيش[٣]، وجبل سَبَلان[٤] قرب أردبيل، وجبل سهل[٥] عند تبريز، وجبل ماشكو عند[٦] أتشوان، وجبل نهاوند[٧]، وغير ذلك[٨] من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الإنس صالحين[٩]، ويسمونهم رجالَ الغيب، وإنَّما هناك رجال مِنَ الجن.

فالجن[١٠] رجال كما أن الإنس[١١] رجال. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ

= انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص١١.

(١) هناك عدة مناطق يطلق عليها اسم الجزيرة؛ منها: جزيرة العرب المعروفة، وبلاد ما بين النهرين في العراق، والجزيرة في سوريا، ولعل المؤلف أراد هذه الأخيرة.
انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص١١، ٣٧.

(٢) جبل اللكام: انظر: جبل لبنان. (٣) لم أقف على شيء عنه.

(٤) في النسخ: جبل سولان، والصحيح سبلان، بفتح أوله وثانيه، وهو جبل شمال غرب إيران، وأردبيل بلدة عنده.
انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص٣٥.

(٥) في (ب): «جبل سهل». وفي باقي النسخ: «جبل شهنك». وهذا الأخير لم أقف عليه، أما جبل سهل، فهو جبل معروف في بلاد الشام، وتبريز بلدة شمال غرب إيران.
انظر: «أطلس التاريخ الإسلامي» ص٣٥؛ و«معجم البلدان» لياقوت الحموي ٣/ ٢٩٠.

(٦) لم أقف على شيء من هذا.

(٧) نهاوند: مدينة عظيمة تقع في إيران. وقد فتحها المسلمون سنة ٢٠هـ.
انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي ٥/ ٣١٣.

(٨) في (ب)، (د): سقط من قوله: (وجبل اللكام) إلى قوله: (وغير ذلك).

(٩) في (أ)، والمطبوعة: «رجالاً من الصالحين من الإنس».

(١٠) في (ب): «فللجن». (١١) في (ب): «كما للإنس».

كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ [الجن: ٦].

ومِنْ هؤلاء مَنْ يظهر بصورة رجل شعراني جلده يشبه جلد الماعز، فيظن مَنْ لا يعرفه[١] أنه إنسي، وإنما هو جني.

ويقال: بكلِّ جبل مِنْ هذه الجبال الأربعون الأبدال، وهؤلاء الذين يُظَنُّ أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال، كما يُعرف ذلك بطرق متعددة[٢].

وهذا باب[٣] لا يتسع هذا الموضع لبسطه وذكر ما نعرفه مِنْ ذلك، فإنَّا قد رأينا وسمعنا مِنْ ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب[٤] لمن سأل أن نذكر له مِنَ الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل[٥] ذلك.

أقسام الناس في خوارق العادات

والناس في خوارق العادات[٦] على ثلاثة أقسام:

قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدَّق به[٧] مجملاً، وكذب بما يذكر[٨] له عن كثير مِنَ الناس، لكونه عنده ليس مِنَ الأولياء.

ومنهم مَنْ يظن أن كل مَنْ[٩] كان له نوع مِنْ خرق العادة كان وليّاً لله.

---

(١) في (أ)، (ج): «من لا يعرف».
(٢) تقدم حديث الأبدال في ص٢٦، ٢٧، وكلام الشيخ عليه، وأنه لا يثبت.
(٣) في (ب): «باب واسع لا يتسع».
(٤) في (ج): «كتبت».
(٥) في (ج): «جل ذلك».
(٦) في (ب): «العادة».
(٧) في (أ)، (ج): «بها».
(٨) في (أ)، (هـ)، والمطبوعة: «ما يذكر».
(٩) في (هـ)، والمطبوعة: «كل ما كان».

وكلا الأمرين خطأ، ولهذا نجد[١] هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء[٢] يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم مِنْ أولياء الله، وأولئك يكذبون أن يكون معهم مَنْ له خرق عادة.

والصواب القول الثالث، وهو أنَّ معهم مَنْ ينصرهم مِنْ جنّهم لا مِنْ أولياء الله ﷻ، كما[٣] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وهؤلاء[٤] العبّاد والزهّاد الذين ليسوا مِنْ أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنّة تقترن[٥] بهم الشياطين، فيكون لأحدهم مِنَ الخوارق ما يناسب حاله، ولكن خوارق هؤلاء يعارض بعضُها بعضاً، (وإذا حصل مَنْ له تمَكُّنٌ مِنْ أولياء الله تعالى أبطلها عليهم)[٦]، ولا بد أن يكون في أحدهم مِنَ الكذب جهلاً أو عمداً ومِنَ الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة به[٧]، ليفرّق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبّهين بهم من أولياء الشياطين، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

والأفّاك: الكذّاب[٨]، والأثيم: الفاجر.

---

(١) في (أ)، والمطبوعة: «تجد».
(٢) في (ب): «قرناء»، وفي (ج)، (و): «خفراء».
(٣) في (هـ)، (ب)، (ج): «بل كما قال تعالى».
(٤) في (د): «ومن هؤلاء». (٥) في (د): «من تقترن».
(٦) ما بين القوسين سقط من: (ب). (٧) في (هـ)، والمطبوعة: «بهم».
(٨) قوله: (والأفاك الكذاب) سقط من: (ب).

مما يقوي الأحوال الشيطانية

ومِنْ أعظم[١] ما يقوِّي الأحوال الشيطانية سماعُ الغناء، والملاهي، وهو سماع المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما مِنَ السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير»[٢]، فكان المشركون يتخذون هذا عبادةً.

وأما النبي ﷺ وأصحابه، فعبادتهم ما أمر الله به مِنَ الصلاة[٣] والقراءة والذكر والدعاء[٤]، ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط، لا بكف ولا بدف، ولا تواجد ولا سقطت بردته، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه[٥].

وكان[٦] أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا[٧] واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري[٨]: ذكِّرنا ربَّنا، فيقرأ وهم يستمعون،

(١) في (أ)، (ج): «ومما يقوي».
(٢) أورده الطبري في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ١٣/ ٥٢٣.
(٣) في (أ)، (ج): «الصلوات».
(٤) قوله: (والدعاء) سقط من: (ج)، والمطبوعة.
(٥) تقدمت القصة المكذوبة في هذا الخصوص ص٢٩.
(٦) في (أ)، (د): «فكان». (٧) في (ب): «أمر».
(٨) عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري. قدم المدينة بعد فتح خيبر، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمر على البصرة، واستعمله عثمان على الكوفة. روى عن النبي ﷺ وروى عنه بعض الصحابة والتابعين، وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان من أهل العلم، وهو الذي =

مصدر الفصوص روح شيطاني

ومن[١] هذه الأرواح الشيطانية: الروح[٢] الذي يزعم صاحب «الفتوحات»[٣] أنه ألقى إليه ذلك[٤] الكتاب[٥]، ولهذا

= ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١].
انظر: «تفسير الطبري» ٨٦/١٢، وفي (ب)، (و): «... يزعم أنه ينزل عليه ويوحى إليه» فقال: صدق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ ومن هذه.

(١) في المطبوعة: «وهذه الأرواح».

(٢) في (أ)، والمطبوعة: «هي الروح».

(٣) أي: كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، وقد تقدم الكلام عنه في ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) في (أ)، (د): «ألقى إليه الكتاب».

(٥) الكتاب المشار إليه هو كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي؛ فقد قال في مقدمته: أما بعد، فإني رأيت رسول الله في مبشرة أريتها في العشر الأواخر من محرم لسنة ٦٢٧هـ بدمشق، وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة.
انظر: «الفصوص» ٤٧/١، وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب في ص١٢٣.
ومن هذه الأوراح الشيطانية ما يُعرَفُ في هذا العصر بتحضير الأرواح، الذي يزعم أصحابه أنهم يتخذون أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم في المشكلات والمعضلات، والاستعانة بهم في علاج مرض الأبدان والنفوس، وفي الإرشاد إلى المجرمين، وفي الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل، ويزعمون أن الموتى ـ على مختلف أديانهم ـ يعيشون في سعادة وهناء. ومعنى هذا أن السعادة والهناء لا تتوقف على الدين، فيؤدي ذلك إلى الاستخفاف بالدين. ولا شك أن الصهيونية الهدامة هي التي تقف وراء هذه الدعوة تريد أن تجعلها ديناً جديداً يهدم أسس المجتمع وينشر فيه الفوضى بالتشكيك في الأديان السماوية كما تمليه عليهم تعاليمهم الصهيونية.
وقد كتب د. محمد محمد حسين، كتاباً أسماه «الروحية الحديثة» ذكر أساليبهم ووسائلهم وبين بطلانها.

يذكر أنواعاً مِنَ الخلوات بطعام معين وحال[١] معين، وهذه مما[٢] تفتح لأصحابها الاتصال[٣] بالجن والشياطين، فيظنون ذلك مِنْ كرامات الأولياء، وإنما هو مِنَ الأحوال الشيطانية.

وأعرف مِنْ هؤلاء عدداً[٤]، ومنهم مَنْ كان يحمل في الهواء[٥] إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم مَنْ كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت[٦] تدلُّه على السرقات بجُعْلٍ يحصل[٧] له مِنَ الناس (أو لعطاء يعطونه)[٨] إذا دلَّهم على سرقاتهم، ونحو ذلك.

ولما كانت[٩] أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين[١٠] للرسل ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ـ، كما يوجد في كلام[١١] صاحب «الفتوحات المكية» و«الفصوص»[١٢] وأشباه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وعاد[١٣] وفرعون، وغيرهم، وينتقص الأنبياء[١٤]، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون،

---

(١) في المطبوعة: «وشيء معين». (٢) في (ب): «إنما».
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن».
(٤) في (أ)، (د): «أعداداً». (٥) في (أ)، (د): «على الهواء».
(٦) في (ب): «كان». (٧) في (أ)، (ج): «يجعل».
(٨) في (أ)، (ج): «أو تعطيهم له»، وفي (ب): «أو يعظم»، وفي (د): «أو يعطيهم».
(٩) في (ب): «كان». (١٠) في (د): «منافقين للرسل».
(١١) قوله: «في كلام» سقط من (أ)، (ج)، (د).
(١٢) أي كتاب الفتوحات المكية، وكتاب فصوص الحكم لابن عربي، وقد تقدم الكلام عليهما في ص١٢٣، ١٢٤.
(١٣) في (أ)، (ب)، والمطبوعة: «هود» بدلاً من (عاد).
(١٤) في (أ)، (ب)، (ج): «بالأنبياء».

وغيرهم[١]، ويذمُّ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجُنيد بن محمد[٢]، وسهل بن عبد الله التستري[٣] وأمثالهما، ويمدح المذمومين عند المسلمين، كالحلَّاج[٤]، ونحوه، كما ذكره في تخلياته[٥] الخيالية الشيطانية.

فإن الجنيد ـ قدس الله روحه ـ كان من أئمة الهدى، فسئل عن التوحيد، فقال: «التوحيد إفراد الحدوث عن القدم»[٦]، فبيَّن أن التوحيد أن يميز[٧] بين القديم والمحدَث، أي بين[٨] الخالق والمخلوق.

اعتراض صاحب الفصول على الجنيد في تفسير التوحيد ورد الشيخ عليه

وصاحب الفصوص أنكر هذا، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية: يا جنيد، هل يميز بين المحدَث والقديم إلا مَنْ يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: «إفراد المحدَث عن

---

(١) قوله: «وغيرهم» سقط من المطبوعة.

(٢) تقدمت ترجمته في ص٧٤. (٣) تقدمت ترجمته في ص١٤٢.

(٤) الحسين بن منصور الحلاج. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، كانت له بداية جيدة وتألُّه وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه، فقتل في بغداد سنة ٣٠٩هـ، ولم يزل الناس مختلفين فيه، فأما الفقهاء، فأجمعوا على قتله وأنه قتل كافراً، وكذلك أكثر الصوفية، وأما طائفة من الصوفية، فغرَّهم ظاهره، ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فانخدعوا فيه وانحازوا إلى صفه.
انظر: «البداية والنهاية» ١١/١٣٨؛ «لسان الميزان» ٢/٨٣١٤.

(٥) في (ج)، والمطبوعة: «تجلياته».

(٦) في «الرسالة القشيرية» قال الجنيد: التوحيد: إفراد القدم عن الحديث.
انظر: «الرسالة القشيرية» ص٣٣.

(٧) في المطبوعة: «تميز».

(٨) في (أ)، والمطبوعة: «وبين الخالق..»، في (هـ): «أي الخالق».

القديم»[١]؛ لأن قوله[٢] هو: إن وجود المحدَث هو عين وجود القديم. كما قال[٣] في «فصوصه»: «ومِنْ أسمائه الحسنى: العلي، على مَنْ؟ ومَنْ ثم إلّا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلُوُّه لنفسه، وهو مِنْ حيث الوجود عين الموجودات»[٤]، فالمسمَّى محدَثات هي العليَّة لذاتها، وليست إلا هو - إلى أن قال - فهو[٥] عين ما بَطَنَ وهو عين ما ظهر، وما ثَمَّ مَنْ يراه غيره، وما ثَمَّ مَنْ يبطن[٦] عنه سواه، وهو المسمَّى أبو سعيد الخراز[٧]، وغير ذلك مِنْ أسماء[٨] المحدثات»[٩].

فيقال لهذا الملحد: ليس[١٠] مِنْ شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما، فإنَّ كل واحد مِنَ الناس يميز بين نفسه وغيره[١١]، وليس هو ثالثاً.

---

(١) في (ب)، والمطبوعة: «إفراد الحدوث عن القدم».
(٢) الضمير يعود لابن عربي.
(٣) في (أ)، والمطبوعة: «قاله».
(٤) في (أ)، والمطبوعة: «وهو عين الموجودات».
(٥) في المطبوعة: «هو».
(٦) في المطبوعة: «من ينطق». وفي «الفصوص»: من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى...
(٧) أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد. والخراز نسبة إلى خرز الجلود، وهو مِنْ أئمة الصوفية. له تصانيف في علوم القوم، صحب ذا النون المصري، وسرياً السَّقطي، وبشراً الحافي. قيل: إنه أول مَنْ تكلم في علم الفناء والبقاء، توفي سنة ٢٨٦هـ، وقيل غيرها.
انظر: «الحلية» ١٠/٢٤٦؛ «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص٤٠؛ «الأعلام» للزركلي ١/١٩١.
(٨) في المطبوعة: «الأسماء».
(٩) «الفصوص» ١/٧٦، ٧٧.
(١٠) في المطبوعة: بدون (ليس).
(١١) في (ب)، (د): «وبني غيره».

ولهذا كثيراً ما يُعاقَبُ أصحاب الخوارق تارة بسلبها، كما يعزل الملك عن ملكه، ويُسلب العالم علمَه، وتارة بسلب التطوعات؛ فينقل[١] مِنَ الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفُسَّاق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهذا يكثر[٢] فيمن له خوارق شيطانية، فإنَّ كثيراً مِنْ هؤلاء يرتد عن الإسلام.

وكثير منهم لا يعرف أن هذه مِنَ الشياطين[٣]، بل يظنُّها مِنْ كرامات أولياء الله، ويظن مَنْ يظن منهم أن الله ﷻ إذا أعطى عبداً خرق عادةً لم يحاسبه على ذلك، كمن ظن أن الله إذا أعطى عبداً مُلكاً ومالاً وتصرُّفاً لم يحاسبه عليه.

ومنهم مَنْ يستعين بالخوارق على أمور مباحة، لا مأمور بها ولا منهيٌّ عنها، فهذا يكون مِنْ عموم الأولياء، وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقرّبون، فأعلى مِنْ هؤلاء، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملِك.

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقصُ بها درجة الرجل، كان كثير مِنَ الصالحين يتوب مِنْ مثل[٤] ذلك، ويستغفر الله تعالى، كما يتوب مِنَ الذنوب كالزنا والسرقة، وتَعْرُضُ على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلُّهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همته، ولا يتبجح[٥] بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة مِنَ الشياطين تغويهم بها؟!

---

(١) في (ب)، (جـ): «فينتقل».

(٢) في (ب)، (هـ)، والمطبوعة: «وهذا يكون».

(٣) في (هـ)، والمطبوعة: «إن هذه شيطانية».

(٤) في (د): «يتوب من ذلك».

(٥) في (ب)، (د): «ولا يحتج».

فإني أعرف مَنْ تخاطبه النباتات[١] بما فيها مِنَ المنافع، وإنَّما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، ومنهم مَنْ[٢] يخاطبه الحجر والشجر، وتقول: هنيئاً لك يا وليَّ الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، ومنهم مَنْ[٣] يقصد صيد الطيور[٤] فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإِنس[٥] ويخاطبه بمثل ذلك، ومنهم مَنْ يكون في البيت وهو مغلَقٌ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة، وتريه[٦] أنواراً، وتُحضِرُ عنده مَنْ يطلبه ويكون ذلك مِنَ الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كلُّه.

وأعرف مَنْ يخاطبه مخاطِبٌ، ويقول له: أنا مِنْ أمر الله، ويعده بأنه المهديُّ[٧] الذي بشَّر به النبي ﷺ ويظهر له الخوارق،

---

(١) في (ج): «البنايات».

(٢) في (هـ)، والمطبوعة: «وأعرف من يخاطبهم».

(٣) في (هـ)، والمطبوعة: «وأعرف من يقصد».

(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «الطير».

(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «الإنس ويخاطبه بذلك».

(٦) في (هـ)، والمطبوعة: «أو تريه».

(٧) المشهور بين كافة المسلمين على مر العصور أنه لا بد في آخر الزمان مِنْ ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمَّى المهديَّ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو يساعده على قتله، ويأتمّ بالمهدي في صلاته. وقد أخرج =

مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، وفي المواشي[١] فإذا خطر بقلبه ذَهاب الطير أو الجراد يميناً وشمالاً، ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه، حصل له ما أراد، مِنْ غير حركة منه في الظاهر، ويحمل[٢] إلى مكة، ويأتي[٢] به، ويأتيه[٢] بأشخاص في صورة جميلة[٣] ويقول[٢] له: هذه[٤] الملائكة الكروبيون[٥] أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له: علامة أنك المهديُّ أن تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكله مِنْ مكر الشيطان.

وهذا باب[٦] لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير.

وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ

= أحاديث المهدي جماعة من الأئمة، منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي. وقال الشوكاني في «الفتح الرباني»: «الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً وثمانية وعشرون أثراً»، ثم سردها وتكلم عليها، ثم قال: «وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر لا يخفى على من له فضل اطلاع».
انظر: «بين يدي الساعة» لعبد الباقي أحمد ص١٠٦.

(١) قوله: (وفي المواشي) سقط من: المطبوعة.
(٢) في (د)، والمطبوعة: «بالتاء بدلاً من الياء».
(٣) في (ب): «في صورة خيل». (٤) في (ج)، (د): «هؤلاء».
(٥) الكروبيون: هم سادة الملائكة، وهم المقربون، وأصل الاسم مشتق من الكرب، وهو الشدة.
انظر: «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» ٤/٣٨٨.
(٦) في (هـ)، والمطبوعة: «وهذا باب واسع».

فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: (كلا) ولفظ كلا فيها زجر وتنبيه، زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به ويأمر به بعده، وذلك أنه ليس كل مَنْ[١] حصل له نِعَمٌ دنيوية تُعَدُّ كرامة يكون الله ﷻ مكرماً له بها، ولا كل مَنْ قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسَّرَّاء والضَّرَّاء، فقد[٢] يعطي النِّعَمَ الدنيوية لمن لا يحبه، ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها مَنْ يحبه ويواليه، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده[٣]، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه[٤].

وأيضاً فكرامات[٥] أولياء الله لا بدّ أن يكون سببها الإِيمان والتقوى.

فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان، فهو مِنْ خوارق أعداء الله، لا مِنْ كرامات أولياء الله، فمَنْ كانت خوارقه[٦] لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك؛ مثل دعاء الميت أو[٧] الغائب، أو بالفسق والعصيان، وأكل المحرمات، كالخبائث[٨] مثل الحيات والزنابير

(١) في المطبوعة: «ما».
(٢) في (د): «فهو يعطي».
(٣) قوله: (عنده) سقط من: (د).
(٤) قوله: (منه) سقط من: (ب).
(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «كرامات».
(٦) في (أ)، (د): «كراماته».
(٧) في (أ)، (هـ)، والمطبوعة: «والغائب».
(٨) في (هـ)، والمطبوعة: «كالحيات والزنابير».

والخنافس والدم، وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص، لا سيَّما مع النسوة الأجانب والمردان، وحاله و[١] خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى[٢] عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلاً طويلاً، وإذا[٣] جاءت الصلاة صلى قاعداً، أو ينقر نقر الديك[٤] وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه، أو يتكلفه[٥] ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لَذَّة عند وجده[٦]، ويحب سماع المُكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيدَ، فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦].

فالقرآن[٧] هو ذكر الرحمٰن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

يعني[٨]: تركت العمل بها.

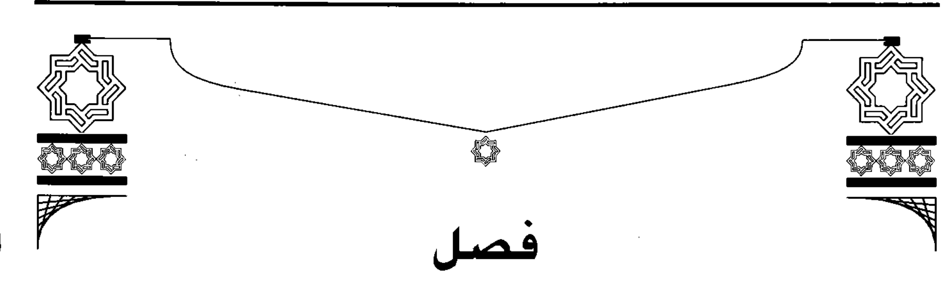
---

(١) في (هـ)، والمطبوعة: «وحالة خوارقه».
(٢) في (ب)، (ج): «ويقوى». (٣) في (أ)، والمطبوعة: «فإذا».
(٤) ورد تشبيه من لا يطمئن في ركوعه وسجوده بنقر الديك. فقد روى أنس بن مالك عن الرسول ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بصلاة المنافق؟ يدع العصر حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، أو على قرني الشيطان، قام فنقرها نقرات الديك، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً».
انظر: «المسند» ٣/ ٢٤٧.
(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «ويتكلفه». (٦) في (ب): «وجوده».
(٧) في (ب): «والقرآن». (٨) في (د): «أي».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفَّل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لا يضلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة». ثم قرأ هذه الآية[١].



(١) أي: الآية السابقة. وقد ذكر هذا الأثر ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ١٤٧.



فصل

الفصل الرابع عشر

عموم رسالة محمد ﷺ لجميع الثقلين

ومما يجب أن[1] يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ رسولاً[2] إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا ويجب[3] عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به، فهو كافر؛ سواء كان إنسيّاً أو جنيّاً.

فمحمد[4] ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن القرآن[5] وولوا إلى قومهم منذرين، لمَّا كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة[6] لمَّا رجع مِنَ[7] الطائف، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا

---

(١) في (ب): «ومما يجب على كل أحد».
(٢) قوله: (رسولاً): سقط من (هـ)، والمطبوعة.
(٣) في (ب)، والمطبوعة: «وجب».
(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «ومحمد». (٥) في المطبوعة: «للقرآن».
(٦) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.
انظر: «فتح الباري» ١٨/ ٣٢٠.
(٧) وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين. كما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٤٥.

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢][١].

وأنزل[٢] الله بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ١ ـ ٦].

أي: السفيه منا في أظهر أقوال العلماء[٣].

وقال غير واحد مِنَ السلف: «كان الرجل مِنَ الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي مِنْ شرِّ سفهاء قومه، فلما استعاذت[٤] الإنس بالجن[٥] ازدادت الجن طغياناً وكفراً»[٦]، كما

---

(١) وقد ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآيات ما ورد عن استماع الجن للقرآن، وفصَّل القول فيه. انظر ٤/ ١٤٤.

(٢) في (ب): «ثم أنزل».

(٣) والقول الثاني في ﴿سَفِيهُنَا﴾: إنه إبليس. وقد ذكر هذه الأقوال: القرطبي في «تفسيره» ١٩/ ٩؛ وابن الجوزي في «زاد المسير» ٨/ ٣٧٨؛ وابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٣٧٤.

(٤) في (أ)، (هـ)، والمطبوعة: «استغاثت».

(٥) في المطبوعة: «والجن».

(٦) ذكر ذلك: الطبري في «تفسيره» ٢٩/ ١٠٨؛ وابن كثير ٤/ ٣٧٤.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن: ٦ ـ ٨].

وكانت الشياطين تُرمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم، فلمَّا بُعِثَ محمد ﷺ مُلئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وصارت الشهبُ مرصدةً لهم قبل أن يسمعوا، كما قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٩].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١٠، ١١].

أي: على مذاهبَ شتى، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرك واليهودي والنصراني والسني والبدعي.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢].

أخبروا أنهم لا يعجزونه؛ لا إن أقاموا في الأرض، ولا إن هربوا منه:

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا

وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٣، ١٤].

أي الظالمون، يقال: أقسط: إذا عدل، وقسط: إذا جار[١].

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: ١٤ ـ ٢٤].

سماع الجن

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جنُّ نَصِيبين[٢]، كما ثبت ذلك[٣] في الصحيح مِنْ حديث[٤] ابن مسعود.

---

(١) في المطبوعة: «جار وظلم».

(٢) نصيبين ـ بالفتح ثم الكسر ـ: مدينة تقع بين دمشق والموصل، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ.

انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي ٥/ ٢٨٨.

(٣) قوله: (ذلك) سقط من: (ب)، (د).

(٤) روى مسلم عن علقمة، قال: قلت لابن مسعود: هل شهد أحد منكم رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء مِنْ قِبَلِ حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: =

وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمٰن، وكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣] قالوا: ولا بشيء مِنْ آلائك ربنا نكذب، فلَك الحمد[1].

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابِّهم، فقال: «لكم كلُّ عظم ذُكِرَ اسم الله عليه تجدونه أوفرَ ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم»، قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم مِنَ الجن»[2]. وهذا النهي ثابت مِنْ وجوه متعددة[3]، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا فإذا منع الاستنجاء بما أعد للجن[4] ولدوابِّهم، فما أُعِدَّ

= «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن»، قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذُكِرَ اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفرَ ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم». ومن طريق آخر عن ابن مسعود أنهم جنُّ نصيبين.
انظر: «صحيح مسلم» ج١، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم الحديث (٤٥٠) ص٣٣٢. وكذلك «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٤٦.

(١) رواه الترمذي عن جابر، وقال: حديث غريب. ورواه ابن جرير عن ابن عمر.
انظر: «سنن الترمذي» ج٥، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الرحمٰن، رقم الحديث (٣٣٤٥) ص٧٣؛ وتفسير ابن جرير الطبري ٢٧/ ٧٢.
وانظر أيضاً: «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٥١.

(٢) هذا طرف من حديث ابن مسعود السابق.

(٣) جاء النهي عن الاستنجاء بما أعد للجن ولدوابهم عن ابن عباس وابن مسعود من وجوه متعددة. ذكرها الزيلعي في «نصب الراية» ١/ ١٣٧ ـ ١٤٨.

(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «بما للجن».

للإنس ولدوابِّهم مِنَ الطعام والعلف أولى وأحرى.

ومحمد ﷺ أُرسل إلى جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى مِنْ كون الجن سُخِّرُوا لسليمانَ عليه السلام، فإنهم سُخِّروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أُرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله[١] به؛ لأنه عبْدُ الله ورسوله، ومنزلة العبد[٢] الرسول فوق منزلة النبي المَلِك.

وكفَّار الجن يدخلون النار بالنصِّ والإجماع، وأمَّا مؤمنوهم[٣] فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة.

وجمهور العلماء على أن الرسل مِنَ الإنس، ولم يُبعث مِنَ الجن رسول، لكن منهم النُّذر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر[٤].

أحوال الجن مع الإنس

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

فمن كان مِنَ الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله، مِنْ عبادة الله وحدَه، وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك مِنْ خلفاء الرسول ﷺ ونوابه.

ومَنْ كان يستعمل الجن في أمور مباحة[٥] له، فهو[٦] كمن استعمل الإنس في أمور مباحة[٧] له، وهذا إذا[٨] كان يأمرهم

---

(١) في (أ)، والمطبوعة: «بما أمر الله به ورسوله».
(٢) في (ب): «الولي».
(٣) في (د): «وأما المؤمنون منهم».
(٤) من ذلك ما في كتاب النبوات للمؤلف ص٢٦١.
(٥) في (ب): «مباحات له».
(٦) قوله: (فهو) سقطت من: (د).
(٧) في (ب): «مباحات له».
(٨) في (هـ)، والمطبوعة: «وهذا كأن».

بما يجب عليهم، وينهاهم عما حرّم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون[١] بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك. وهذا[٢] إذا قُدِّر أنه مِنْ أولياء الله تعالى، (فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تعالى)[٣] مثل النبي الملِك مع العبد الرسول، كسليمان ويوسف مَعَ إبراهيم وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تنوع مكر الشيطان بأوليائه بحسب حالهم من الجهل والكفر والشرك

ومَنْ كان يستعمل الجن فيما نهى[٤] الله عنه ورسوله، إمَّا في الشرك وإمَّا في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليه[٥] بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وذكر الله[٦]، وغير ذلك مِنْ ظُلمه[٧]، وإما في فاحشة، كجلب من يطلب فيه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ، إما فاسق وإما مذنب غير فاسق.

وإن[٨] لم يكن تامَّ العلم بالشريعة، فاستعان بهم فيما يظن أنه مِنَ الكرامات، مثل أن يستعين بهم على[٩] أن يطيروا به عند

(١) قوله: (فيكون) سقط من: (أ)، (ج)، (د).
(٢) في المطبوعة: «هذا».
(٣) ما بين القوسين سقط من: «ب».
(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «ينهى».
(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «عليهم».
(٦) قوله: (وذكر الله) سقط من: (ب)، والمطبوعة.
(٧) قوله: (من ظلمه) سقط من: (هـ)، والمطبوعة.
(٨) في (ب): «ومن لا يكون تام».
(٩) في (هـ)، والمطبوعة: «على الحج أو أن يطيرون».

السماع البدعي، أو يحملوه إلى عرفات، ولا يحجُّ الحجَّ الشرعي الذي أمر الله به ورسولُه، أو[(١)] أن يحملوه مِنْ مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك، فهذا مغرور قد مكروا به.

وكثير مِنْ هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك مِنَ الجن، بل قد سمع أن أولياء[(٢)] الله لهم كرامات خوارق للعادات، وليس عنده مِنْ[(٣)] حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرِّقُ به بين الكرامات الرحمانية، وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده.

فإن كان مشركاً يعبد الكواكب أو[(٤)] الأوثان، أوهموه أنه ينتفع[(٥)] بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن[(٦)] صور ذلك الصنم على صورته، مِنْ ملك أو نبي أو شيخ صالح، (فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح)[(٧)]، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

ولهذا لمَّا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم، ليكون

(١) في (هـ)، والمطبوعة: «وأن يحملوه».
(٢) في (ب)، (ج): «أن لأولياء الله كرامات».
(٣) في (ج)، والمطبوعة: «عندهم من حقائق».
(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «والأوثان».
(٥) في (د): «أن يشفع».
(٦) في المطبوعة: «ممن».
(٧) ما بين القوسين سقط من: (ب).

سجودهم[١] له.

ولهذا يتمثل الشيطان بصورة مَنْ يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانيّاً وقد[٢] استغاث بجرجس[٣] أو غيره، جاء الشيطان في صورة جرجس أو مَنْ يستغيث به، وإن كان منتسباً الإسلام، وقد[٢] استغاث بشيخ يُحسن الظن به مِنْ شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ، وإن كان مِنْ مشركي الهند، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك.

ثم إن الشيخ المستغاثَ به إن كان مِمَّن له خبرة بالشريعة لم يعرّفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ مِمَّن لا خبرة له أخبره بأقوالهم، ونقل أقوالهم له، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم مِنَ البُعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط[٤] الشيطان.

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثلُ هذا

---

(١) قوله: (ليكون سجودهم) سقط من: (ب).

(٢) قوله: (قد) سقط من: المطبوعة.

(٣) جرجس: الصيغة العربية لاسم شائع بين النصارى، ومن صوره الأخرى: جورجيس، وجورج، وجيورج، وجريجوري. ومِمَّن اشتهر بهذا الاسم: مار جرجس، أو القديس جورج، أو جاورجيوس، ولد سنة ٢٠٨م، وتوفي سنة ٣٠٣م، عاصر حكم الإمبراطور دقلديانوس واضطهاده للمسيحيين، وكان مصيره القتل بسبب دفاعه عنها، دفن في اللد بفلسطين، وقيل: إن جثمانه نقل إلى مصر حيث الكنيسة التي تحمل اسمه، ويصور ممتطياً فرساً وهو يطعن بحربته تنيناً يمثل الشر.

انظر: «دائرة المعارف الحديثة» ص٦١٢.

(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «يتوسط».

بصورة مكاشفة ومخاطبة، فقال: يريني الجن شيئاً برّاقاً مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منهم[١] الإخبار به، قال فأخبر الناس به، ويوصلون إليَّ كلام مَنِ استغاث بي مِنْ أصحابي فأجيبه، فيوصلون جوابي إليه.

وكان كثير مِنَ الشيوخ الذين حصل لهم كثير مِنْ هذه الخوارق إذا كذَّب بها مَنْ لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هذا بطريقة الحيلة كمن[٢] يدخل النار بحجر الطلق[٣]، وقشور النارنج[٤]، ودهن الضفادع[٥]، وغير ذلك مِنَ الحيل الطبيعية، يتعجب هؤلاء المشايخ، ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً مِنْ هذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبير: إنكم صادقون[٦] في ذلك،

(١) في (هـ)، والمطبوعة: «منه».
(٢) في (ب)، (هـ)، والمطبوعة: «كما».
(٣) حجر الطلق: حجر براق شفاف ذو أطباق، يتشظى إذا دق صفائح، ويطحن فيكون مسحوقاً أبيض، يذر على الجسد فيكسبه برداً ونعومة.
وقيل: إن نبتاً يسمى الطلق تستخرج عصارته، فيطلى به الذين يدخلون في النار.
انظر: «لسان العرب» ١٠/ ٢٣١؛ «المعجم الوسيط» ٢/ ٥٦٣.
(٤) النارنج: شجرة مثمرة، دائمة الخضرة، تسمو بضعة أمتار، أوراقها جلدية خضر لامعة، لها رائحة عطرية، لها ثمرة تعرف بالنارنج، وقشرة الثمرة تستعمل دواءً، أو في عمل المربيات.
انظر: «المعجم الوسيط» ٢/ ٩١٢، ٩١٣.
(٥) جمع ضفدع: وهو الحيوان المعروف الذي يعيش في الماء، ذكر عن بعضها أن شحمه إذا طلي به الجسم منعه من التأثر بالحرارة.
انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ١/ ٦٤٨.
(٦) في (هـ)، والمطبوعة: «لصادقون».

ولكن هذه أحوال شيطانية[١] أقرُّوا بذلك، وتاب منهم مَنْ تاب الله عليه[٢] لمَّا تبين لهم الحق، وتبين لهم مِنْ وجوه كثيرة[٣] أنها مِنَ الشيطان، ورأوا أنها مِنَ الشياطين لمَّا رأوا أنها تحصُل بمثل البدع المذمومة في الشرع، وعند المعاصي لله ولرسوله، ولا[٤] تحصل عند ما يحبه الله ورسوله، مِنَ العبادات الشرعية، فعلموا حينئذٍ أنها[٥] مِنْ مخارق[٦] الشيطان لأوليائه، لا مِنْ كرامات الرحمٰن لأوليائه.

والله ﷻ أعلم (بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلَّى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه صلاة وسلاماً نستوجب بها شفاعته... آمين)[٧].



(١) في المطبوعة: «هذه الأحوال الشيطانية».
(٢) في (ب): «من تاب لما تبين».
(٣) قوله: (كثيرة) سقط من: (هـ)، والمطبوعة.
(٤) في (هـ)، والمطبوعة: «فلا تحصل».
(٥) في (هـ)، والمطبوعة: «أنها حينئذ».
(٦) في (ب)، (ج): «مخاريق».
(٧) ما بين القوسين سقط من: (ب).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على توفيقه وامتنانه على ما أتمَّ لنا مِنْ تحقيق هذا الكتاب، الذي هو صغير في حجمه، كبير في مادته العلمية؛ مما أوجب التمعُّن والتفهُّم والرجوع إلى الكتب الأخرى، وخصوصاً كتب المؤلف، التي كثيراً ما أجد فيها ما يعين على معرفة ما اشتبه عليَّ مما في هذا الكتاب، واستفدت مِنْ ذلك كثيراً، وزادت معرفتي بقيمة هذا الكتاب، وعلمت أنه مجهول القدر عند كثير مِنَ الناس، بينما لا يستغني عنه طالب العلم.

وازددت مِنْ خلاله معرفةً بواقع الناس واختلافهم: ما بين مؤمن بالله متبع للكتاب والسنة، وما بين جاهل قد مكر به الشيطان، وما بين صاحب هوى ومقاصد دنيوية.

وأنه لا سبيل لمعرفة الأمور إلا بوزنها بمعايير الكتاب والسنة، ليتميز بعضها عن بعض، ويستحيل معرفة ذلك بغيرهما، لأن ما فيهما مِنْ بيان وتفصيل هو ممن خلق الخلق وأمورهم، ومَنْ طلب معرفة ذلك مِنْ غيرهما ضلَّ، فهما الصراط المستقيم والسراج المنير.

والقارئ لهذا الكتاب يعرف ذلك، ويدرك سعة اطلاع ابن تيمية ومعرفته بالكتاب والسنة، وقدرته على بيان الحق واستنتاج الدليل.

فجزاه الله خير ما يجزي به عباده الصالحين... إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهارس



فهرس الآيات

سورة المائدة

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾	٥١	١٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ . . .﴾	٥١ ـ ٥٦	٥
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾	٨٣	٢٥٢
﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾	١٠٣	٢٠٠
سورة الأنعام		
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣	١٧٠
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا . . .﴾	٨	٢٠٥
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	١١٢	٢٠٣
﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾	١٢١	٦، ١٥٠، ٢٠٣
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾	١٢٥	١٩٥
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ﴾	١٤٨	١٨٠
﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا . . .﴾	١٤٨ ـ ١٤٩	١٨٠
﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا﴾	١٥٢	٩٧
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾	٢٣	١٨٣
﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . . .﴾	٢٧ ـ ٣٠	٦
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	٣٣	٢٣٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا﴾	٤٢	٩٧
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥٤	١٧٢
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	١٢٦	١١٧
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ . . .﴾	١٥٦ ـ ١٥٧	١١٠
﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٩٦	٤

فهرس الأحاديث

(م)

فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
(أ)		
أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف	ابن أبي مليكة	٤٢
أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنها	ابن شهاب الزهري	٢٣٢
إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك	عبد الله بن عباس	١٩٠
إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال	ابن عمر وابن عباس	١٥١
أنه ركب سفينة في البحر فانكسرت بهم	سفينة	٢١٧
إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا	أبو سليمان الداراني	٩٩
ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه	الحسن البصري	١٥
استشر في أمرك الذين يخشون الله	عمر بن الخطاب	٩١
اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما	عمر بن الخطاب	٩١
(ت)		
التصدية: التصفيق باليد، والمكاء مثل الصفير	ابن عباس وابن عمر	٢٥٠
تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن	عبد الله بن عباس	٢٦٠
(ج)		
جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة	عمر بن الخطاب	٩١
(ح)		
حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر	عبد الله بن مسعود	٩٧
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد	عمر بن الخطاب	٢٢٣

فهرس الأعلام

فهرس الغريب والمصطلحات

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المذاهب والفِرق والأمم

فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب

فهرس الأشعار



فهرس المراجع

١ ـ أحاديث القصاص، ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي.

٢ ـ الاحتجاج بالقدر، ابن تيمية، المكتب الإسلامي ١٣٩٨هـ.

٣ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠٢هـ.

٤ ـ اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن قيم الجوزية، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٣هـ.

٥ ـ الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، علاء الدين البعلي، المؤسسة السعيدية، الرياض.

٦ ـ الاستيعاب في نسب الصحابة من الأنصار، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، دار الفكر ١٣٩٢هـ.

٧ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مكتبة نهضة مصر.

٨ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، جمعية المعارف ١٣٨٠هـ.

٩ ـ أسماء مؤلفات ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م.

١٠ ـ كتاب الأسماء والصفات، البيهقي، مطبعة السعادة بمصر.

١١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار نهضة مصر.

١٢ ـ اصطلاحات الصوفية، السمرقندي.

١٣ ـ أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة إبراهيم زكي، مكتبة النهضة المصرية.

١٤ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٥ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
١٦ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي البزاز، المكتب الإسلامي ١٣٩٦هـ.
١٧ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة بيروت.
١٨ ـ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق د.ناصر العقل، شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ.
١٩ ـ كتاب الأولياء، ابن أبي الدنيا، جمعية النشر والتأليف بالأزهر، الطبعة الأولى.
٢٠ ـ البداية والنهاية في التاريخ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة الفلاح، الرياض.
٢١ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، عيسى البابي، الطبعة الثانية.
٢٢ ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل، عماد الدين أبي بكر العامري، طبعة سنة ١٣٣٠هـ.
٢٣ ـ بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩١هـ.
٢٤ ـ بين يدي الساعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، د.عبد الباقي سلامة، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠١هـ.
٢٥ ـ تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ.
٢٦ ـ التبصرة، ابن الجوزي، عيسى البابي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
٢٧ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمٰن.
٢٨ ـ تذكرة الحفاظ، الذهبي، مجلس دائرة المعارف، الهند، الطبعة الثالثة.

٢٩ ـ تذكرة الموضوعات، محمد بن طاهر الفتني، المكتبة القيمة، الهند.
٣٠ ـ التشوف إلى رجال التصوف، ابن الزيات، مطبوعات إفريقية، الرباط ١٩٥٨م.
٣١ ـ كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٢ ـ تفسير سورة الإخلاص، ابن تيمية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر.
٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار القلم، بيروت.
٣٤ ـ تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٣٥ ـ التكملة لوفيات النقلة، عبد العظيم المنذري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
٣٦ ـ تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٦٨هـ.
٣٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية.
٣٨ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر السعقلاني، دائرة المعارف، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
٣٩ ـ تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٤٠ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، دار المعارف بمصر، تحقيق محمود شاكر.
٤١ ـ جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.
٤٢ ـ جامع العلوم والحكم، ابن رجب، من توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

٤٣ ـ جامع كرامات الأولياء، النبهاني، دار الكتب بمصر ١٣٢٩هـ.
٤٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٤٥ ـ الحسن البصري، لابن الجوزي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر.
٤٦ ـ حسن المحاضرة، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ.
٤٧ ـ حقيقة مذهب الاتحاديين، ابن تيمية، إدارة الترجمة والتأليف، باكستان.
٤٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ.
٤٩ ـ حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٥٠ ـ خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ.
٥١ ـ دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت.
٥٢ ـ دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٣م.
٥٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، نشر محمد أمين، بيروت.
٥٤ ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، جلال الدين السيوطي، جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠٣هـ.
٥٥ ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٥٦ ـ دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، عالم الكتب، بيروت.
٥٧ ـ دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٨٩هـ.
٥٨ ـ ديوان ابن الفارض، مصطفى البابي ١٣٧٢هـ.

٥٩ ـ ذم ما عليه مدعو التصوف، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.
٦٠ ـ الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ابن تيمية، المطبعة السلفية ١٩٤٩م.
٦١ ـ الرد على الجهمية والزنادقة، الإمام أحمد، دار اللواء، الرياض، ١٣٩٧هـ.
٦٢ ـ كتاب الرد على المنطقيين، ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ١٣٩٦هـ.
٦٣ ـ الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٦٤ ـ روح المعاني، الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت.
٦٥ ـ الروحية الحديثة، دعوة هدامة، محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ.
٦٦ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب الحديثة، مصر.
٦٧ ـ رياض الصالحين، أبو زكريا النووي، دار المأمون للتراث، دمشق.
٦٨ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر الطبري، مكتبة محمد نجيب، ١٣٧٢هـ.
٦٩ ـ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
٧٠ ـ كتاب الزهد، الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٧١ ـ كتاب الزهد الكبير، أحمد بن حسين البيهقي، دار القلم، الكويت ١٤٠٣هـ.
٧٢ ـ الزهد والرقائق، ابن المبارك، مجلس إحياء المعارف، الهند، ١٣٨٥هـ.
٧٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٧٤ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

٧٥ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٧٦ - سنن الدارقطني، الدارقطني، دار المعاش للطباعة، القاهرة ١٣٨٦هـ.

٧٧ - سنن الدارمي، الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.

٧٨ - سنن أبي داود، أبو داود، نشر محمد علي السيد، حمص، ١٣٨٨هـ.

٧٩ - سنن ابن ماجه، ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ،

٨٠ - سنن النسائي بشرح السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨١ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار المعارف بمصر.

٨٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩١هـ.

٨٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد، مكتبة القدس بمصر، ١٣٥٩هـ.

٨٤ - شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

٨٥ - شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٨٦ - صحيح البخاري، الإمام البخاري، دار القلم ودار البخاري، ١٤٠١هـ.

٨٧ - صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، وأيضاً تحقيق أحمد شاكر.

٨٨ - صحيح مسلم، الإمام مسلم، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ.

٨٠ - صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الوعي بحلب ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ.

٩٠ - طبقات الأولياء، ابن الملقن، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٩٣هـ.

٩١ ـ طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
٩٢ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت ودار صادر.
٩٣ ـ طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمٰن السلمي، مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ.
٩٤ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني، مصطفى البابي، ١٣٧٣هـ.
٩٥ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
٩٦ ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي، دار الكتاب العربي.
٩٧ ـ عوارف المعارف، عمر بن محمد السهروردي، المكتبة العلامية بمصر، ١٣٥٨هـ.
٩٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.
٩٩ ـ الفتوحات المكية، ابن عربي، دار الكتب العربية بمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٢هـ.
١٠٠ ـ الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار المعرفة، بيروت.
١٠١ ـ فصوص الحكم، ابن عربي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ.
١٠٢ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٠٣ ـ القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ.
١٠٤ ـ القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٠٥ ـ قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
١٠٦ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثر، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.

١٠٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٠٨ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، وكالة المعارف، ١٣٦٢هـ.

١٠٩ ـ كشف المحجوب، علي بن عثمان الهجويري، دار النهضة العربية، بيروت.

١١٠ ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى.

١١١ ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي، الطبعة الأولى على نفقة المكتبة الحسينية المصرية.

١١٢ ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

١١٣ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٣٢٩هـ.

١١٤ ـ لطائف الأسرار، ابن عربي، دار الفكر العربي ١٣٨٠هـ.

١١٥ ـ المبسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٤هـ.

١١٦ ـ المجروحين من المحدثين، محمد بن حبان، المطبعة العزيزية، ١٣٩٠هـ.

١١٧ ـ مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر الفتني، مجلس دارة المعارف، الهند، ١٣٩٣هـ.

١١٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب، بيروت.

١١٩ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، عبد الرحمٰن بن قاسم، الطبعة الأولى.

١٢٠ ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، مكتبة النهضة، الرياض.

١٢١ ـ المسند، الإمام أحمد، دار صادر بيروت، وطبعة أخرى تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٣هـ.

١٢٢ ـ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة.
١٢٣ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٦هـ.
١٢٤ ـ المعجم الصغير، الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٢٥ ـ المعجم الكبير، الطبراني، دار العربية، بغداد.
١٢٦ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري الأندلسي، توزيع عباس الباز، مكة.
١٢٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، عدد من المستشرقين، مكتبة بريل، ليون، ١٩٣٦م.
١٢٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر، بيروت.
١٢٩ ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
١٣٠ ـ المعجم الوسيط، إخراج د. إبراهيم أنيس، مطابع دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ.
١٣١ ـ المغني، أحمد بن محمد بن قدامة، مكتبة الرياض الحديثة.
١٣٢ ـ مفتاح السعادة، أحمد بن مصطفى، دائرة المعارف، الطبعة الأولى.
١٣٣ ـ مفتاح كنوز السنة، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة معارف لاهور، ١٣٩٧هـ.
١٣٤ ـ الملل والنحل بهامش الفصل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ.
١٣٥ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٢هـ.
١٣٦ ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة.
١٣٧ ـ المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق الشيرازي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٣٨ ـ الموضوعات، ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

١٣٩ ـ الموطأ، الإمام مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية.
١٤٠ ـ ميزان الاعتدال، الذهبي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢هـ.
١٤١ ـ كتاب النبوات، ابن تيمية، طبعة سنة ١٣٤٦هـ.
١٤٢ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين الأتابكي، دار الكتب.
١٤٣ ـ نصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين الزيلعي، المكتبة الإسلامية.
١٤٤ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار الثقافة، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

○ **الفصل الثاني:**

○ **الفصل الثالث:**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة